



منهجية الدكتور محمد عمارة في تناول مشاكل الدعوة

(دراسة وصفية تحليلية)

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية

إعداد الطالب:

بصيرأحمد مبصر بن عبدالعزيز

٤٢٠-FU/PHDDIC/F١٩

تحت إشراف:

الدكتور سليمان حماد الحوامدة

العام الدراسي: ٢٠٢٤ م

الله رب العالمين

الإهداء

الحمد لله واسع الجود و المن والفضل والكرم، على إتمام هذا العمل وبعد:

أهدى ثمرة جهدي المتواضع هذا إلى روح أبي الطاهر "عبدالعزيز جمشيدی رحمه الله" الذي أفنى حياته من أجلني وبسببه أنا أكمل مشواري الدراسي والذي ما أنا عليه اليوم هي ثمرة دعواته بعد توفيق الله سبحانه، وإلى أمي "فاطمة يوسفی رعاها الله وأدام عزها وحفظها لي" التي ربت وسهرت وكافحت من أجلني في الليالي الكالحات وتكبدت تعب السنين، إلى "زوجتي الغالية فوزية رحيمي" التي ساعدتني في أيامي وكانت لي عضدا وسندا في السراء والضراء، وإلى فلذات كبدی "طه أمین وأنس أمین رعاهم الله" وإلى كل "إخوتي وأخواتي الأعزاء" وإلى روح أستاذی الغالی "مولانا غلام محمد نجیبی الكروخی الھروی رحمه الله" و"جميع أساتذتي الأجلاء" الذين تلذمت على أيديهم وكل "من علمني حرفا منذ بداية مساري التعليمي" جزاهم الله عنی خیر الجزاء وأجزل لهم المثوبة والعطاء، وإلى كل "من ساعدني" في إتمام هذه المذكورة.

بصیراً حمد مبصر الكروخی الھروی

الشَّكْرُ وَالتَّقْدِيرُ

قال جل مجده ﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْمِحْمَدِ﴾ (١).

أتوجه بالشَّكْرُ وَالتَّقْدِيرُ إلى الأستاذ المشرف الدكتور سليمان حماد الحوامدة الذي لم يدخل علي بالنصح والإرشاد، رغم مشاغله المتراكمة وصبره معي طيلة فترة البحث. ولا يفوتي أن أقدم جزيل الشَّكْرُ وَالتَّقْدِيرُ عظيم الامتنان والعرفان إلى الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد والقائمين عليها، وكلية أصول الدين، وقسم الدعوة والثقافة الإسلامية ممثلاً برئيسها فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحميد خروب حفظه الله، وجميع أساتذتي الأجلاء وأخص بالذكر فضيلة الأستاذ الدكتور عبد القادر هارون الذي ساعدني كثيراً وكان لي طيلة دراستي نعم المعلم والمُؤدب والموجه والمعين. وإلى كل الأساتذة الذين لم يدخلوا علي بنصائحهم القيمة وملحوظاتهم المنيرة طيلة السنوات الدراسية وأثناء البحث والكتابة. كما أنقدم بجزيل الشَّكْرُ وَالتَّقْدِيرُ إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة لتفضلهم بقبول مناقشة هذه المذكرة، ولكل من ساعدني من قريب أو بعيد طيلة إعداد هذه الرسالة، فلهم جميعاً مني كل عبارات الشَّكْرُ وَالتَّقْدِيرُ وجزاهم الله خير الجزاء.

^١ سورة لقمان: (١٢).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن دعا بدعوته واقتدى بسيرته إلى يوم الدين.

إن من أهم سبل النجاح والتزكي والترقي فيما نحسبه والله أعلم هو أن يتعلم الإنسان من العباقة والعظماء، وأن يقتفي أثرهم ويزدوج حذوهم، وأن يقف على أكتاف العلماء ومناكب العباقة؛ وقفية استفادة وتأمل لا وقفية تطاول وتطفل، بكل ما تحملها هذه الكلمات من معانٍ. خاصة وأننا في تلك الظروف المحلية والإقليمية والعالمية الحالية، نحن في حاجة ماسة إلى فهم كامل لوجهنا ووجهتنا، لاسيما والأمة في مأزق حياة وعنق زجاجة تاريخها وهويتها. ومن ثم كان معرفة ماضي أعلام الأمة وقراءة تاريخ مناراتها ودراسة نتاجهم ومجاهدهم الفكري وهو أحد أهم سبلنا لتشخيص وعلاج الحاضر وبناء المستقبل، حفزاً لأجيال الأمة التنافس على طريق الخير والتزكي والترقي الذي برع في دربه هؤلاء الأعلام. "داعية الإسلام، وحارس تعاليمه"، هكذا نعته العالم والمفكر الإسلامي المصري محمد الغزالي. كما وصفه المفكر طارق البشري بـ "البلدوزر"؛ فقد كان من أكبر وأهم المدافعين المعاصرين عن الإسلام، وكان شديد البأس على أعداء الإسلام والعلمانيين الاستئصاليين والمتطرفين، وكان عوناً لكل باحث في الفكر الإسلامي. العالم العَلَم الفذ الفريد الذي وصفوه بـ «كاسحة ألغام الفكر الإسلامي» وـ «الحارس اليقظ المرابط على ثغور الإسلام»... فهذه كلها ألقاب حازها المفكر الإسلامي الدكتور محمد عمارة، ذلك لأنه قد أفنى عمره في المقارعة الفكرية للعلمانيين والتغريبيين والباطنيين وتفنيد الشبهات المثارة ضد الإسلام والرد عليها.

ولا زلنا نذكر يوم أن خرج على الفضائيات أمام أساطين الفكر العلماني، يتحدث عن فلسفة الميراث في الإسلام، ليعرى باطلهم أمام الجماهير، ويثبت من خلال عرض هذه الفلسفة ما يدحض دعواهم في أن المرأة قد ظلمها الإسلام في أحكام الميراث، فكان كلامه كقطع السيف وضرب الحسام.

فلذا، عزمت أن أخصص بحثي في مرحلة الدكتوراه في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية لدراسة منهجية الدكتور محمد عمارة في تناول مشاكل الدعوة بعنوان: "منهجية الدكتور محمد عمارة في تناول مشاكل الدعوة" حتى يكون نبراساً ينير طريق الدعاة، وأسائل الله التوفيق والسداد.

أولاً: أهمية الموضوع:

أذكر أهمية الموضوع من خلال النصوص في الكتاب والسنة التي تعلق شأن الدعاة العلماء، وتحلّت عن فضلهم؛ قال الله تعالى: ﴿يَرَفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢) وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَاءُ﴾^(٣) وقال: ﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوْلُوا الْعِلْمِ قَلِيلًا بِالْقِسْطِ﴾^(٤) وقال تعالى أيضاً: ﴿قُلْ هَذِهِ سَيِّئَاتٍ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(٥).

كما ورد في الحديث الشريف عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهمما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ اتَّرَاعَ إِنْتَرَاعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِيَقْبِضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا، اتَّحَدَ النَّاسُ رُؤْسَاءَ جُهَّاً، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوُا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا" ^(٦).

١. سورة المجادلة: ١١.

٢. سورة الزمر: ٩.

٣. سورة فاطر: ٢٨.

٤. سورة آل عمران: ١٨.

٥. سورة يوسف: ١٠٨.

٦. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن أسد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٥٠ جزء، الطبعة الأولى، تحقيق: شعيب أرناؤوط، عادل مرشد وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م، رواه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، مسند المكثرين من الصحابة، ج ١١، ص ٥٩، رقم الحديث ٦٥١١، وقال الشيخ شعيب أرناؤوط وآخرون: إسناده صحيح على شرط الشيحيين.

ولن تخلو الأمة عبر التاريخ من علماء يحملون لواء الدعوة، وينشرون دين الإسلام، ويهدون الناس إلى الخير؛ ابتعاد مرضاعة الله وقد حفظ التاريخ جهودهم في ذلك.

وهذه الدراسة جاءت لتسهم في بيان جهود أحد العلماء الراسخين، والدعاة الناصحين، من خلال عرض ودراسة كتبه ونشراته في التوأحي المختلفة والزوايا المتنوعة، وهو الشيخ العلم الدكتور محمد عمارة رحمة الله؛ فهو داعية ساهم في نشر الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر، وقد تميز الدكتور محمد عمارة رحمة الله بأسلوب فريد في عرض حقائق الإسلام ومبادئه والدعوة إليها، كما تميزت جهوده الدعوية أيضًا بتنوع الموضوعات في الدعوة إلى الله تعالى وتميزت شخصيته في حل قضايا الفكرية التي تتعلق بحياة المسلمين وتحدياتهم في هذا العصر. وعلى هذا، فإن أهمية هذا الموضوع تظهر في ضرورة تكثيف دراسة الجهود الدعوية للعلماء المسلمين، وإذا كانت دراسة جهود العلماء الأقدمين مهمة لتأصيل الجهود الدعوية الإسلامية، فإن الحاجة أصبحت أكثر أهمية لدراسة الجهود الدعوية للعلماء والدعاة من المسلمين المعاصرين؛ لأنهم أعرف بظروف عصرنا ومتطلباته، وهذا يؤكد أهمية معرفة جهود الشيخ الدعوية، ومن ثم إفادة المهتمين بالدعوة من هذه الجهود؛ إذ يعدُّ الشيخ أنموذجًا حيًّا للداعية المعاصر المتميز في أسلوبه ومنهجه ودعوته.

ومما يزيد أهمية هذه الدراسة ما يلي:

١. أنَّ الشيخ الدكتور محمد عمارة رحمة الله قد تعرَّض لموضوعات أساسية وعناوين حيوية تتعلق بالتحديات التي يعانيها المسلمون في هذا العصر.
٢. أنَّ المفكِّر الكبير محمد عمارة رحمة الله قد تميز بمهارته في التعرُّض لموضوعات فكرية وتقديمها بأسلوب رائع. وقد قدم حلولاً مناسبةً لكثير من مشاكل المسلمين الفكرية المعاصرة.
٣. أنَّ الدكتور محمد عمارة رحمة الله كان من أهم المؤثرين في الساحة الدعوية والفكرية المعاصرة وكان من الرؤاد المستخدمين لوسائل الدعوة الحديثة.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

1. عقب وفاة الدكتور محمد عمارة رحمه الله اقترح قسم الدعوة والثقافة الإسلامية كليةأصول الدين بجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد على طلاب الدكتوراه مشروع علمي يتركز على تبيين المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة رحمه الله خدمة لتراث هذا المفكر الكبير.
2. لما كان من أهم سبل النجاح والتفوق والتزكي والترقي الاستفادة من المشروعات الفكرية الكبرى التي شيدتها كبار العقول الإسلامية المعاصرة.. اختارت دراسة واحد من أهم هذه المشروعات في مكتبة العقول العبرية.. «المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة».
3. إن الساحة الفكرية الإسلامية المعاصرة في حاجة شديدة لفكرة منهجي جديد يهدي ويرشد وييرشد، ويجلي الكثير من الأمور المشكلة والملتبسة والملتبسة وشديدة الحساسية، ويصفي ويتجاوز الكثير من السجالات والتحارشات والصراعات الفكرية المهلكة والمجدبة، لذلك كله اختارت دراسة المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة رحمه الله تعالى.
4. لم يتم عمل أو تحقيق في هذه الناحية وحول شخصية الرجل ومنهجيته في تناول مشاكل الدعوة.
5. عبرية الدكتور محمد عمارة في ميدان الدعوة وكتاباته القيمة في تلك الساحة وضرورة تحقيق ومقارنة علمية في الشخصية الدعوية للدكتور محمد عمارة رحمه الله.
6. معاصرة الدكتور وحيوية منهجيته في القضايا الدعوية المعاصرة ومتطلبات الواقع بين الشخصيات الإسلامية.
7. احتياج الساحة للتعریف بدعاةٍ وعاءٍ كمثله للإقتداء والإستنارة لنهجه وشخصيته الفذة.
8. توجيه الدعوة وطلبة العلم إلى اختيار دراسة مناهج الدعوة لمواجهة التحديات المعاصرة. هذه وغيرها من البواعث دفعتني إلى أن أقوم بالبحث في هذا الموضوع حسب استطاعتي.

ثالثاً: أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

١. تبيين منهجية الدكتور محمد عمارة رحمة الله في تناول مشاكل الدعوة.
٢. بيان أفكار وجهود الدكتور محمد عمارة رحمة الله المتعلقة بقضايا الفكر والتحديات المعاصرة.
٣. التعرف على أهم مشاكل الدعوة داخل أطراف العمل الإسلامي وخارجها.
٤. معرفة السمات المنهجية لدى الدكتور محمد عمارة رحمة الله في عرض القضايا والأفكار.
٥. إبراز الأصول الفكرية والمرتكزات الأساسية للمشروع الفكري عند الدكتور محمد عمارة وكيفية تناول مشاكل الدعوة وتحدياتها.
٦. الإسهام في بيان العوامل المؤثرة في إعداد الدعوة إلى الله تعالى في العصر الحاضر وكيفية الإفادة منها والوقوف على الجهود الدعوية العلمية والتطبيقية للدكتور محمد عمارة رحمة الله في دعوته لمختلف أصناف المدعوين.
٧. التعرف على الوسائل والأساليب العلمية والعملية التي اتبعها الدكتور محمد عمارة رحمة الله في دعوته وإبراز أهم أوجه التميز الدعوي لديه رحمة الله.

رابعاً: الدراسات السابقة:

تبين لي بعد استقصائي لقوائم الرسائل الجامعية وسؤال أهل الاختصاص في مجال الدعوة، عدم وجود دراسة علمية مُتخصصة تناولت دراسة جهود الشيخ الدكتور محمد عمارة رحمة الله على الصيغة التي خططناها وهذا لا يعني عدم وجود رسائل وكتب عن الدكتور محمد عمارة رحمة الله فهناك بعض الكتب، أذكرها في ما يلي:

- ١- المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة، طبعة دار مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة.

قد قام الباحث "د. يحيى رضا جاد" في هذا الكتاب بإلقاء الضوء على فكر العلم الدكتور محمد عمارة، كما أن هذه الرسالة إشتملت على الجانب الفكري فقط وقد يستنبط الباحث الأصول والإستنباطات المنهجية من كتب الشيخ الدكتور محمد عمارة رحمة الله ومحور

هذه الدراسة: التعرف على الأصول والاستنباطات المنهجية التي قام عليها المشروع الفكري الذي شيده الدكتور محمد عمارة واستخرجها الباحث من خلال التقسيم الذي قسمه في هذا الكتاب لكن هذا التقسيم لم يستوعب كتب الشيخ، ولهذا هناك نقص و فوات في المواد الذي ذكره المؤلف في عنوان الكتاب.

٢- "الدكتور محمد عمارة الحارس اليقظ المرابط علي ثغور الإسلام" للمؤلف الكبير الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي رحمة الله. نُشر هذا الكتاب في ١٣٠ صفحة من قبل دار المقاصد في بيروت. لا شك أن الدكتور ذكر ميزات الشيخ محمد عمارة رحمة الله ما لم توجد في غيره من المعاصرين في الرد على جميع الفتن و حل مشكلات المجتمعات الإسلامية و طرق نجاة المسلمين من المصائب والنوايب، لكن الكتاب اشتمل على العناوين الرئيسية والمواضيع الأساسية من خلال جهود الشيخ في الرد على الأفكار المنحرفة والمضادة للإسلام ولم يتعرض الأستاد القرضاوي لبيان و توضيح جهود الشيخ في الرد على تلك الفتن والتحديات.

ورغم أهمية وإفادة الباحث من ذلك وما سبق من الدراسات العلمية السابقة، إلا أنه ليس هناك من تناول موضوع مشاكل الدعوة والدعاة في فكر الشيخ الدكتور محمد عمارة رحمة الله ولعل دراسة دعوية علمية يخدم هذا الموضوع دعوياً بشكل خاص، والتخصص الدعوي بشكل عام.

خامساً: مشكلة البحث:

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن سؤال رئيسي، هو:

ما هي منهجية الدكتور محمد عمارة رحمة الله في تناول مشاكل الدعوة؟

ويتفرع منه الأسئلة التالية:

١. ما السمات الشخصية والعوامل المؤثرة في نشأة الدكتور محمد عمارة رحمة الله وتكوين فكره؟

٢. كيف كانت جهود الشيخ محمد عمارة رحمه الله العلمية والتطبيقية المتعلقة بالقضايا
الدعوية المعاصرة؟

٣. ما هي منهجية الدكتور في تناول مشاكل الدعوة وتصنيفاته للقضية؟
٤. ما هي أهم التحديات الداخلية والخارجية في ساحة الدعوة في نظر الدكتور عمارة رحمه
الله؟

٥. ماذا كانت أهم أوجه التميز الدعوي لدى الدكتور محمد عمارة رحمه الله ورده على
الشبهات والإفتراءات؟

سادساً: منهج البحث:

كان منهجي في إعداد هذه الرسالة هو: **المنهج الوصفي التحليلي**، تفكيرًا أو تركيبًا أو تقويمًا.
المنهج الذي يقوم على التحليل الدقيق للسجلات والوثائق المتوفرة ذات العلاقة بموضوع البحث،
ومن ثمًّ يستنتاج ما يتصل بمشكلة البحث من أدلة وبراهين تُجِيب على إجابة أسئلة البحث.

وانطلاقًا من الأهداف التي سيُسْعى البحث إلى تحقيقها، فإنني سأقوم بتحديد وجمع البيانات من
الكتب المتعددة للدكتور محمد عمارة رحمه الله ومن ثم تحليلها والوصول إلى حل مشكلة البحث
وإبراز جوانبه.

سابعاً: خطوات البحث

أما المنهج المتبَّع في كتابة الرسالة، بتوفيق من الله - سبحانه وتعالى - **سأَسِيرُ فِي رَسَالَتِي عَلَى
الْمَنْهَجِ التَّالِيِّ**:

١. قمت بجمع المادَّة العلميَّة المتعلِّقة بهذا الموضوع حسب استطاعتي من مصادرها ومراجعها.
٢. قمت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها في المصحف الشريف مع الالتزام بالرسم العثماني
ووضعتها في قوسين مميزين .
٣. قمت بتأريخ الأحاديث النبوية من مطابِّها، إذا كان الحديث مما أخرجه الإمام البخاري أو مسلم
- رحْمَهُمَا اللَّهُ - أكتفيت بهما عن غيرهما في التأريخ.

٤. أما الأحاديث التي لم يُروها الشیخان، اجتهدت في تحریجها من كتب الحديث المشهورة، ونقلت حکم أهل العلم عليها حسب استطاعتي.
٥. أترجم للأعلام الذين كان لهم إرتباط مباشر بالدكتور محمد عمارة رحمه الله و كانوا معاصرین له وغير المعروفين ترجمة مختصرة وافية بالغرض.
٦. عند ذكر المصدر أو المرجع للمرة الأولى، أقوم بكتابة بيانات كاملة عن الكتاب، تشمل: اسم المؤلف واسم الكتاب واسم المحقق إن وجد، واسم الناشر، ثم مكان النشر ورقم الطبعة وتاريخها، ثم رقم الجزء إن وجد فالصفحة.
٧. أوثق أقوال العلماء من مصادرها الأصلية والأولية وأضعها بين قوسين " " وعند الاختصار في النقل وضعت ثلات نقاط (...) مكان الكلام المحذوف.
٨. عند الإحالة لمصدر أو مرجع تم الاقتباس منه، ذكرتُ كلمة (ينظر) أو (أنظر) قبل اسم المصدر أو المرجع.

ثامناً: خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة وقائمة بالفهارس الفنية والمصادر والمراجع بالترتيب الآتي. المقدمة: تشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب إختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومشكلة البحث، ومنهج البحث، وخطوات البحث وخطة البحث التفصيلية.

التمهيد: التعريف بالموضوع

المبحث الأول: مفهوم المنهج والمنهجية

المبحث الثاني: مفهوم الدعوة ومشاكلها

المبحث الثالث: ترجمة حياة الدكتور محمد عمارة رحمه الله

الباب الأول

في سمات الدكتور محمد عمارة رحمه الله وقواعد منهجيته في
الدعوة

الفصل الأول: سمات في طبيعة شخصية وموهبة الدكتور محمد عمارة

المبحث الأول: الجمع بين العلم والعمل والعقل والنقل

المبحث الثاني: الجمع بين الفكر والأدب والتصوف

المبحث الثالث: الجمع بين التراث والتجديد

المبحث الرابع: الجمع بين دراسة المذاهب الكلامية والتيارات الإسلامية وغير الإسلامية

المبحث الخامس: الجمع بين الوطنية والعروبية والإسلامية والإنسانية

المبحث السادس: الجمع بين الكتابة والخطابة والجهاد

الفصل الثاني: قواعد منهجية الدكتور محمد عمارة في الدعوة

المبحث الأول: الوسطية الإسلامية

المبحث الثاني: العقلانية الإيمانية

المبحث الثالث: الإيمان بالتعددية

المبحث الرابع: المواجهة والتجدد

الباب الثاني

منهجية الدكتور محمد عمارة في تناول مشاكل الدعوة الإسلامية

الفصل الأول: في فقه الإختلاف والتعددية

المبحث الأول: حقيقة الخلاف والإختلاف

المبحث الثاني: طبيعة التفاوت في ساحة الدعوة

المبحث الثالث: التعددية والإختلاف من سنن الفطرة

المبحث الرابع: الإختلاف جعل إلهي و طبيعي في البشر

المبحث الخامس: دور الإجتهاد في صياغة الإختلاف وصيانة الشريعة

الفصل الثاني: أهم المشاكل الداخلية في ساحة الدعوة

المبحث الأول: الخلل في فهم التعددية والإيمان بجدواها

المبحث الثاني: الخلل في علاقة الذات بالآخر

المبحث الثالث: الخلل في العلاقة بين المحلية القطرية والعالمية الإسلامية

المبحث الرابع: الخلل في علاقة التاريخ بالعصر وعلاقة الموروث بالابداع

المبحث الخامس: الخلل في علاقة الحركة بالفكرة

المبحث السادس: الخلل في علاقة التربية الروحية بالتربية السياسية

المبحث السابع: الخلل في علاقة الطاعة بالحرية

الفصل الثالث: أهم المشاكل الخارجية في ساحة الدعوة

المبحث الأول: الغزو الفكري الحضاري

المبحث الثاني: الإلتباس المفهومي للمصطلحات

المبحث الثالث: ما يتعلق بالعلمانية

المبحث الرابع: ما يتعلق بالتنصير

المبحث الخامس: ما يتعلق بالتنوير والتزوير

الباب الثالث

منهجية الدكتور محمد عمارة في مواجهة الشبهات والافتراءات

الفصل الأول: في الرد والنقد للشبهات

المبحث الأول: في الرد على الماركسية

المبحث الثاني: في الرد على العلمانية

المبحث الثالث: في نقد الحضارة الغربية

المبحث الرابع: في نقد ظاهرة الحداثية

الفصل الثاني: في الرد والنقد على الافتاءات

المبحث الأول: اشكاليات في قراءة النص الديني وتفسيره

المبحث الثاني: افتاءات حول الإسلام والحاكمية

المبحث الثالث: افتاءات حول الإسلام و حقوق المرأة

المبحث الرابع: افتاءات حول الإسلام والإرهاب

الخاتمة: وفيه أهم النتائج والتوصيات

الفهارس:

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس المصادر و المراجع

فهرس المحتويات

التمهيد: التعريف بالموضوع

المبحث الأول: مفهوم المنهج والمنهجية

المطلب الأول: مفهوم المنهج

المطلب الثاني: مفهوم المنهجية

المبحث الثاني: مفهوم الدعوة ومشاكلها

المطلب الأول: معنى الدعوة لغة

المطلب الثاني: الدعوة إصطلاحاً

المطلب الثالث: مفهوم المشاكل

المبحث الثالث: ترجمة حياة الدكتور محمد عمارة رحمه الله

المطلب الأول: الميلاد والنشأة

المطلب الثاني: نشاطاته الجامعية

المطلب الثالث: مشاريعه العلمية

المطلب الرابع: أثر البيئة في نشاطه

المطلب الخامس: ملامح المشروع الفكري لدى الدكتور محمد عمارة

المطلب السادس: منهج الدكتور محمد عمارة في دراسة المصطلحات

المطلب السابع: بعض الإتهامات الموجهة للدكتور والرد عليها

المبحث الأول: مفهوم المنهج والمنهجية

المطلب الأول: مفهوم المنهج

كلمة المنهج تعني لغة الطريق وترجع في أصلها اللغوي إلى الفعل (نهج) ومنه النهج، والمنهج، والمنهج، أي الطريق الواضح، ونهج الطريق أي أبانه وأوضحه أيضاً سلكه، وبابها قطع^(١)، وجاء في لسان العرب: طريق نهج: بين واضح... ومنهج الطريق أي وضمه، والمنهج كالمنهج^(٢)، وفي القرآن الكريم: ﴿...لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ...﴾^(٣).

وفي الإصطلاح يعرف المنهج من ناحية الموضوع بأنه الطريق الذي يؤدي إلى الكشف عن حقيقة معينة. ويكون ذلك عن طريق مجموعة من القواعد والوسائل التي يتبعها الباحث للوصول إلى هذه الحقيقة. ومن الناحية الشكلية فإن المنهج هو الإطار الذي توضع فيه البيانات والمعلومات والتي يتم تنظيمها والتعامل معها وفقاً لقواعد وإجراءات معينة^(٤). ويقدم المعجم الفلسفي تعريفاً للمنهج بأنه: "وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة"^(٥)، ويعرف المنهج بصفة عامة على "أنه الترتيب الصائب للعمليات العقلية التي تقوم بها بقصد الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها"^(٦).

المطلب الثاني: مفهوم المنهجية

يُعرف المنهجية في البحث العلمي بأنها الإستراتيجية الشاملة التي يضعها ويتبعها الباحث في دراسته، وتشكل الأساس المنطقي لها، وتتضمن المنهجية كلاً من الأساليب التي يستخدمها

١. الرازى، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر، طبعة دار المعرف - ١٩٩٠ - ص ٦٨١

٢. ابن منظور، أحمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، ٣٤٥ / ١٢، ط١، دار صادر: بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.

٣. سورة المائدة: (٤٨).

٤. أنظر: الماجد، حامد عبد: مقدمة في منهجية ودراسة وطرق بحث الظواهر السياسية، ٢٠٠٠م، ص ١٧.

٥. مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، مادة: منهج، ص ١٩٥.

٦. أنظر: قاسم محمد محمد: المدخل إلى المنهج العلمي، ص ٥٢.

في جمع البيانات وتحليلها، والمبادئ والنظريات التي سيستعين بها لتطوير نهج يتوافق مع الهدف من البحث، والمنهجية هي مفهوم أعم وأكثر شمولاً من المنهج، ويمكن كتابتها في قسم خاص في حال كان البحث طويلاً، ومن الأمثلة الواضحة على منهجية البحث هي اختيار الباحث للبحث الكمي أو النوعي، وذلك بما يتوافق ويتنااسب مع هدف دراسته^(١). وجاء في قاموس لاروس أن المنهجية "هي الدراسة المنتظمة، القائمة على الممارسة العلمية، التي تبني عليها هذه الدراسة وطرق البحث المستعملة فيها. وهي أيضاً مجموعة الطرق والتقنيات لميدان معين"^(٢).

والمنهجية في إعتقدانا هي منظومة تسطر المبادئ لاستخلاص الحلول ويكون ذلك بإتباع المنهج الذي هو روح الطريقة، بمعنى أنه على أساس فرضية واعية، وهدف مسطر يتم تطبيق المراحل المسطرة لتكون النظرية مجسدة في الواقع. ولعل الكثير منا يرى أن المنهج والمنهجية واحد، إلا أن هناك فرق رغم التداخل البادي في كثير من التعريفات. فالمنهج قد يكون غالباً المعرفة العملية.

أما المنهج العلمي "Scientific Method" فيمكن تعريفه بأنه: تحليل منسق وتنظيم للمبادئ والعمليات العقلية والتجريبية التي توجه بالضرورة البحث العلمي، أو ما تؤلفه بنية العلوم الخاصة، والمنهج العلمي بهذا المعنى يستخدم أداة منهجية غاية في الأهمية وهي التحليل، لمجموعة المبادئ والأسس التي ينطلق منها أي بحث علمي، على أن يتسم هذا التحليل بصفات منطقية مثل الإتساق والضرورة، والتحليل لا يتوقف عند الإلمام بهذه المبادئ ولكنه يبحث من بينها عن الأكثربساطة وضرورة ويزحف المتكرر أو المشتق من غيره من المبادئ، كما يمتد التحليل إلى مجموعة العمليات العقلية والتجريبية، فنحن نجري مجموعة من عمليات الإستباط والإستدلال المنطقي والرياضي على ما توفر لدينا من

١ . أنظر: مناهج وأنواع البحث العلمي، ميريه جراح - صحفة وإعلام، نُشر في ٢٠ يناير ٢٠٢٣ ، آخر تحديث ٢٩ يناير ٢٠٢٣ .

٢ . قاموس لاروس المحيط Dictionnaire LAROUSSE AL – MUHIT، ترجمة وتحقيق : د. بسام بركة ومحمد دبس، لغة : عربي - فرنسي، طبعة: ١، ص ٥٨٤ .

معطيات، ونعود في إجراء تلك إلى مجموعة من قواعد الاستدلال ذات الطابع المنطقي الرياضي، ونحتكم بالإضافة إلى ذلك إلى التجربة عند الحكم على مجموعة من النتائج المشتقة بالصدق أو الكذب بصدق مطابقتها للواقع. والمنهج العلمي يمكن أن يأخذ طابع العمومية عندما يشير إلى مجموعة من القواعد العامة التي تعمل طبقاً لها كل العلوم، ويمكن أن توجد مناهج نوعية تتعدد باختلاف العلوم والبناء المنطقي لكل علم^(١)، وفي كل الحالات فإننا نهدف إلى تحصيل المعرفة العلمية وهي رصيد العلم الحقيقي.

المبحث الثاني: مفهوم الدعوة ومشاكلها

تمهيد: الدعوة في الإسلام هي التبشير والدعوة إلى دخول الإسلام، والإيمان به وبما جاءت به رسالته، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وهو بحسب المفهوم الإسلامي قيام المسلم ذي الأهلية في العلم والدين بتبصير الناس وتنويرهم بأمور الدين، وحثهم على الخير، وإنقاذهم من شر واقع، وتحذيرهم من سوء متوقع، على قدر الطاقة، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل^(٢). ويختصر تعريف الدعوة بأنه معرفة الدين ودعوة الناس إليه، ويُسمى المسلم المُطَّوع للدعوة بالداعي أو الداعية، وهو الشخص الذي تطوع لنفسه لهذا العمل، وهو الذي يدعو الناس إلى الإسلام عن طريق الحوار وإقامة المحاجج بعرض التبليغ وإيصال الرسالة.

وردت أدلة شرعية من القرآن والسنة النبوية وكذلك على بعض آثار صحابة نبي الإسلام محمد بأن أساس الدعوة هي اللين والرحمة والتعامل بحُلُقٍ حسن، لا الغلظة والفظاظة، كما يؤمن المسلمين بأنه لا يوجد إكراه في الدعوة ولا إجبار، وتكون الإستجابة بالإختيار. لا تكون الدعوة فقط في غرض الدخول في الإسلام، بل الدعوة في العمل بواجباته وأركانه، والتخلي عما ينافيها، فالدعوة تكون على المسلمين وبشكلٍ أكبر على غير المسلمين. سنحاول في هذا الجزء من بحثنا التوقف عند مصطلح (الدعوة) وأهم دلالاته، ثم نعرض تعريفات ونماذج من تلك المقوله ونختتمه ببيان مفهوم المشكلة أو المشاكل الدعوية ملخصاً.

١. أنظر: د. قاسم محمد محمد: المدخل إلى المنهج العلمي، مرجع سابق، ص، ٥٣، ٥٤.

٢. ابن حميد صالح بن عبد الله، *معالم في منهج الدعوة*، دار الأندلس الخضراء ١٩٩٩م، ص ٩١.

المطلب الأول: معنى الدعوة لغة

كلمة (الدعوة) هي مصطلح إسلامي، وهناك علاقة وثيقة بين مدلول هذا اللفظ في الأصل اللغوي، وبين استعماله كمصطلح إسلامي فقط. والدعوة مشتقة من "دَعَّ و" على وزن "فَعَلَ" ، وهذا اللفظ لا يحمل إلا معنى واحداً، وهو: أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك^(١). ومشتقات هذا الفعل لم تخرج في مدلولاتها عن هذا المعنى أبداً. وكذلك تأتي بمعنى الإملالة والترغيب^(٢).

مشتقة من الفعل الثلاثي دعا يدعو دعوة، والاسم: الدعوة، والقائم بها يسمى داعية، والجمع: دعاء.

ولكلمة الدعوة في اللغة عدة معان: النداء، والطلب، والتجمع، والدعاء، والسؤال، والاستمالة.

قال الزمخشري: دعوت فلاناً وبفلان ناديته وصحت به^(٣).

وقال الرازي: و الدّعوة إلى الطعام بالفتح يقال: كنا في دعوة فلان و مدعوة فلان وهو مصدر والمراد بهما: الدعاء إلى الطعام. والدّعي من تبنيه ومنه قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَةَ أَهْلَ أَبْنَاءَكُم﴾^(٤).

ودعاه صاح به و استدعاه أيضاً و دعوت الله له وعليه أدعوه دعاء. والدعوة المرة الواحدة والدعاء أيضاً واحد الأدعية وتقول للمرأة أنت تدعين وتدعوبين وتدعين بإشمام العين الضمة وللجماعة أنتن تدعون مثل الرجال سواء وداعية اللبن ما يترك في الضرع ليدعوا ما بعده.

وفي الحديث: «دع داعي اللبن»^(٥) (١).

١ . ابن فارس، ابوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ، دارالحديث بالقاهرة، ٢٠٠٨ م، ج ٢، ص ٢٧٩ .

٢ . الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط ، دارالكتب العلمية، ١٤١٠ م، ج ١، ص ١٧٦ .

٣ . الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، أساس البلاغة، دار الفكر، ط ١٩٧٩ هـ/١٣٩٩ م، ج ١ ص ١٨٩ .

٤ . سورة الأحزاب (٤).

٥ . أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلـي، الأحاديث المختارة، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط ١٤١٠ هـ، جل، ص ٩١ .

وقال ابن منظور: الدعوة: المرة الواحدة من الدعاء ومنه الحديث: «فإن دعوتهم تحيط من ورائهم» ^(٢). أي تحوطهم وتكلفهم وتحفظهم يريد أهل السنة دون البدعة. والدعاء: واحد الأدعية، وأصله دعاؤ لأنه من دعوت، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزة ودعا الرجل دعوا ودعاه: ناداه، والاسم: الدعوة. و دعوت فلاناً أي صحت به واستدعيته. والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلال، وأحدهم داع. ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه لللمبالغة ^(٣). وقال الزبيدي: (الدعاء)، بالضم ممدوداً؛ (الرَّغبةُ إِلَى اللَّهِ تعالى) فيما عنده من الخير والابتهاج إليه بالسؤال؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَدْعُوكُمْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ^(٤).

(دعا) يَدْعُو (دعاً وَدَعْوَى)؛ وألفها للثانية. وقال ابن فارس: وبعض العرب يؤتى الدعوة بالألف يقول الدعوى. ومن دعائهم: اللهم أشْرِكْنَا في دعوى المسلمين، أي في دعائهم، ومنه قوله تعالى: ﴿دَعَوْنَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٥).

المطلب الثاني: الدعوة إصطلاحاً

قدم العلماء والباحثون تعريفات متعددة للدعوة؛ فمنها أن: الدعوة عملية إحياء لنظام ما؛ لتنتقل الأمة بها من محيط إلى محيط، وعلى هذا فيعرف فضيلة الدكتور رؤوف شلبي - رحمة الله تعالى - الدعوة الإسلامية بما يلي:

١. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، *مخاتر الصحاح*، المرجع السابق، ج ١، ص ٨٦.

٢. أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م، ج ١ ص ١٦، رقم الحديث: ٤٢٢١. وقال حديث صحيح على شرط الشييخين ولم يخرجاه.

٣. ابن منظور، أحمد بن مكرم الأفريقي المصري، *لسان العرب*، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٥٨-٢٥٩.

٤. سورة الأعراف (٥٥).

٥. سورة يونس (١٠).

هي الحركة الإسلامية في جانبيها: النظري والتطبيقي. من حيث هي: حركة بناء للدولة الإسلامية. ومن حيث هي: دفاع عن استمرار وجود الدولة الإسلامية^(١).

كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة، فإنه يراد بها في الغالب معنian: الأول: الدعوة بمعنى الإسلام أو الرسالة والثاني: الدعوة بمعنى عملية نشر الإسلام وتبيين الرسالة.

وعلى المعنى الأول: الدعوة بمعنى الإسلام أو الرسالة جاءت تعريفات اصطلاحية كثيرة، ومنها:

قيل: هي دين الله الذي بعث به الأنبياء -عليهم الصلاة و السلام- جمياً، تجدد على يد محمد -صلى الله عليه وسلم- خاتم النبيين، كاملاً وافياً لصلاح الدنيا والآخرة. وقيل: هي دين الله الذي ارتضاه للعالمين؛ تمكيناً لخلافتهم، ويسيراً لضرورتهم، ووفاءً بحقوقهم، ورعاياً لشؤونهم، وحمايةً لوحدهم، وتكريماً لإنسانيتهم، وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم. وقيل: هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني، وتقرير الحقوق والواجبات. وهي قبل ذلك وبعده: الاعتراف بالحالق، والبر بالخلق^(٢). وقيل: هي نداء الحق للخلق؛ ليوحدوا المعبود، ويعبدوا الواحد، حنفاء لله غير مشركين به، متبعين غير مبتدعين^(٣).

وأما على المعنى الثاني: (الدعوة بمعنى عملية نشر وتبيين الإسلام) فجاءت أيضاً على تعريفات كثيرة، ومنها: عرّفها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- بقوله الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسالته بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا وذلّك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربّه كأنه يراه^(٤).

١. شibli Rwof, الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياته، نشر دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢م، ج١، ص ٢٧.

٢. الراوي محمد عبدالرحمن، الدعوة الاسلامية دعوة عالمية، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م، ص: ١١-١٢.

٣ . أبو السعود عبد رب النبي علي، التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميتها، دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م. ص ١٩.

٤ . أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع فتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة ابن تيمية، ط٤، ١٤٠٨هـ، ج ١٥٧-١٥٨.

وقيل: هي تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة^(١). وقيل: هي الحث على فعل الخير واجتناب الشر والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتحبيب بالفضيلة، والتنفير من الرذيلة واتباع الحق ونبذ الباطل^(٢). وقيل: هي الدعوة إلى توحيد الله، والإقرار بالشهادتين، وتنفيذ منهج الله في الأرض قولاً وعملاً، كما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ ليكون الدين كله لله^(٣). وقيل: هي قيام من له أهليه، بدعوة الناس جميعاً، في كل زمان ومكان، لاقتضاء أثر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتأسي به، قولاً وعملاً وسلوكاً^(٤). وقيل: هي إبلاغ الناس دعوة الإسلام، في كل زمان ومكان، بالأساليب والوسائل، التي تتناسب مع أحوال المدعوين^(٥). وقيل: هي فن يبحث في الكيفيات المناسبة التي يجذب بها الآخرين إلى الإسلام أو يحافظ على دينهم بواسطتها^(٦). وقيل: هي إنقاذ الناس من ضلاله أو شر واقع بهم، وتحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه^(٧). وقيل: هي عملية إحياء لنظام ما؛ لتنتقل الأمة بها من محيط إلى محيط^(٨). وقيل: هي قيام الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام إلى الناس كافة، وفق المنهج القويم، وبما يتناسب مع أصناف المدعوين، ويلائم أحوال وظروف المخاطبين في كل زمان ومكان^(٩).

-
- ١ . البيانوني أبوالفتح محمد، **المدخل إلى علم الدعوة**، مؤسسة الرسالة العالمية، ٢٠١٠م، ص ١٧.
 - ٢ . الخطيب محمد نمر، **مرشد الدعوة**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨١م / ١٤٠١هـ، ص: ٢٤.
 - ٣ . الوعي توفيق، **الدعوة إلى الله "الرسالة - الوسيلة - الهدف"**، ص: ١٩، مكتبة الفلاح، الكويت ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
 - ٤ . الحبيب محمد بن سيدى، **الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل**، دار الوفاء، جدة، ط ١، ١٤٠٦هـ ص: ٢٧.
 - ٥ . المرشد علي صالح، **مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر**، مكتبة البينة، دمنهور، مصر ط ١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢١.
 - ٦ . الشاذلي عبد الله يوسف، **الدعوة والإنسان**، المكتبة القومية الحديثة، طنطا ط ١، ١٤٢٧هـ، ص: ٣٩.
 - ٧ . الخضر حسين محمد، **الدعوة إلى الإصلاح**، المطبعة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٣٤٦هـ، ص: ١٧.
 - ٨ . رؤوف شلبي، **الدعوة الإسلامية في عهدها المكي منهجها وغاياتها**، دار القلم، الكويت، ط ٣، ٢، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٣٢.
 - ٩ . المعندي عبدالرحيم، **الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية**، دار الحضارة، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٣١هـ، ص: ٤٩.

وهذه التعريف لا منافاة بينها، فليست من باب إختلاف التضاد، لكنها من باب إختلاف النوع، فكل تعريف للدعوة من هذه التعريف عنى بجانب من جوانب الدعوة ورکز عليه^(١). والباحث هنا أراد المعنى الثاني وهو عملية النشر والتبلیغ؛ لصلته الوثيقة بمقصد البحث.

ولکی یشتمل تعريف الدعوة الإسلامية مراحل الدعوة الثلاثة:

التبلیغية، والتکوینية، والتنفيذية من جهة، ولکی یحتوي على عناصر عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عامة، وعمل نبینا محمد صلی الله علیه وسلم خاصة من جهة أخرى، فقد رأى الشیخ الأستاذ/ محمد أبو الفتح البیانوی أن تعریف الدعوة الإسلامية بأنها: (تبلیغ الإسلام للناس، وتعلیمه إیاهم، وتطبیقه في واقع الحياة).

ومن خلال آیات في كتاب الله -عز وجل- تتحدد عن الدعوة من حيث هي هدایة وإرشاد، وتبلیغ وإنذار، وجهاد بالقرآن الكريم، فإنی أستعرض بعض تلك الآیات:

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَقُولَّا مَا أَحِبُّوْ دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرُ لَكُم مَنْ ذُنُوبُكُمْ وَيُحِرِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلَّمِ﴾^(٣).

كما جاء قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ يَلْعَمُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٤). ، وقوله تعالى:

﴿وَجَهَدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَيْرًا﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿فُرُّ فَانِذْرَ﴾^(٦).

ومما سبق يتضح أن الدعوة هي عملية دعاء وتبلیغ وإنذار، وبذل للجهاد، وهدایة إلى الطريق المستقیم، وغفرة الذنوب، والفوز بالجنة، والنجاة من النار. وعلى ذلك ممکن أن قدم تعريفاً للدعوة وهو: إنذار الناس وتبلیغهم دین الله تعالى، وبذل الجهد في نصحهم بالتي هي أحسن؛ للترقی بهم إلى أعلى المراتب.

١ . العمار حمد ناصر عبد الرحمن، *نصوص الدعوة في القرآن الكريم*، دار إشبيلية، الرياض، ط٢، ٢٠٠٢ م / ١٤٢٢ هـ . ص: ١٨.

٢ . سورة يوئس: (٢٥).

٣ . سورة الأحقاف: (٣١).

٤ . سورة المائدة: (٦٧).

٥ . سورة الفرقان: (٥٢).

٦ . سورة المدثر: (٢).

المطلب الثالث: مفهوم المشاكل

المشاكل التي تعرّض طرائق الإصلاح والترشيد والدعوة، متنوعة متباعدة، وسوف نعرض خلال الرسالة بعض أبرز وأوسع وأشهر نماذجها الراهنة في رؤية الدكتور محمد عمارة رحمه الله. لكن من المناسب قبل التعرض لذلك أن نقف وقفه قصيرة عجلى أمام مصطلح (المشاكل)، فالمصطلحات كما سبقت الإشارة- بالنسبة للفكر والثقافة هي كالمعاجم بالنسبة للغة والمفردات.

المشكلة هي ذلك الوضع الذي يمثل وجوده أو عدم وجوده، تهديداً أو إضعافاً أو تشويهاً جزئياً أو كلياً، دائماً كان أو مؤقتاً، لوجود وضع آخر يراد له الثبات والقوة والاستمرار والتمكين ومثال ذلك التحدي الثقافي، فهو يمثل تهديداً وخطراً وإضعافاً وتشويهاً لمنظومة ثقافية أخرى لها نسقها ومرجعيتها المتميزة، ولهذا السبب يصح أن نطلق عليه مصطلح التحدي الثقافي^(١).

أيضاً هنالك تعريف آخر يقول بأن المشاكل هي تطورات أو متغيرات أو مشكلات أو صعوبات، أو عوائق نابعة من البيئة المحلية أو الإقليمية أو العالمية. وهي قد تكون ذات صبغة ثقافية أو إعلامية أو دينية أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو صحية أو بيئية.. إلخ^(٢).

وغالباً ما يكون حجم المشاكل عاملاً رئيساً في تحديد مدى أخطارها وأضرارها على الوضع الذي تستهدفه أو تهدده، فقد لوحظ أن بعض المشاكل يمثل خطراً حقيقياً، نظراً لشدة تأثيرها، وأن بعضها الآخر يكون إفتراضياً أو محدود التأثير.. فنوعية المواجهة أو طريقة التصدي تتحدد بناء على تقويم نوع التحدي ومدى تأثيره أو ضرره.

١. أنظر: النويري، إبراهيم، أهم التحديات المعاصرة في طريق الدعوة الإسلامية، مجلة الجامعة الأسمورية، عدد ٢٠، سنة ١١.

٢. زكريا داود، الأمة الإسلامية والتحديات المعاصرة، مقال منشور على موقع www.awihdah.com / تاريخ ٢٦ أبريل ٢٠١٠.

المبحث الثالث: ترجمة حياة الدكتور محمد عمارة

تمهيد: تكمن أهمية الدراسة من حياة الدكتور محمد عمارة ومنزلته في الساحة الإسلامية والفكر الإسلامي تأصيلاً لنقاط الحوار مع الآخر وتحديداً في العرض المنطلق من التراث والمستفيد من التطورات التي شهدتها الإنسانية كلها. بالإضافة إلى أهمية المصطلحات وتحريرها لأهميتها في إقامة حوار فعال. تنقسم هذه الدراسة إلى مبحث يشمل أوله تعريفاً بالدكتور محمد عمارة بدايةً من الميلاد والنشأة وحياته وتكوينه الفكري، وتناول المطالب المتتالية ضبط المصطلحات وأهميتها في كتاباته ومنهجه في دراستها، وفي النهاية الرد على بعض التهم الواردة على الدكتور رحمة الله وهو متبرأ منها.

المطلب الأول: الميلاد والنشأة

الدكتور محمد عمارة مصطفى عمارة (١٩٣١ - ٢٠٢٠) عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ولد في قرية "مروة" (١) في ريف مصر في مركز قلين" بمحافظة كفر الشيخ في شهر رجب سنة ١٣٥٠ هـ الموافق ١٩٣١ م. وقد نذره والده وهو ما زال حملاً في بطن أمه إن جاء ذكرًا سيسميه محمداً ويعبه العلم أي العلم الدين. (٢). حفظ القرآن الكريم في سن صغيرة في كتاب القرية، ثم دخل المعهد الديني الابتدائي عام ١٩٤٥ م وهو في الرابعة عشرة من عمره، وكان هذا طبيعياً في تلك الحقبة الزمنية وقد تأثر في تلك المرحلة الأولى في تكوينه العلمي بأستاذه الشيخ محمد كامل الفقي الذي شجعه وزملاءه على القراءة ومطالعة في غير الكتب المدرسية. وهو في سن الثامنة عشرة من عمره تمكن من شراء مكتبة كاملة كان قد تركها الشيخ عبد التواب الشناوي أحد خريجي الأزهر بعد وفاته في القرية نفسها، وكانت مكتبة غنية تحوى أربعة آلاف كتاب في الفكر والتراث العربي الإسلامي والفلسفة والاجتماع

١ . أنظر: محمد، بليوجرافيا الدكتور محمد عمارة، المؤلفات كشاف الفهارس الموضوعات، ١١/١١ - ١٧؛ جاد، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة: ٤٧٠ - ٥٤٠ . ومحمد عمارة، حقائق وشبهات حول معنى السنة في القرآن الكريم (القاهرة، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١٠)، ٢١٣ - ٢٢٢ . محمد عمارة، حقائق وشبهات حول القرآن الكريم، القاهرة، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١٢م، ٢٥١ - ٢٦٢ . د. معن الخطيب، محمد عمارة في حديث مع الجريدة عن حياته، ٢٤ سبتمبر ٢٠٢٢م.

٢ . عمارة، محمد، الإسلام والأمن الاجتماعي، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٩٩٨م، ص ١٢٣ .

والأدب والحديث والفقه والتاريخ، بين عربية ومتدرجة عن الأوربية، وقرأها وهو طالب وحفظ كثيرا منه^(١).

ثم انتقل إلى المعهد الأزهري الثانوي بطنطا عام ١٩٤٩م بعد أن حصل على الشهادة الابتدائية. فحصل على الشهادة الثانوية عام ١٩٥٤م. وفي تلك الأثناء التي شكلت لبنات أساسية في فكره زاحمت أفكار التنظيمات المصرية اليسارية التكوين الديني في ذهنه، فجعلته مقتنعا بأفكارها السياسية الإجتماعية لا سيما ما يتعلق بالعدالة الإجتماعية التي كانت طلبه في قريته بسبب ما يعانيه الفلاحون من الإقطاعيين. كما صاحب ذلك اهتماماته بالقومية العربية طوال الخمسينيات والستينيات^(٢).

المطلب الثاني: نشاطاته الجامعية

إتحق محمد عمارة بكلية دار العلوم في القاهرة بعد إجتيازه إختبارات القبول، وكان ذا نشاط ظاهر بين طلاب الجامعة، فقد أنشأ مع زملائه مجلة حائط باسم "الشروع" لنشر مواد ثقافية وفكرية، وبدأ الكتابة في جريدة "المساء" التي صدرت عام ١٩٥٦م. وأصدر أول كتاب له عام ١٩٥٨م، وهو كتاب "القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب"، الذي ما لبث أن ترجم إلى اللغة الروسية في ذلك الوقت وفي أثناء دراسته في كلية دار العلوم. كانت القاهرة مليئة بالنشاط الثقافي الذي يمكن الباحث أن ينهل من المحاضرين المتنوعين المشارب والاهتمامات والمذاهب الفكرية والأدبية والسياسية، فكان يحضر كثيرا من اللقاءات والمحاضرات لأمثال طه حسين والعقاد في لقاءاتهم الخاصة وال العامة في أماكن مختلفة في القاهرة، مع ما كان يقرأه في مختلف الإتجاهات الفكرية إلى جانب ما ينشره من المقالات في صحيفة "المساء" المصرية ومجلة "الآداب" البيروتية وغيرهما^(٣).

١ . محمد على أبو هندي، مشروع النهضة بين الإسلام والعلمانية، دراسة في فكر محمد عمارة ومحمد عابد الجابري، القاهرة، مصر: دار السلام المطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ١٤٣١هـ، ص ٥٠-٥١.

٢ . يجى رضا جاد، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة، القاهرة، مصر: مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠١٨، ص ٤٧٦-٤٧٨.

٣ . عمارة، محمد، نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام، الطبعة الأولى، الجيزة - مصر، ١٩٩٧م، ص ٢١٩.

وكان المفترض أن يتخرج محمد عمارة في كلية دار العلوم عام ١٩٥٨م، لكنه فصل من الجامعة لمدة عام بسبب نشاطاته، وبعد نهاية مدة الفصل عاد إلى الجامعة، وفي بداية عام ١٩٥٩م اعتقل لمدة خمس سنوات ونصف، ثم خرج واستكمل دراسته وتخرج عام ١٩٦٥م. ثم التحق بالدراسات العليا بقسم الفلسفة في كلية دار العلوم، وحصل على درجة الماجستير عام ١٩٧٠م بموضوع مشكلة الحرية الإنسانية عند المعتزلة" حيث درس وحقق عدداً من النصوص التراثية المتعلقة بفكرة "العدل والتوحيد"، ونشر تلك الرسالة فيما بعد في كتابين: "رسائل العدل والتوحيد" و "المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية". ثم سجل لدراسة الدكتوراه حول موضوع "نظرية الإمامية وفلسفة الحكم عند المعتزلة" حيث قدم دراسة مقارنة لفكرة المعتزلة مع الشيعة والفرق الإسلامية الأخرى حول موضوع الدولة والخلافة والإمامية، وحصل على الدكتوراه عام ١٩٧٥م^(١).

المطلب الثالث: مشاريعه العلمية

وبعد تخرجه في الجامعة أعطى كل وقته تقريباً وجميع جهده لمشروعه الفكري، فحقق عدداً من نصوص التراث الإسلامي القديم والحديث وجمع وحقق ودرس الأعمال الكاملة لعدد من أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة، رغم ما قيل عنهم من معارضتهم في وقتهم وما يقال حتى الآن أمثال الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي (ت. ١٨٧٣م) والجمال الدين الأفغاني (ت. ١٨٩٧م) ولمحمد عبده (ت. ١٩٠٥م) ولعبد الرحمن الكواكبي (ت. ١٩٠٢م) ولعلي مبارك (ت ١٨٩٣م) وقاسم أمين (ت ١٩٠٨م) وكتب عنهم أيضاً كتب أخرى إضافة إلى أعمالهم الكاملة. وكتب عدة دراسات عن أعلام التجديد الإسلامي مثل: عبد الرزاق السنهوري باشا (ت. ١٩٧١م) والشيخ محمد الغزالى (ت. ١٩٩٦م) وعبد الحميد بن باديس (ت ١٩٤٠م) ومحمد الخضر حسين (ت ١٩٥٨م) وأبي الأعلى المودودي (ت ١٩٧٩م) وحسن البنا (ت ١٩٤٩م) وسيد قطب (ت. ١٩٦٦م). وعن أعلام التراث

١ . يحيى، رضا جاد المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة (القاهرة، مصر : مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠١٨)، ص ٤٧٤، ٤٩٣، ٤٩٤.

الإسلامي على مختلف مشاربهم ومذاهبهم الفكرية، مثل: غيلان الدمشقي (ت. ٦١٠ هـ) والحسن البصري (ت ١١٠ هـ) وعمرو بن عبيد (ت ٤٤٤ هـ) ومحمد بن الحسن النفس الزكية (ت. ٤٥٥ هـ) وابن رشد (ت ٥٥٩ هـ). وكتب عن بعض الصحابة مثل عمر بن الخطاب (ت ٢٣ هـ) وعلي بن أبي طالب (ت. ٤٠ هـ) وأسماء بنت أبي بكر (ت ٧٣ هـ) وغيرهم.

وقد حاور محمد عمارة عدداً من أصحاب المشاريع الفكرية الواقفة وناظرهم، أمثال نصر أبو زيد^(١) ومحمد عابد الجابري^(٢) واهتم في مؤلفاته بالسمات المميزة للحضارة الإسلامية على طول تاريخها، وبالمشروع الحضاري الإسلامي في مرحلتي التراجع والنهضة، وعرض المواجهة مع الحضارات غير الإسلامية ودفافعها، وتيارات العلمنة والتغريب في كتابات المسلمين وغيرهم وانشغل بموضوعات العدل الاجتماعي الإسلامي، ومباحث العقلانية الإسلامية والنص والإجتهاد وعدم التعارض بين النقل والعقل كما أسمهم في تحرير العديد من الدوريات الفكرية المتخصصة، وشارك في كثير من الندوات والمؤتمرات العلمية في مصر والوطن العربي والعالم الإسلامي وخارجها، كما شارك في تحرير العديد من الموسوعات السياسية والحضارية العامة مثل: "موسوعة السياسة" و"موسوعة الحضارة العربية" و"موسوعة الشروق" و"موسوعة المفاهيم الإسلامية" و "الموسوعة الإسلامية العلمية" و "موسوعة الأعلام..." وغيرها.

١. نصر حامد أبو زيد (٣٠١٩٤٣-٢٠١٠) أكاديمي مصري، وباحث متخصص في الدراسات الإسلامية ومتخصص في فقه اللغة العربية والعلوم الإنسانية. أثارت كتاباته ضجة إعلامية في منتصف التسعينيات من القرن الماضي وأثارت بالردة والإلحاد. وحكمت محكمة مصرية بالتفريق بينه وبين زوجته. نادى أبو زيد بإخضاع القرآن لنظرية غربية مادية تنكك الحال وتقول الوحي الإلهي على أنه إفراز يبعوي أسطوري، ناتج عن المعرفي التاريخي الغارق في الأسطورة. رد عليه كثيرون منهم الدكتور محمد عمارة رحمة الله.

٢. محمد عابد الجابري (٢٧ ديسمبر ١٩٣٦ - ٣ مايو ٢٠١٠) هو أستاذ الفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بالرباط. ألغى المكتبة العربية بتأليفه ٣٠ كتاباً تدور حول قضايا الفكر المعاصر ويعد «توطين الفكر العربي» أهمها وكان قد ترجم إلى عدة لغات، حصل على جائزة بغداد للثقافة العربية من اليونسكو عام ١٩٨٨ والجائزة المغربية للثقافة في تونس عام ١٩٩٩ ، يعتبر د. الجابر من اهم المفكرين المغاربيين الذين تركوا بصمة واضحة في الأدب العربي المعاصر.

وقد نال عضوية عدد من المؤسسات العلمية والفكرية والبحثية، مثل: "المجلس الأعلى للشئون الإسلامية" و "مركز الدراسات الحضارية" و "مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف" في القاهرة، و "المعهد العالي للفكر الإسلامي" في واشنطن، و "المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مؤسسة آل البيت بالأردن، وحصل على عدد من الجوائز والأوسمة والشهادات التقديرية والدروع، مثل: "جائزة جمعية أصدقاء الكتاب" لبنان ١٩٧٢م، و "جائزة الدولة التشجيعية" مصر ١٩٧٦م، و "وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى مصر ١٩٧٦م، و "جائزة علي وعثمان لمفكر العام ١٩٩٣م، و "جائزة المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ١٩٩٧م، و "وسام التيار القومي الإسلامي - القائد المؤسس" ١٩٩٨م، وجائزة مؤسسة "أحمد كانو للدراسات الإسلامية" البحرين ٢٠٠٥م، (١). وتوفي رحمه الله في ٢٠٢٠ / ٢٨٠٢. وترجم عدد كبير من كتبه إلى عدة لغات شرقية وغربية مثل اللغة التركية والملاوية الفارسية والأوردية والإنجليزية والفرنسية والروسية والإسبانية والألمانية والألبانية والبوسنية.

المطلب الرابع: أثر البيئة في نشاطه

وقد تأثر محمد عمارة بما كان حوله من ظروف إجتماعية وسياسية واقتصادية؛ فعارض الظلم الإقطاعي بوسائل عديدة كخطبه التي كان يلقاها في مساجد قريته. وكتاباته في جريدة حزب مصر الفتاة" نثرا وشعرا في نقد الأوضاع السياسية والاجتماعية القائمة آنذاك. وجدير بالذكر أن الدكتور محمد عمارة صاحب التجربة الروحية الصوفية الذاتية بعيدا عن الطرق والجماعات، لم يقبل كل ما في الاشتراكية من طابع مادي وتفسيرات مادية لنشأة الخلق أو التطور التاريخي (٢) ولقد كان عمارة متعاطفا مع ثورة يوليو عام ١٩٥٢م في بدايتها؛ لأنها في وجهة نظره كانت انتصارا لإرادة الشعب ضد الإقطاع والملك الذي يحميه، لكنه سرعان

١. عمارة، محمد، الإسلام والأمن الاجتماعي (دار الشروق ١٩٩٨) ص ١٢٥-١٢٦.

٢ . يحيى رضا جاد، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة ، المرجع السابق، ٧٨؛ محمد علي أبو هندي مشروع النهضة بين الإسلام والعلمانية، دراسة في فكر محمد عمارة ومحمد عابد الجابري (القاهرة، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ١٤٣١) ص ٥٢-٥٣.

ما نفر منها حين وجدتها تستخدم الآليات والقوى والرموز والأشخاص الذين كانوا في يد الملك من قبل، وهم في الأساس يعادون الثورة وأهدافها^(١). واستمر محمد عمارة في مساره الاشتراكي حتى اعتقل مع كثير من أعضاء التنظيمات الشيوعية عام ١٩٥٩م، وبعد خروجه لم يشارك في أي عمل سياسي؛ لأن موقفه الفكري قد تبلور في السجن، بعد أن رأى عن قرب الفرق والجماعات اليسارية والإسلامية باختلاف إتجاهات أصحابها، وقرر التفرغ الكامل والتركيز على صناعة الفكر؛ ليعمل على تصحيح الفهم الخاطئ للنص الديني وتعاليمه. وقد بدأ ذلك منذ بداية خطبه في مساجد القرية حين بدأ بنصيحة الفلاحين أنهم إذا لم يحصلوا من عملهم على ما يكفيهم وأولادهم، فإنهم عصاة الله، وذكر لهم أن الله يبشر الذين يظلمون أنفسهم بالنار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمَىٰ أَنفُسِهِمْ قَاتِلُوا فِيمَ كُتُبُمْ قَاتِلُوا كُلَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَاتِلُوا أَمَّرَ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوِهِمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٢). وكان في ذلك يشجع الفلاحين المستضعفين على الثورة في وجه الإقطاع وظلمه^(٣).

وهكذا مر محمد عمارة بتحولات فكرية عديدة، فرغم نشأته الدينية فإنه كان في بداياته يساريًا عروبيًا منظراً للفكر الماركسي مكرسًا نشاطه دفاعاً عن العروبة ومحاربة الإستعمار حتى إنتهى به المطاف إلى مغادرة الجبهة اليسارية والانضمام إلى التيار الإسلامي. وعن هذا التحول يقول الدكتور عمارة: "دخلت اليسار من باب الدفاع عن القضايا الثورية والعدالة الاجتماعية، لكنني إكتشفت أن حل المشكلة الاجتماعية هو في الإسلام، وليس في الصراع الطبقي والماركسي"^(٤).

١ . عبد الرازق عيسى، محمد عمارة داعية للإحياء والتجدد، دمشق: دار القلم، د.ت، ص ١٥ .

٢ . سورة النساء: ٩٧ .

٣ . يحيى رضا جاد، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة، المرجع السابق، ص ٤٨٨ .

٤ . الرفاعي، عبد الجبار الاجتهد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، بيروت، لبنان: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ص ١٦٠ .

المطلب الخامس: ملامح المشروع الفكري لدى الدكتور محمد عمارة

وكان عمارة ينتقد تركيز التيارات الإسلامية على السياسة وإهمالها المشروع الإصلاحي، وتجاهلها مسألة العدالة الاجتماعية. ويرى أن الواجب إبراز حقيقة الإسلام ومعالمه عقيدة وشريعة ومنظومة فكرية، وإحياء المجتمع بالإسلام الذي أحيا الدنيا في العصور الأولى، وهدى الإنسانية حين أخرجها من الظلمات إلى النور، والاهتمام بفقه الواقع الذي نعيش فيه وإنزال الأحكام الإسلامية عليه، ودفع ما يحيط بالإسلام من عداوات وتحديات خفية أو معلنة، فتعرف إسلامنا، وتعرف الآخرين بحقيقة، ونتعرف على الواقع الذي نحن بحاجة إلى فقهه وإلى أسلنته، وعلى التحديات التي يواجهها الإسلام. وبذلك تتكون معالم المشروع الفكري الوسطي المستواعب الإستقطاب الواضح في الحياة الفكرية بين قوم إحترفوا الكتابة في الإسلاميات لكن بضاعتهم مزاجة في محاورة الأفكار الأخرى والتغلب عليها، فتبقي فائدتهم -إن وجدت- محلية لا تصمد أمام الآخر، وبين آخرين تمذهبوa بالماذهب العربية وأتقنوا الفكر الغربي وجهلوا قضايا الفكر الإسلامي، رغم أنهم مسلمون لكنهم إنبهروا بالغرب ورأوا فيه علاجا لكل مشكلاتهم، فكان لا بد من مشروع يستهدف تكوين عقلية إسلامية بنوبة إسلامية وجذور إسلامية، مع قدرتها على رؤية الإسلام في ضوء الفكر الآخر ورؤيه الفكر الآخر في ضوء الإسلام؛ لتكتشف ميزات وتفرد الإسلام وحيها وحضارتها. إستمر عمارة في طريقه ساعيا إلى أن يقدم للمكتبة العربية الإسلامية مشروعًا فكريًا واعيًا يعالج قضايا يستطيع المتمعن في قراءته أن يكون حولها فكرة تضيء طريقه بنور التراث وتمده بآليات التفاعل مع الواقع بعقلية إسلامية أصولية ترتبط بالجذور الإيمانية والحضارية وتعيش عصرها وتستشرف مستقبلها. فقد أخذ موضوع الاستشراق و ملف التنصير وكشف ما في بضاعة أصحاب تلك المسالك من زيف و خوار نصيبا ملحوظا من كتاباته. كما أسهم بما قدمه من فكر متزن في قضية المرأة التي هي إحدى رئتي الأمة، و تحريرها بالإسلام الذي رفع قدرها و ميزها بكثير من الحقوق التي أخرجتها من ويلات ما تعرضت له من إحتقار وإهانة خارج الإسلام، والرد على شبّهات الغلاة حول القرآن وما يتعلّق به من علوم ومصطلحات سبب سوء فهمها كثيرا من الغلط الذي كان له أثر بالغ في تاريخ المسلمين. وحقق نصوصا تراثية

لعدد من العلماء وقادة الفكر الذين رأهم رواداً للبيضة الإسلامية الحديثة، كما اختار من التراث القديم نصوصاً وشخصيات وجد فيما قدمته عطاءً لا يزال صالحاً للبناء عليه في واقعنا الذي نعيشه، ومعالجة قضايا قديمة إلى جانب تناوله هموماً حالية تعيشها الأمة العربية الإسلامية. وقد عمل على محو الفصم التكذ الذي إدعاه البعض بين الأصول الحضارية، وبين الواقع الذي نعيش فيه والمستقبل الذي نحاول استشرافه^(١)، دون مصادرة الآخر الذي نعيش معه ويعيش معنا، فالمصادرة والإكراه لا يحلان المشكلة ولا يصلان بالشخص الإيمان حقيقي، فالمنهج القرآني يستدعي ما لدى الآخر على تنويعه قال تعالى: ﴿ قُلْ هَأْتُمْ بِرُهْنَتُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٢)، ﴿ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا أَذْنَنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾^(٣)، ويناقشه بالحجة، رغم أن الآخر يقول: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعْنَكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾^(٤). هذا القرآن الذي حوى فكر ذلك الآخر الذي وصف نبيه بالسحر والجحون، ثم تمادي حتى نفي الآخرة وجعل الدنيا هي كل شيء ولا شيء بعدها، ثم استنكر التوحيد رغم أنه أمر منطقي لا شبهة فيه بل ويعكده كل ما يدور حوله.

وطوال مسيرة عمارة كان يستشعر الحاجة إلى مشروع يقدم الإسلام نظاماً ومشروعياً للأمة، ينطلق من أصوله الجوهرية الندية، المقدس فيه هو البلاغ القرآني والبيان النبوى له وما عدا ذلك مما في التراث يسترشد به غير مقدس وإنما نأخذ منه ما يفيد وما يجib التساؤلات المطروحة في واقعنا المتغير. فالعلماء في القرون الماضية كانوا يجتهدون لعصورهم، ولو كانوا في عصرنا لما وقفوا عند إجتهادات الأقدمين، فالتراث مُسْحَرٌ لنا كباقي آيات الكون، والأمة الإسلامية تميز موروثها الفكري بعقلانية منطلقة من القرآن الكريم معجزة

١ . عمارة، محمد. الصحة الإسلامية والتحدي الحضاري، القاهرة، مصر: دار الشروق ١٩٩٧م، ص ١٥٦-١٦٢؛ عمارة، محمد، مسيرة قلم، القاهرة، مصر: دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٦م، ص ٢٦-٢٧.

٢ . سورة البقرة: ١١١.

٣ . سورة الأنعام: ١٤٨.

٤ . سورة فصلت: ٢٦.

الإسلام العقلية التي أنت لتحتكم إلى العقل لا لتدھشه - كالمعجزات المادية التي أتى بها الرسل والأنبياء التي أدهشت عقول المخاطبين بها وشلتها عن التفكير - فاھتمت باستدھاء العقل واستنفاره في إطار الإيمان وبناء العقلية المؤمنة التي تقيم الأدلة العقلية على النقل ولا تعارضه فالمقابل للعقل في الإسلام هو الجنون.

المطلب السادس: منهج الدكتور محمد عمارة في دراسة المصطلحات

إن قضية المصطلح ودراسته من أهم القضايا العلمية وأدق المسائل المعرفية؛ فبها تثبت المعاني وتتحدد المقاصد وتظهر الدلالات، فأي خلل في تأسيس مصطلح ما للدلالة على معنى معين، قد يؤدي إلى معانٍ مضطربة بعيدة عن مقصد المستخدم، لا سيما إذا كان المصطلح يتعلق بالدين والعقيدة، ففهم أي مصطلح من المصطلحات التي تناولها القرآن الكريم سواء المتعلقة بالعقيدة أو الحضارة أو السياسة يلزمه بالضرورة الوقوف على معاني تلك المصطلحات في اللغة والقرآن الكريم وفي الثقافة الإنسانية سواء خارج المجتمع الإسلامي أو دخله على إمتداد تاريخه. فالمجتمع الإسلامي مكون إجتماعي وسياسي يستفاد من المجتمعات الأخرى وتأثر بما في جوانب عديدة، وانتابه جراء ذلك عديد من التساؤلات وحاول العثور على إجاباتها في الكتاب الكريم، إنطلاقاً من الإيمان بأن القرآن الكريم كتاب الوحي الإلهي المقرؤ فيه ذكر كل شيء ^(١) قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبَيَّنَكَ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ^(٢).

ومع استيعاب أن الاختلاف في المضامين والمفاهيم - رغم إتحاد المصطلح - أمر شائع في العديد من المصطلحات التي يتناولها العرب والمسلمون ويتناولها الغرب مع تغير مضمونها في كل حضارة، مما يحدث إستعمالها دون الانتباه إلى المضامين العامة والخاصة لدى أهل كل حضارة وأهل كل مذهب أو عقيدة كثيرة من اللبس والخلط في حياتنا الثقافية والسياسية

٢ . سورة التحـل: ٨٩

والإعلامية المعاصرة^(١) وقد أبدع الدكتور محمد عمارة في ذلك المجال كثيراً فتبعت العديد في محاولة لتقديمها للقارئ المنصف والباحث عن الحق دون تأثر بطرف من أطراف النزاع في تلك من المصطلحات المصطلحات. ودائماً ما يؤكد محمد عمارة "أنَّ أغلب حواراتنا هي ضحايا بائسة للفوضى الشائعة في مصامين المصطلحات؛ لذا علينا أن نبدأ بتحرير مصامين تلك المصطلحات التي نستخدمها في طرح أفكارنا وأحياناً تحاكم بها أطراف الحوار، ولا بد من تحديد مفاهيمها ليفهم كل منا الآخر ولتتحدد مناطق الاتفاق ومناطق التمايز؛ لأنَّ ذلك مهمة أساسية لتنظيم أي حوار موضوعي حادٍ يساعد في مقاومة الاستقطاب الناتج عن الاختلافات الجذرية في الرؤية بين الغرب والشرق من ناحية وبين الإسلاميين والعلمانيين من ناحية أخرى"^(٢) وذلك لا شك مدخل مهم لضبط حدود أي حوار داخل الأمة الإسلامية بين فصائلها المتعددة وعلى المستوى الخارجي في الحوار بينها وبين الأمم الأخرى. ولهذا كان قاموس المصطلحات في أي فن من الفنون أو علم من العلوم مهماً جداً، وأداة شديدة التأثير في تكوين الفكر والمذهب والرؤية والهوية، وتكون الإتجاه الحضاري لمن يستخدمه وصيغه بفلسفة واضعيه؛ فالقاموس أحد وسائل توجيه العقل لا سيما في ميدان العلوم الإنسانية. ولن تتمكن الأمة من فهم التراث الإسلامي بواسطة القاموس ذي المنطلقات والمفاهيم الغربية؛ لأنَّ في ذلك عزلاً للعقل المسلم عن تراثه الحضاري في المجالات المختلفة. فطوق النجاة لهذه الأمة هو في إدراكها حقيقة هويتها الحضارية وتفاعلها مع الآخرين^(٣) ويفيد ذلك من فهمها للمصطلحات التي تنتشر على السنة المنظرين وفي كتاباتهم، وهذه دعوة إيجابية من محمد عمارة للبدء الصحيح لأي حوار كذلك للفهم الصحيح لأي موضوع تناقش فيه؛ كي لا يكون مجرد حوار طرشان. فالله عز وجل قد خلق

١ . محمد عمارة، الأصولية بين الغرب والإسلام القاهرة، مصر: دار الشروق د.ت ص٥، ومحمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية (القاهرة، مصر: دار الشروق ١٩٩٣)، ص٦.

٢ . أنظر: عمارة، محمد، إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات، القاهرة، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٩، ص٤٩، وعمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام القاهرة، مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٤، ص٢٢، وعيسي، محمد عمارة داعية للإحياء والتجديد، المراجع السابق، ص١٢١.

٣ . أنظر: عيسى عبد الرزاق، محمد عمارة داعية للإحياء والتجديد، المراجع السابق، ص١٥٦-١٥٧.

الناس شعوباً وقبائل ودعاهما إلى التعارف والعمل على عمران الأرض وتطوير الحياة؛ ولتحقيق ذلك لا بد من تعايش الأمم والشعوب ثقافةً وحضارةً، ومع ما وضع الله فيهم من: تعدد اللغات واختلاف الألسنة، كان وجود المصطلحات في الحوار بينهم يحتاج إلى ضبط معانيها المتداولة في المناقشات وتحديدها، حيث إن لهذه المصطلحات في كل لغة من اللغات مضموناً ومعانيناً مختلفةً ومتميزةً عن نظائرها في اللغات الأخرى. فالمصطلحات شائعة بين الجميع لكن تمام فهمها يغزوه تحديد دلالاتها والتمييز بين ما هو مشترك إنساني عام من المعارف والعلوم وما هو من الخصوصيات الثقافية والفلسفية والدينية^(١) وقد اعتنت الأمم كلها على تفاوت بينها بالمصطلحات، ووظفتها لصالحها في الغالب الأعم وكانت سلاحاً قوياً في معاركها مع غيرها من الأمم، ولا زالت الساحة الفكرية في العالم الإسلامي على وجه الخصوص تعاني من ذلك لوقوعها في مرحلة التبعية الفكرية للغرب في جوانب كثيرة من حياتها اليومية والفكرية. وإلى جانب ذلك فإن للمصطلحات دوراً مهماً في الوصول إلى العلوم ولولاهما لتعذر علينا معرفة مسيرة العلوم في التاريخ الإنساني، فالتطور مستمر في شتى النواحي وهو كذلك في اللغة حين تضع ألفاظاً جديدة لمدلولات مستحدثة، أو تغير دلالات ألفاظ أخرى أو تخرجها من مضمونها الحقيقية إلى مضمونين جديدين، مما دامت الأسباب موجودة فالنطورة واقع لا محالة؛ لهذا فإن تحديد المصطلحات ورصد التطور الدلالي لها أمر في غاية الأهمية كي لا ندور في حلقة مفرغة لعجز فيها عن الوصول إلى الهدف. فالمصطلحات مؤشر للتفكير ومضمونه وعبر عن الواقع المعرفي في أي مجتمع، وهي تتطور من مصطلحات مجردة إلى مدارس ومذاهب وفرق، فتتشعب وتتنوع دليلاً على الثراء ولكن عدم التعرف عليها قد تحول إلى إشكالات وعقد فكرية^(٢) تدفع كل المنشغلين بمجال الأفكار إلى إعادة اكتشافها وعدم التقليد الأعمى للشائع ولو كان في كتابات كثيرة؛ فالباحث الآن أكثر شمولية لا سيما إذا اجتهد الباحث في مجال المصطلحات كما فعل محمد عمارة من مقارنة المصطلحات في الثقافات المختلفة على

١. أنظر: عمارة، محمد، إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات، المرجع السابق، ص. ٨.

٢. أنظر: عمارة، محمد، معجم مصطلحات الفكر الإسلامي المعاصر: دلالاتها وتطورها، المرجع السابق، ص. ١٣.

نحو ما تدعوا إليه الدراسات الأسلوبية الحديثة. وقد أولى محمد عمارة أهمية كبيرة لتحرير المصطلحات التي يستخدمها، ولذلك أورد عدداً عظيماً منها في مؤلفاته^(١) فقد أفرد لهذا الجانب عدة مؤلفات على رأسها، كتاب "إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات" الذي يعد كتاباً جاماً لمعظم نتاج عمارة في جانب تحرير مصامين المصطلحات، وكتاب "قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية" وكتاب "معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام" وكتاب "في الطريق إلى اليقظة الإسلامية" وكتاب "الإسلام في مواجهة التحديات". كما عمل في مشروعه على تحرير المصطلحات، وقدم نتاجاً فكرياً كبيراً فيما يتعلق بها وبيان مصامينها التي لا مشاحة فيها ابتداءً لكن المشاحة تظهر عندما نقارن بين معانيها في ثقافتنا الإسلامية ونظائرها في الثقافة الغربية، واعتنى بإبراز المفاهيم الإسلامية التي تؤسس للتكامل بين دوائر الانتماء من الوطنية والقومية والإسلامية والإنسانية؛ من أجل ترشيد الفكر الإسلامي وتقديم النموذج المتميز بالإسلامية إلى العالم الذي ضل طريقه في تلك الميادين^(٢). وقد ساعد عمارة على ذلك تنوع ثقافيه واطلاعه على المنتج الثقافي الغربي ومتابعه لما: يثار ما يدور حول الإسلام وكتابه ورسوله الكريم إذ يقرأ عمارة ذلك بعينية ويرده بتجدد ويستخدم أسلوب الخصم كثيراً في تناوله للمسألة موضع النقاش لا سيما وفي إطار إهتمامه الكبير بالمصطلحات أحياناً ما كان يشير إلى أن كثرة استخدام المصطلحات في التراث العربي الإسلامي كان سبباً في اضطراب مصامينها وصعوبة الوقوف على مقصد المتكلم؛ إذ كانت بعض المصطلحات تتضمن معنى خاصاً لدى فريق ما من الفرق الإسلامية وتحدها ذات معنى مفارق لدى فريق آخر، ونتيجة لذلك اختلفت مصامينها مع المصطلحات المستخدمة في الأبحاث المعاصرة مما زاد الالتباس والغموض مما يدفع للقول بأنه أحياناً ما يكون البحث وراء المصطلحات ليس هو الطريق للتعرف على تراثنا الحي النافع، بل قد يكون ذلك ضاراً بنا. وقد دفع الخوض في مثل تلك المصطلحات واللبس والغموض اللذين اكتنفاهما بعض الباحثين إلى إسقاط كل تراث المسلمين في بعض المسائل،

١ . أنظر: جاد، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة، المرجع السابق، ص ٤٢ .

٢ . . أنظر: عمارة، محمد، مسيرة قلم، القاهرة، مصر: دار المقادير للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠١٦م، ص ٣٠-٣١ .

وإنكار أن يكون في تراثنا ما يُعتد به في مثل تلك الميادين^(١). ولذلك يعد الخوض في ذلك المجال مغامرة لا يثبت فيها كثير من الناس، لكن محمد عمارة قد وضع فيها دعالماً تساعد من يرغب في تكوين صورة أقرب إلى الصواب عن كثير من المصطلحات الدائرة في حياتنا الفكرية والتي أخرجت أنواعاً متعددة من التشدد والغلو. وكان محمد عمارة يقف أمام المصطلحات التي يعرضها مبيناً أصول النشأة التاريخية مكانها وزمانها ومحرراً للمعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي في الحضارتين الإسلامية والغربية وما ورد من خلاف في تحديد هذه المصطلحات^(٢)، ومن أمثلة ذلك عرضه لمصطلح النص، فيذكر أن تعريفه ومضمونه كان مثار خلاف واختلاف، بل موضع شبكات وأوهام جعلت وتجعل من جلاء معناه وتحديده مدخلاً طبيعياً وشرطياً ضرورياً لتجنب الاختلاف فتناول ما ورد في تعريف النص لدى خواص مفكري الإسلام الذين فصروا تعريف النص على ما هو قطعي الثبوت والدلالة في الثوابت التي لا يصيّبها التحول ولا تعرض عليها الاحتمالات لا من قريب ولا من بعيد. وذكر ما دخل مصطلح النص من مشبهات عند من وصفهم بالعوام الذين علا صوتهم في حياتنا الفكرية مع ارتفاع التقليد وتراجع الاجتهاد والإبداع في حضارتنا الإسلامية، فإنهم لم يكتفوا بإطلاق لفظ النص على كل ألفاظ وتأثيرات وروایات الكتاب والسنة بل أضافوا إلى المصطلح كل ما كتب الأقدمون في المذاهب الإسلامية^(٣). وهذا تحديد متميز من عمارة ينطلق من وضعه الأمور في نصابها إذ يجعل المقدس مقدساً والإنتاج البشري بشرياً ولكل منهما دوره الذي لا يمكن إغفاله في تاريخ الأمة الإسلامية والإنسانية كلها.

وزاد عمارة عند تعرّضه لمصطلحي التراث والسلف في العيب على هؤلاء العوام الذين جعلوا التراث كلها في كفة واحدة، فوصفهم بأنهم اختصوا الموتى تمهمة التفكير للأحياء، وأوجز كثيراً من النقاط حينما تحدث عن علاقة التراث بالتجديد والجمود، فذكر أن الأمر ليس مطلقاً الارتباط بالتراث وليس مطلقاً التراث ذاته إذا بحثنا عن معايير الجمود والتجديد، فليس

١ . عمارة، محمد، مفهوم الحرية في مذاهب الإسلاميين، القاهرة، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٩م، ص ١٦-١٨.

٢ . عيسى عبد الرزاق، محمد عمارة داعية للإحياء والتجديد، المراجع السابق، ص ١٢١.

٣ . أنظر: عمارة، محمد، معالم المنهج الإسلامي، القاهرة، مصر: دار الشروق، ٢٠٠٩م، ص ٩٦-٩٨.

هناك أي إنسان أو مذهب أو دعوة أو حركة دون سلف ودون تراث، ولذلك فمعايير التمايز في هذا السياق تتمحور حول سؤالين هما: أي لون من التراث؟ وكيف تتعامل مع هذا التراث^(١) وقد صدق عمارة في ذلك الطرح وبان أثره في حياته الفكرية وعرضه للمسائل المختلفة؛ إذ بحث في التراث ليس عن ألفاظ بل عما وراءها وسياقها التاريخي وكيفية اصطحابها في العصر الحديث، ولذلك لا يرد أي جزء من أجزاء التراث بل يستفيد من تراث عصر التراجع الفكري كما يستفيد من تراث عصر النهضة؛ إذ يبحث في الأول أسباب التراجع لتجنبها الأمة الآن وفي الثاني عن أسباب النهضة لتكون مشعلا في طريق النهضة المعاصرة. ومن بين المصطلحات التي وجدتها شائعة دون تحرير مصطلحي العقل والنقل فتناولهما في عدد من كتبه، وكشف انتفاء التعارض المزعوم الذي يدعوه العلمانيون بين العقل والنقل، فالنقل داع للتعقل والتدبر، والعقل الإنساني في الإسلام أداة فقه الشرع، والنقل يشق في العقل لكنه بالطبع يرفض الغرور العقلاً حين يتصور إمتلاكه القدرة على عقل كل شيء وأي شيء وأنه هو سبيل الوعي الوحيد، فالعقل في الإسلام مدعو للعمل في حدود ما وظفه الله^(٢) وفي تناول عمارة للعقل بهذا المعنى الدقيق رد لكل ما اتهم به من أنه يقدم العقل على النقل، ويوضح العلاقة الوثيقة بين النقل والعقل لديه.

وفي كل مرة يعرض فيها عمارة للمصطلحات يؤكد أن لها دور كبيراً في مخاطبة الخصوم؛ إذ من الضروري عند محاورتهم ألا تتجاهل ما يدعون ولا نتصادر ما يقولون، وإنما يكون الحوار بالمنطق والحججة، وتنجرد من منطق صاحب الحق الذي يخاطب ذاته، وتنتحدث بالمنطق الموضوعي الهدائى الذي يُفيد حجج الخصوم بمنطقهم، وبلغة العلم وعقلانية الفكر لا بالعواطف أو حتى بتأثيراتنا الدينية الخاصة التي لا يؤمن بها الآخرون^(٣). وقد قدم مصطلحات عديدة كالاجتهاد والجهاد والتجدد والسلفية والوسطية والتعددية والحرية

١. عمارة، محمد، الأصولية بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص ٢٤.

٢. عمارة، محمد، مقام العقل في الإسلام، المرجع السابق، ص ٣٧.

٣. عمارة، محمد، القدس بين اليهودية والإسلام القاهرة، مصر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ص ٣.

.٢٤

وكذلك فكرة الاستشراق بيانا لها وردا على أصحابها من الغربيين والشرقين المقلدين وهو مقام تميز فيه عمارة وقدم للمكتبة فيه كتابا عديدة تشهد بتجده في المناقشة ورد الشبهات على أصحابها بل ومحاسبتهم بكلامهم الذي يعتمدون عليه في شبهائهم، ويوظف الأرقام والإحصاءات توظيفا فعالا في كل ذلك. وقد أسس منهجه في تناوله للمصطلحات وشرحها انطلاقا من إيمانه الكامل والعميق والخبر بالخصوصية الحضارية الإسلامية، وضرورتها في بيان خصوصية المصطلحات وتمايزها تبعاً لتمايز الحضارات التي تنتهي إليها وضعا في الأصل أو افتراضها وتوظيفها. وذلك من أجل الخروج بنتائج فعالة تفيد في فكرنا وينالنا لنموذج نضوي محوره ومرجعيته الإسلام. ولذلك مثل التاريخ أهمية كبرى في مشروع عمارة الفكر، فالتاريخ معين لا تنضب أحداه وتطوراتها، فيقرأه عمارة ويستشهد به ويعلل وقائعه؛ لاستخراج المثل والنموذج الذي يمكن أن يكون وعي الأمة إذا أنشئت ذاكرتها بقراءة التاريخ في مراحله المختلفة وعرفت قدراتها الحقيقة من تلك الواقع التي تتكرر، وتوكد ما لدى الأمة من قدرات تعينها على صراعات الحاضر وتقودها نحو المستقبل^(١) فالتاريخ الإنساني عموما والإسلامي على وجه الخصوص عند عمارة لا بد أن يكون نقطة انطلاقا؛ إذ إنه بما فيه من إيجابيات وسلبيات له دور كبير في تحديد بوصلة الإنسانية كلها وخاصة الأمة الإسلامية في رؤيتها للمستقبل.

ويؤكد محمد عمارة دائما في رؤيته للمصطلحات أن الأمة بحاجة إلى فقه جديد، بالرغم من أن فقهنا القديم ثروة فكرية لا مثيل لها في العالم، ولكن ليس معنى هذا أن كله صالح، فقيه أفكار بنت عصرها، وليس هي الإسلام. لذلك هناك حاجة إلى فقه جديد معتمد على القديم، يعلي من قيمة الماضي وينتقي منه ويضيف إليه ما يقتضيه الحاضر، دون مخالفته لنص ثابت فظروف العالم الجديدة تحتاج لفقه جديد في العلاقات الدولية، لا تلفي شيئا مما كتب عن دار الإسلام ودار الحرب في كتب التراث، فهذه مصطلحات بنت ظروفها، يلزمها الفحص والإضافة إليها وتحديدها. فالعلاقة الوثيقة بين تراث الأمة ومستقبلها لا تعني صب المستقبل في قوالب التراث حتى تصير تطبيقاتنا المستقبلية عين تجارب السلف، وتعيد

١ . عمارة، محمد، الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ، القاهرة، مصر: دار الرشاد ١٩٩٧ م، ص ٣٩-٣٣ .

حياتنا الفكرية مسائل الجدل التي شغلت حيزاً كبيراً في مخطوطات التراث. فقد تعلمنا من التراث أن النطور هو سنة من سنن الله في الكون، فالعلوم وتطبيقاتها تتطور دون فصل الأمة عن جذورها، فالجديد حامل لأصالة الماضي، يستمد منه الثبات والتواصل والتميز.

وقد سعى محمد عمارة إلى التمييز بفوارق مفصلية جادة بين العديد من المصطلحات المتداولة والمشتركة بين العالمين الشرقي الإسلامي والغربي، تلك التي تشكل خلطاً في استخدام المصطلح الواحد في غير ما وضع له من معانٍ مقصودة ومتباينة في كل من الحضارتين الشرقية الإسلامية والغربية وقصد من ذلك التمييز إلى توضيح الرؤية أمام القارئ، ومراعاته الدقة عند استخدام تلك المصطلحات والوقوف على الفرق في المعاني إسلامياً وغريباً، ومن أمثلة تلك المصطلحات العلمانية والأصولية والتشريع والحرية والحكم والاجتهاد والعقلانية. وقد أكد على اضطراب مقوله لا مشاحة في الاصطلاح، وأثبت أن هناك مشاحة واختلافات بين مقاصد المصطلحات، وأنه لا بد من تثبيتها ومعرفتها بدقة لإزالة اللبس حين استدعائهما في عرض الأفكار والمعتقدات ويوضح رأيه في التعامل مع ما هو وافد غربي وما هو تراث إسلامي، فيضع منهاجاً واضحاً في رؤيته لهذين المصادرين المتغيرين، يقوم على التمييز بين النصوص وبين مقاصدها وأهم هذه المقاصد هو العدل، والتمييز بين نصوص الوحي القطعية الدلالة والثبوت وبين النصوص الأخرى لا سيما أحاديث الآحاد أو الموضعية أو الضعيفة أو التي لا يتسع منطقها عندما تعرض على روح الشريعة ومنطق القرآن الكريم. بالإضافة إلى التمييز بين الشريعة التي هي نهج ومقاصد وبين تطبيقات السلف واجتهادات الأقدمين فالشريعة ثوابت وتطبيقات السلف واجتهاداتهم ليست ديناً، وليس ثوابت ملزمة لمن يعيش واقعاً مغايراً للواقع الذي عاشوا فيه واجتهدوا له^(١). والتمييز بين الدين الذي وضعه الله وأوحى به وبين تطبيقات السلف لهذا الدين على واقع عصرهم

١ . عمارة، محمد، الإسلام في مواجهة التحديات، المرجع السابق، ص ١٦٦ ، ونarrative المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص ١٦٢ - ١٦٦ .

الذي تغير وانقضى، هو تمييز بين النصوص المتعلقة بالعقائد والأصول والنهج والحدود والحلال والحرام، وبين النصوص التي جاءت تقنياً لواقع دنيوي متغير بالضرورة^(١).

المطلب السابع: بعض الاتهامات الموجهة للدكتور والرد عليها

ومحمد عمارة إذ يجتهد في ذلك الميدان يتعرض للنقد والتجریح القائم على القراءة الجزئية لكتاباته فيدعى أصحاب تلك القراءة في أحد مواطن النقاش أن عمارة يطلب من المؤمنين الصالحين أن يكونوا أولياء لليهود والنصارى الكفرة في دولة واحدة يقيمونها جميعاً^(٢) رغم أن عمارة يقول: "إإن تعجب فعجب من أن يظل الكثيرون منا غافلين عن مخاطر تلك التغرة التي تفتحها في صفونا الوطنية والقومية تصورات غير موضوعية عن تناقض العروبة مع الإسلام على الرغم من أن الإسلام الحق والعروبة الحقة يكوتان مزيجاً واحداً، فالآمة العربية المتميزة قومياً في المحيط الإسلامي مدعوةً ومرشحة لقيادة هذا المحيط بحكم إمكانياتها في الدنيا ولمكانة العرب في الدين، فالإسلام هو الرسالة الخالدة للأمة العربية الواحدة به تبوأ مكانها القيادي، ومنه كان الفكر والعادات والتكون النفسي الذي به تميزت قومياً عن غيرها من القوميات"^(٣). وهذا التدرج من عمارة لـما كان في خضم صراعات فكرية متعددة لا زالت مستمرة داخلياً وخارجياً كان له أثر كبير في القارئين المتابعين لأعماله بمستوى تدرجها في تكون لديهم رؤية واضحة لمنهجه وإشاراته على عكس القارئ المتعجل لمقال منفصل أو لكتاب متجرزاً من سلسلة ما له سابق فيها ويتبعه تالي ليكمل الفكرة. وسيخرج المتابع لتلك السلسل بـأن عمارة لا يعني فصل الأمة العربية بقوميتها عن الأمة الإسلامية الأكبر، بل يدور في دوائر الانتماء التي أكد عليها كثيراً، وهو فيها متاثر بجمال الدين الأفغاني الذي رتب الدوائر الثلاثة دائرة الأمة التي ينتمي إليها ودائرة الملة التي تعنى ذات

١ . عمارة، محمد، الإسلام في مواجهة التحديات، المرجع السابق، ص ١٦٧ .

٢ . الخراشي، سليمان بن صالح، محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة، دراسة إسلامية سلفية لكتب ومقالات الدكتور محمد عمارة، دار الجواب، ١٤١٣ هـ، ص ٤٢٣ .

٣ . عمارة، محمد، الإسلام والعروبة، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر: دار الشروق، ١٩٨٨ م، ص ٨٣-٨٤ .

الدين الذي يؤمن به ودائرة النوع الإنساني وذلك على غير ما إتّهم به من تقديمِ القومية على الإسلام، فهو يرى القومية والوطنية دوائر داخل الإطار الإسلامي الأشمل.

ومن ذلك ما إدعاه عبد الحميد عمر من معارضته لِمُحَمَّد عمارَة في جوانب متعددة من فكرة الحاكمة، متهمًا دعاتها باستغلالها للوصول إلى الحكم، حيث يعتبر المناداة بها كالمناداة بالحكومة الدينية، أو ما يسمى بالمصطلح الغربي الشيّوخراطية، تلك الحكومة التي ظهرت في أوروبا في القرون الوسطى، واستغلت الدين لحكم الناس واستعبادهم تحت شعار التفوّيض الإلهي الحاكمة الكهنة^(١) ونقل عبد الحميد عن عمارة في حديثه عن إسلامية الدولة والحاكمية الإلهية قوله: "وقد يتساءل بعض الباحثين وهم بالفعل يتساءلون: ألا يستلزم إشتراط إسلامية الدولة إشتراط أن يحتكرها حزب بعينه أو جماعة دون غيرها من الناس؟! وألا يقودنا هذا إلى الكهانة والكهنة والأكليروس^(٢) في الواقع والتطبيق على الأقل، رغم غربة ذلك وغرابته في تصور الإسلام ومنهجه"^(٣)، لكن عبد الحميد عمر لم يكمل النقل عن عمارة، وأغفل ما قدمه عمارة من الحقائق التي تنفي التلازم بين إسلامية الدولة وبين إحتكار الحكم فيها الحزب بعينه أو فئة بذاتها، فالدولة ليست من أصول الدين ولا عقائده وأركانه لكنها من الفروع التي يرد فيها الاجتهد، بل التي هي أو أكثرها ثمرة للاجتهد. فالدولة بما في ذلك دولة النبي صلى الله عليه وسلم التي أقامها بالمدينة هي إجتهد بشري لا يحتكر التفكير لها ولا التنفيذ لدستورها وقانونها فئة من الناس دون غيرها فهي حق لكل قادر على الوفاء بحقوقها دون كهانة أو إحتكار فالحاكم الأعلى في الدولة الإسلامية مجتهد، وتلك أرقى مراتبه أي أنه غير معصوم، وكذلك كانت سياسة النبي صلى الله عليه وسلم للدولة إجتهدًا غير معصوم وشوري تحكمها مقاصد الشريعة وحدودها، وهذا الحاكم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تختاره الأمة بالشوري الإسلامية، وتباعيَه وتنفُّض إليه سلطات تنفيذ

١ . أنظر: عبد الحميد عمر عبد الحميد عبد الواحد، الحاكمة في ظلال القرآن، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، ٢٠٠٤، ص ٢٧٣.

٢ . نظام كهنوتي خاص بالكنائس المسيحية ولم يظهر هذا النظام إلا في القرن الثالث الميلادي.

٣ . أنظر: شاهين، عماد الدين، المعالم لمنهج الإسلامي للمؤلف محمد عمارة، الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقا) ١٧١/١ (١٩٩٥-١٧٤-١٧١).

القانون الإسلامي لسياسة الدنيا وحراسة الدين بواسطة أجهزة الدولة ومؤسساتها وسائر أولي الرأي والأمر فيها، ولا عصمة لأي أو لأحد من هذه الأجهزة والقيادات فلا خطر من الكهانة أو إحتكار السلطة والإستشار بالسلطان بل إن العصمة في الإسلام بعد الرسول صلى الله عليه وسلم هي للأمة التي لا تجتمع على ضلال^(١). كما أن إماماً المفضول دينياً إذا كان أفضل في مهام ولاليه، هو دليل إنتفاء الكهانة واحتقار الكهنوت من منهج الحكم والسياسة في دولة الإسلام. وقد عمل المنهج الإسلامي على سد الذرائع وإغلاق المنافذ التي تلوح منها ظلال الكهانة والكهنوت أو تروح منها رائحة إحتكار السلطة في دولة الإسلام، فالخلافة لم تعط علي بن أبي طالب بعد إنتقال الرسول إلى بارئه، ولم يظل الحكم السياسي في بيت النبوة، ولم يظهر أي شبهة إحتكار السلطة في منهج الإسلام وتطبيقاته^(٢).

وقد جاء التصور النظري التجريدي للباطنية الإمامية في مسألة الإمامة، حلماً مثالياً بالخلاص المثالى، على نحو لا علاقة بينه وبين الواقع والممارسة والتطبيق، وسبقهم الغلو الخارجي في الحاكمية والتكفير بالمعصية، الذي كان تجريداً ذهنياً صنعه الصلاح والتقوى والنسل في أذهان القراء الذين كانوا طلائع الخارج -قبل أن يعود معظمهم عن هذا الفكر بعد جلوسهم ومناظرهم مع علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس- ذلك الغلو الذي عز على التطبيق وكان وبالاً على أصحابه وعلى الأمة جماء، عند محاولة تطبيقه بالسيف. وجاءت الدولة الإسلامية نموذجاً فريداً، فالدولة الإسلامية؛ لأن الحاكمية في سياستها موكول للشريعة الإسلامية التي هي وضع إلهي، كما أنها مدنية في الوقت نفسه؛ لأنها اجتهاد إسلامي في الفروع محكم بمقاصد الشريعة الإسلامية وحدودها، فجمعت بين ما يمكن وينبغي جمعه من سمات الأقطاب التي هي متقابلات لا سبيل إلى الجمع بينها في نظر منهج الحضارة الغربية، فضلاً عن المؤاخاة والتساند بينها^(٣).

١ . أنظر: عمارة، محمد، معالم المنهج الإسلامي، المرجع السابق، ص ١٣٥-١٣٦ .

٢ . أنظر: عمارة، محمد، معالم المنهج الإسلامي، المرجع السابق، ص ١٣٨ .

٣ . أنظر: المرجع السابق نفسه، ص ١٤٠-١٤١ .

وبعد كل هذا التفنيد لاتهام الدكتور عمارة بأنه يعارض المحاكمة، ومع هذا الاختلاف في فهم مصطلح المحاكمة الذي أراه إختلاف تنوع أكثر منه إختلاف تضاد. أتخلص إلى أن القول بمحاكمة الله هو في مبدأه ومنتهاه تطبيق للقول بمحاكمة البشر النسبية؛ فإن القائلين بمعنى محاكمة الله أنه لا محاكمة للبشر، هم في الأصل بشر توصلوا إلى هذا المعنى يفهمهم النص القرآني الكريم ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾^(١) واصطحبوا في ذلك نصوصاً أخرى ضموها إلى بعضها وطبقوا فهمهم وخرجوا بهذه الفكرة، وفي ذلك إقامة المحاكمة البشر في إجتهادهم لفهم مراد الله وتطبيقه. وقد إتهم عمارة بأنه ينكر أن يكون للإسلام الحق دور في تنظيم أمور المسلمين الدينية، وأنه يحاول أن ينصر الإسلام على الاعتقاد بوجود الله فيقرر أن اليهود والنصارى وال المسلمين كلهم مؤمنون، ويركز على فصل الدين الأحكام شرعية في أمور الدنيا وأن آيات الحكم نزلت في اليهود وأن أمور الخلافة والسلطة ترجع للعقل والرأي لا للشرع^(٢) ولكن كل تلك الاتهامات لا تقال إذا إهتم صاحبها بمطالعة دقيقة لما قدمه عمارة في هذا الصدد.

ملخص: كانت تلك الدراسة مدخلاً للتعریف بالدكتور محمد عمارة عليه رحمة الله ودراسة المصطلحات في فكره الذي اعنى بها كثيراً؛ لأنـه كان تماماً بعد حفظه للقرآن الكريم وهو صغير ورحلته في الماركسيـة في مقتـلـ حياته، وفي إطار بحثـه عن العـدـالـة الـاجـتمـاعـية للـإـنـسـانـية كلـها وـعـلـى وـجـهـ الخـصـوصـ للـمـظـلـومـينـ فيـ كلـ مـكـانـ واستـقـرـارـ بوـصـلـتـهـ فيـ رـحـابـ الدـيـنـ الـحـنـيفـ وـالـوـحـيـ الـإـلـهـيـ الـخـاتـمـ لـنـجـدـةـ الـبـشـرـيـةـ كـلـهاـ منـ ضـلـالـ المـذاـهـبـ الـوـضـعـيـةـ وـفـيـ تلكـ الرـحـلـةـ وـجـدـ غـلـطاـ كـبـيرـاـ يـغـطـيـ المـصـطـلـحـاتـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ الدـاـخـلـ الـإـسـلـامـيـ وـعـلـىـ مـسـتـوـيـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ الـإـسـلـامـ وـالـآـخـرـ.ـ وـهـوـ فـيـ طـرـيـقـهـ لـسـدـ تـلـكـ الثـغـرـةـ وـإـزـالـةـ الشـبـهـاتـ عـنـ تـلـكـ المـصـطـلـحـاتـ لـاـ يـتـوقفـ عـنـ الـمـوـرـوـثـ الـإـسـلـامـيـ بـلـ بـتـجـاـوـزـهـ لـمـطـالـعـةـ الـمـوـرـوـثـ الـإـنـسـانـيـ؛ـ بـاـحـثـاـ عـنـ أـصـوـلـ تـلـكـ المـصـطـلـحـاتـ وـضـبـطـهـاـ لـيـكـونـ بـيـنـ يـدـيـ الـقـارـئـ سـفـرـ أـوـ أـسـفـارـ تـمـثـلـ

١ . سورة الأنعام: ٥٧ .

٢ . تموس، محمد بن محمود مصطفى، محمد عمارة والرواد، دار، فراس للنشر والتوزيع، د.ت، ص ٢٣٢ .

خريطة محاكمة لرحلة تلك المصطلحات تعينه على الإستخدام الصحيح والتوظيف الأمثل في رؤيته للإسلام أو رؤيته وتعامله مع الآخر. وهذه الدراسة الوجيزة تمثل الحلقة الأولى في هذا الموضوع أو مجموعة من المصطلحات التي تناولها محمد عمارة سواء أفرد لها كتابا خاصا أو ضمنها بين ثانيا عدة كتب من كتبه، وبيان منهجه في دراساتها والتجديد والتميز الذي تميز به في ذلك. وهناك مواضع أخرى كثيرة غير المصطلحات في فكر محمد عمارة تستحق الدراسة والتحليل، ولذلك أوصي الإخوة القارئين بدراسات متعددة لفكرة وكشف ما ألم به من إتهامات وشبهات سعى هو رحمة الله في حياته ردها.

الباب الأول:

في سمات الدكتور محمد عمارة رحمة الله وقواعد منهجه في

الدعوة

الفصل الأول: سمات في طبيعة شخصية وموهبة الدكتور محمد عمارة رحمة

الله

المبحث الأول: الجمع بين العلم والعمل والعقل والنقل

المبحث الثاني: الجمع بين الفكر والأدب والتصوف

المبحث الثالث: الجمع بين التراث والتجديد

المبحث الرابع: الجمع بين دراسة المذاهب الكلامية والتيارات الإسلامية وغيرالإسلامية

المبحث الخامس: الجمع بين الوطنية والعروبية والإسلامية والإنسانية

المبحث السادس: الجمع بين الكتابة والخطابة والجهاد

الفصل الثاني: قواعد منهجه في تناول مشاكل الدعوة

المبحث الأول: الوسطية الإسلامية

المبحث الثاني: العقلانية الإيمانية

المبحث الثالث: الإيمان بالتعددية

المبحث الرابع: المواكبة والتجديد

الفصل الأول: سمات في طبيعة شخصية وموهبة الدكتور محمد عمارة

تمهيد: نبدأ رحلتنا مع الدكتور محمد عمارة راهب الفكر وفارس الميدان بعد أن بدأنا في المبحث الأول من التمهيد بالتحدث عن ترجمة حياته، ومسيرته العلمية، واعتكافه على العلم والقراءة؛ ليخرج لنا بمشروعه الفكري المميز، ونكمل فيما يأتي بقية معالم مشروعه الفكري، وسمات شخصيته الفذة الفريدة، إضافة لفروسيتها الفكرية وعلاماتها في الميدان.

المبحث الأول: الجمع بين العلم والعمل والعقل والنقل

أما هذه فميزة قلما تتوفر للكثيرين؛ فهي مناط الخيرية، ومعقد الربانية، ومحل التأثير الكبير الفاعل في العقول والقلوب والواقع على السواء. فعلم بلا عمل لا قيمة له، وعمل بلا علم لا صحة فيه، وعلم وعمل بلا جهاد وصبر وتضحيات لا يقيم القدوة ولا التأثير الحقيقي في الواقع الحياة. وهذا ما دعا ابن القيم يقول واصفًا "الرباني": "فإذا استكمل هذه المراتب الأربع -يعني تعلم الهدى، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على مشاق الدعوة- صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعمله، فمن علم وعمل فذاك يدعى عظيمًا في ملوكوت السماوات" ^(١).

فأما العلم فهو صاحب هذا المشروع الكبير متراخي الأطراف الذي لم يترك فيه جانبياً من جوانب الإسلام عقيدة وشريعة، خلقاً وحضارة، معاملات وآداباً، بيان حقائق ودفع شبهات، حتى غدا أكبر مشروع فكري معاصر تجاوز الثلاثمائة كتاب بما حقق له التأثير الكبير والواسع. وأما العمل الميداني فهو الذي شارك في المظاهرات ضد الإنجليز ضد الصهاينة وفي مطالباتهم بإصلاح الأزهر ومناهجه، كما قصده كثير من طلاب العلم من أنحاء الدنيا ينهلون من علمه ويتربون على كتبه وفكرة، وكان جواجاً سخياً مع كل من قصده. وحينما سئل عن مقصوده بالمشروع الفكري أجاب إجابة تنبئك عن مركبة الواقع وفاعليته وأهليته في هذا المشروع، يقول: المشروع الفكري هو "أن نبرز حقيقة الإسلام ومعالمه: العقيدة والشريعة والمنظومة الفكرية، والإحياء الإسلامي للمجتمع، والهداية الإسلامية للإنسان، وعالمية الإسلام، وأيضاً فقه الواقع الذي نعيش فيه وإنزال هذه الأحكام الإسلامية على الواقع الذي نعيش فيه، والتصدي للحرب المعلنة على الإسلام. باختصار: ما هو إسلامنا؟ ما هو الواقع الذي نحن بحاجة إلى فقهه وإلى أسلنته؟ وما التحديات التي تواجه هذا الإسلام؟ هذه هي معالم المشروع الفكري" ^(٢).

١ . ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن سعد شمس الدين، زاد المعاد في هدي خير العباد: بيروت، مؤسسة الرسالة. ١٩٩٤، ج ٣، ص ٩.

٢ . جاد يحيى رضا، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة، ٢٠١٨، ص ٩٩.

إن جمع العالم بين العلم والعمل يقيمه قدوة بين العلماء والناس، ويكتسبه المصداقية والموثوقية، ويجعل من حياته منارة للعلماء وطلبة العلم، ويجعل فكره وعلمه حيًّا بين الناس يقبلون عليه ويتحدون منه وينتفعون به، ويجعله كالشجرة المباركة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها^(١).

وأيضاً من معالم تميز المشروع الفكري للعلامة د. عمارة أنه جمع بين معرفة علوم النقل، ومعرفة علوم العقل، وقد توفر له ذلك من دراسته للعلوم الشرعية في الأزهر ودار العلوم فحاز علوم النقل، ومن تخصصه في الفلسفة الإسلامية والفكر الإسلامي بدراسة الفرق الإسلامية فحاز علوم العقل.

ولقد كتب د. عمارة عن علوم القرآن وعلوم السنة، وعلوم الفقه والاجتهد بما مثل رؤية له في النظر إلى هذه العلوم تستحق الفحص والدراسة، كما أن الشبهات التي أوردها وقدم ردودًا شافية عليها يتجلّى فيها العلم بالنقل وفهمه وفق رؤية "عقلانية مؤمنة" كما كان يسمّيها، ووفق منهجية "وسطية جامعة" كما كان يصفها^(٢). كذلك كتب في الفرق الإسلامية وحاز رسالتيه للماجستير والدكتوراه عن المعتزلة وفkerها ورؤيتها في الحرية والسياسة والخلافة؛ فضلاً عن تشعبه في قسم الفلسفة بدار العلوم من علوم العقل، وهو الذي كتب كتاب: "مقام العقل في الإسلام"، وتحدث عن "العقلانية المؤمنة"، و"الوسطية الجامعة" كما سبقت الإشارة، وقرأ الشرع بالعقل وحكم العقل بالشرع، في مجمل ما كتب، وقد تختلف معه في بعض القراءات والاجتهادات لكنك لا تنكر جسارتـه وجرأـته في نقاش القضايا وممارسة الاجتـهاد، وكيف كان سـيـقاً مـسـلـطاً على التـيـارـاتـ المـعـادـيةـ لـلـإـسـلـامـ والـذـبـ عنـ حـمـاهـ. وقد تجلـتـ آثارـ هـذـاـ العـلـمـ العـقـليـ "الـراـشـدـ"ـ عـنـهـ فيـ تـمـكـنـهـ منـ تـقـدـيمـ قـرـاءـةـ رـاشـدـةـ لـلـنـقـلـ،ـ مـرـتـبـطـةـ بـالـأـصـلـ وـمـوـصـولـةـ بـالـعـصـرـ وـمـلـبـيةـ لـحـاجـاتـ الـوـاقـعـ وـهـمـوـمـ الـأـمـةـ وـقـضـاـيـاـ إـلـاسـلـامـ،ـ وـاسـطـاعـ أـنـ يـدـحـضـ الـقـرـاءـاتـ الـمـخـتـلـفـةـ لـلـإـسـلـامـ:ـ مـاـرـكـسـيـةـ وـعـلـمـانـيـةـ وـشـيـوـعـيـةـ وـرـأـسـمـالـيـةـ،ـ وـغـرـبـيـةـ،ـ وـأـنـ

١. أبو زيد وصفي عاشور، محمد عمارة، راهب الفكر وفارس الميدان، الجزء الثاني، موقع التبيان، سبتمبر ٢٠٢٠، <https://shorturl.at/amrE3>

٢. قد بيـنـتـ بـالـتـفـصـيلـ رـؤـيـةـ الـدـكـتـورـ تـجـاهـ هـاتـيـنـ الـمـقـولـيـنـ فـيـ الـفـصـلـ الثـانـيـ الـبـابـ الـأـوـلـ مـنـ الرـسـالـةـ.

يضعها تحت مجهر الإسلام والعقلنة المؤمنة، ويفندها تفنيداً تاماً لا يرفع عنها المجهر إلا بعد أن يتركها كأنها أعجذب نخل خاوية.

المبحث الثاني: الجمع بين الفكر والأدب والتصوف

ومن الأمور التي جمعها د. محمد عمارة وانعقدت له وأعطت لمشروعه الفكري ميزة كبيرة مكنته من الإنتشار والتأثير والقدرة على التعبير والدخول على القلوب والعقول بغير استئذان، هو ذلك الأسلوب الأدبي الأخاذ، واللغة الباهرة التي تتطاوع له، والمفردات المتراوفة التي تقاد له، فيعبر بها عما يشاء من أفكار، ويعرض من خلالها ما يريد من رؤى وآراء، ويقرر بها معاركه الفكرية التي خاضها وانتصر فيها بلا استثناء. وقد جمعت هذه اللغة الأدبية إلى جمالها صلابة الفكرة وقوتها، وجلال الأسلوب وجماله، ونداوة المعاني وطلاؤتها بما جعل ما يكتبه عمارة وجدة متكاملة للعقل والروح والوجدان جمياً. أما الجانب الفكري فحدث ولا حرج، فصاحبنا أول وصف وأكبر وصف وأصدق وصف عليه هو وصف "المفكر"، وقد كان هذا الوصف هو الأثير لديه، وما أنتجه من كتب وبحوث ومقالات يفوز وصف "المفكر" منها بنصيب الأسد.

وأما الأدب فقد حكى هو قائلاً: "كنا في السنة الثانية الابتدائية وكان يدرّسنا النحو، ويقرأ لنا المقال الافتتاحي في جريدة المصري، دخل ذات يوم وسأل: من منكم يقدر على أن يشتري كتاباً غير الكتب المقررة؟ فذهبت واشترت كتاب "النظارات" للمنفلوطي (ت ١٩٢٤م)، وكان هذا أول كتاب اشتريته في حياتي من خارج الكتب المقررة، قال لي: أحضره معك، وكانت أقرأ وأطالع فيه، وفي آخر العام الدراسي أقمنا حفلة للشيخ وأهدينا له "علبة بنبوني"، وكتبت قصيدة شعر في مدحه^(١).

ويقرر مبيناً فضل ثقافته الأدبية على التعبير المؤثر والمعبر عن أفكاره: "ولأنَّ الطموح إلى أن أكون كاتباً - لا موظفاً - قد ملأَ علىَّ كياني منذ تلك اللحظات، فلقد توجهتُ إلى عالم

١. غانم، إبراهيم البيومي، العالمة الدكتور محمد عمارة في رحاب الله (مقال). ٢٠٢٠م، <https://shorturl.at/bjDTZ>

القراءة الحرة، وأعطيتها أغلب أوقاتي، حتى إنني جعلت الثقافة العامة معيّناً على اختصار الساعات التي أعطيتها للكتب الدراسية المقررة.. فكانت الثقافة الأدبية والقراءات الحرة هي التي تُنمّي وتدبّج وتحسّن الإجابات في الامتحانات^(١). وعن مكتبة الشيخ عبد التواب الشناوي التي اشتراها بعد وفاته وهي تضم أربعة آلاف كتاب، يقول مبيناً حجم الكتب الأدبية التي قرأها: "وبعد استيعاب هذا الكنز المعرفي الثمين والعربي والعميق، وبعد الحفظ لعديده من دواوين الشعر الجاهلي والإسلامي (مثل المتنبي والمعري) وللعديد من نصوص الأدب العربي المختارة كنماذج للبلاغة والفصاحة: بدأْت على نحو سلسلٍ وطبيعي الرغبة في الكتابة والإبداع، فكتبتُ ونشرتُ – شعراً ونثراً – في عدد من الصحف والمجلات"^(٢).

وأما التصوف فقد كانت لعمارة تجربة صوفية يقول عنها: "في مرحلة الابتدائي والثانوي – قبل الارتباط باليسار – كانت لدى تجربة في المجاهدة الروحية والتصوف غير الطرقي، وكنت أخطب على المنبر ضد الطرق الصوفية وأعلم الناس فائض الدين ومقاومة الظلم، وفي الجمعة التي سبقت ثورة يوليو صادف أن انتقدت الملك فاروق، وعندما عُزل بعد الثورة ظن بعض الناس أنني كنت على علم بتفاصيل ثورة يوليو، وظن آخرون أنني من أولياء الله الصالحين"^(٣). ويقرر أيضاً إنه لم يخدع بالطابع المادي والتفسير المادي لنشأة الخلق، ولا بالتطور التاريخي، يقول: "لأن تكويني الأول كان "تكوينًا دينيًّا" و"تجربةً روحيةً صوفيةً ذاتيةً" .. ولم يكن لي علاقة بالجماعات أو الطرق الصوفية، بل كنت ضد هذه الطرق باستمرار، وكنت أحاربها.. وإنما كانت تجربتي روحيةً أمارس فيها العبادة بشكل مكثف"^(٤).

بل إنه كان يرى أن الاستغراب في العمل الفكري من "السكر الحلال" – كما يقول الصوفية – الذي ينسيه متاعب الحياة، يقول: "فالعمل الفكري والإستغراب فيه هو علاج حتى للأمراض العضوية التي يعاني منها الإنسان، وإذا كان الصوفية يتحدثون عن الخمر الحلال والسكر

١. المصدر السابق.

٢. حلقة برنامج وحي القلم: محمد عمارة، الاعتكاف في محارب الفكر. قناة الجزيرة. تاريخ البث ١٣/٧/٢٠١٥. م.

[٣. المصدر السابق.](https://shorturl</p>
</div>
<div data-bbox=)

٤. المصدر السابق.

الحالل فأنا أرى أن العمل الفكري هو السُّكُر الذي يُبعدك عن منعصات الحياة^(١). هذه التجربة الصوفية هي التي جعلت عمارة يقول كلمة تمتع العقل وتشبع النفس عن رسولنا المصطفى إذ يقول: عن علاقته به: "إنني عاشق لرسول الله صلى الله عليه وسلم، متبل في محراب سنته وسيرته، متعلق بصفاته وشمائله، مفتون بسجايته، واقف على أبواب عظمته، مبهور بالتحولات التي أُنجزها في مسيرة الدين والدنيا، غيور على دينه ودعوته، مقاتل دون حماه"^(٢). ويحكي عن هذه التجربة مستطرداً: "هذه التجربة كانت فيها مجاهدات روحية مَنَّ الله تعالى على فيها برؤية اليقين، عين اليقين.. وعرفت معنى "فراسة المؤمن" التي حدثنا عنها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.. بل أقول لك: في تلك الفترة رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الرؤيا.. بل ورأيت ليلة القدر، وهي تجربة لن أحكى تفاصيلها، لكن أقول لك كيف كنت أستعد: بالتعبد بالركعات والدعوات، ومنها دعاء صُغْتُه لنفسِي وقتها: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي واجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِنْكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"^(٣). ويفرق الدكتور محمد عمارة بين الصوفية المجاهدة وبين الصوفية الطرقية المنحرفة، يقول: التصوف ليس نهجاً واحداً، إذ منه التصوف الذي هو علم القلوب والسلوك والإحسان المنضبط بضوابط الشريعة وأحكامها ومقاصدها. وهو الذي كان عليه كبار الزهاد والأقطاب والعارفين الذين سلكوا "طريق المجاهدات والرياضات الروحية"، منذ عصر صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحتى العصر الذي نعيش فيه. لقد جاهدوا غلوًّا الغرائز والشهوات، وجاهدوا الزخارف الدنيوية، وصعدوا بأرواحهم على طريق "المقامات والأحوال"، يبتغون "القرب والفناء" في صفات "الجلال والكمال والجمال" للذات الإلهية، حتى فني عن مَشَاغِلِهِمْ كل ما سِوَى الله. وفي ذات الوقت، وبسبب ما سبق، وليس بالرغم عنه، عاشوا قضايا الإسلام وأمته، فكانوا أئمة الجهد الذي خاضته الأمة في مواجهة المخاطر والتحديات، لقد: أقاموا الدين في قلوبهم وسلوكهم، وواجهوا أعداءه في ميادين القتال، وقادوا الأمة في مقاومة الاستبداد وحكم التغلب والمتغلبين، ووسعوا دوائر انتشار هذا الدين الحنيف؛ بالقدوة الحسنة والنموذج الطيب والمثال الصالح، باختصار، لقد كانوا أئمة في "فقه الورع" وفي "فقه الواقع"

١. المصدر السابق.

٢. المصدر السابق.

٣. المصدر السابق.

وفي "فقه الأحكام" على حد سواء^(١). أما "الطرق الصوفية"، فإنها وإن بدأ الكثير منها بداياتٍ صحيحةً وتتجديديةً وجهاديةً نشرت الإسلام، وحاربت دفاعاً عنه، كما حدث في الكثير من البلاد الأفريقية، إلا أن الكثير من الذين توارثوا هذه الطرق – باستثناء من عصم ربي – قد غرقت في "بحار البدع والشعوذات والخرافات"؛ فخلطت "صلاحاً قليلاً" بـ"الكثير الذي أفسد الإيمان والسلوك" عند قطاعات كبيرة من الأتباع والمربيين.

هكذا جمع عالمنا المفكر بين العمل الفكري والتسبّع من الأدب شعراً ونثراً أسعفه في التعبير عما يشاء من فكر وعلم، وغلف هذا كله وحده بصوفية محببة راشدة لم تجعله ينزوّي في زاوية أو ينحرف في ممارسة، وإنما كان هذا التصوف حافزاً له على مقاومة الظلم ومواجهة المستبدّين.

المبحث الثالث: الجمع بين التراث والتجديد

من الجوانب المتكاملة التي جمع بينها د. محمد عمارة جانب أو مجال "التراث" ومجال: "التجديد"، وهذا لا يجتمع إلا عند الراسخين الوعيين بأهمية الجمع بينهما والصدر عنهم، فالتراث لا تكون إلا تجديدية، والتجديد لا يكون إلا تراثياً. وفي عدد ليس قليلاً من كتبه ومقالاته كان يتحدث عن الهوية وحفظها والاستقلال الحضاري والخصوصية الحضارية لا سيما في ظل العولمة التي تريد أن تصب العالم الإسلامي في القالب الغربي، فمن كتبه التي كتبها في ذلك: الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، مقالات الغلو الديني واللاديني، الإصلاح الديني في القرن العشرين، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، وغير ذلك.

ويفرق الدكتور محمد عمارة في مشروعه الفكري الذي جعل الوسطية من ركائزه: بين "الأصالة" التي تعود بعقائده وعباداته وقيمه إلى منابعها الأولى الجوهرية والنقاء وبين "الجمود والتقليد" التي تحلم بالهجرة من الحاضر إلى الماضي، والتي تخاصم العقل والاستنارة والتقدم والنهوض. ويقرر أنه لا تعارض بين التراث الحقة والتجديد الصحيح، يقول: "بعض الناس

١. أنظر: أبوزيد وصفي عاشور، محمد عمارة، راهب الفكر وفارس الميدان، الجزء الثاني، موقع التبيان، سبتمبر ٢٠٢٠م، <https://short>

يتصور أن التراث نقىض للتجديد، نقىض للتقدم، بل أصبحت كلمة التراث عند بعضهم سبة يُرمى بها الغير.. بينما التراث هو الماضي، وليس هناك إنسان بلا ماضٍ.. وليس هناك إنسان إلا وهو ذا تراث وتأريخ.. لكن القضية هي ما هو تراثك؟ هل تراثك عصر التراجع الحضاري أم عصر الازدهار الحضاري؟.. وكيف تعامل مع التراث؟ هل أهاجر إلى التراث؟ أم أننا نسترشد بالتراث"؟^(١)

ومن كتبه عن التراث والسلف والسلفية التي أجاب فيها عن هذه الأسئلة وغيرها وقرر حقائق كثيرة في هذا الشأن، كتبه: السلفية: واحدة أم سلفيات، السلف والسلفية "رسائل الإصلاح ٣١" ، وكتب عن السلفية كمصطلاح في كتبه التي خصصها للحديث عن المصطلحات. ومن كتبه عن التجديد أو التي تناول طرفة من قضيتها في ضوء التجديد: التقدم والإصلاح بالتنوير الغربي أم بالتجديد الإسلامي، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية (رسائل الإصلاح ١٠)، الشيخ شلتوت إمام في الاجتهد والتجديد (رسائل الإصلاح ١٥)، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكي. إن الجمع بين التراث والتجديد عند المفكر يعطيه الأصالة والقوة، والرصانة والقدرة، ويعززه مزيداً من العمق الذي يمكنه من التأثير والمضي قدماً لتبسيط مشروع الإسلام الحضاري الذي يبين الفكرة ويبلغ الدعوة ويقيم الحجة ويدحض الشبهة، وقد كان لعمارة من هذا النصيب الكبير إن لم يكن الأكبر في عصره.

المبحث الرابع: الجمع بين دراسة المذاهب الكلامية والتيارات الإسلامية وغيرالإسلامية
لقد إستطاع الدكتور محمد عمارة أن يدرس المذاهب الكلامية القديمة بحكم دراسته في قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم بالقاهرة، واطلاعه الواسع على الفلسفة القديمة والمشائخية والفكر الإسلامي المعاصر، وتخصصه في الماجستير والدكتوراه في المعتزلة عن الحرية عندهم، والحكم والسياسة في فكرهم، وجمع مع هذا دراسة التيارات الفكرية والمذاهب المعاصرة. بل عاش معهم وانتهى لهم بعضاً من الزمان، وقد ساعده على هذا

١. أنظر: المرجع السابق نفسه.

الانتماء - كما يحكى هو - حبه للحرية وتعلقه بقضية العدالة الاجتماعية والمقاومة والثورة، ولم يكن انتماًء لها عن عقيدة أو أيديولوجيا تخالف الإسلام، ثم حين تعمق في دراسة الإسلام وجد فيه هذا وأكثر بصورة أرقى وأعدل وأعمق وأشمل مما ترتب عليه تركه لهذه التيارات. وقد كتب عمارة بعض كتبه تشير إلى هذا الجمع، وإلى وعيه الدقيق بمذاهب الفكر المعاصر، ومن ذلك: العلمنانية، سقوط الغلو العلماني، نهضتنا الحديثة بين العلمنانية والإسلام، التفسير الماركسي للإسلام، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، وغير ذلك من كتب^(١). والميزة هنا أن وعيه بالفرق القديمة وتياراتها في الفكر الإسلامي وتراثه العقلي العظيم قد منحه القدرة على تخریج المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة عليها، ومعرفة مداخلها ومساربها ودهاليزها وشبهاتها وأفكارها ومنطلقاتها ومرتكزاتها؛ فضلاً عن خبرته العميقه ومعرفته الدقيقة بالتيارات المعاصرة مثل الاشتراكية والماركسية والعلمنانية من خلال دراسته لها وانتماءه لبعضها وقتاً من الزمان. وهو الأمر الذي ساعدته في هدم هذه الأفكار ودمغ مفكريها وكشف عوارهم والرد على شبهاتهم وأفكارهم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة التي كان يلجمهم بها إجمالاً، وهذا ما جعل عمارة فارساً في المناظرة والحوار، وهو ما شهدته الساحة له وعرفته عنه في مسيرته الفكرية والدعوية والحضارية.

ومن المجالات التي جمع الدكتور محمد عمارة بينها: مجال دراسة التيارات الإسلامية المعاصرة بجماعاتها وتياراتها التي صرخ في أكثر من مقام أنه أحبها وأحبته ونقدتها ونقدته وقدم لها النصح فانتصحت أو لم تنتص، وبين دراسة التيارات غير الإسلامية من ماركسية وشيوعية وعلمانية وإلحادية وغيرها. كل هذه التيارات درسها د. عمارة وفحصها ووقف على مستنداتها وأدلتها وموافقتها وطبيعة مسلكها، فعن موقفه من الحركات الإسلامية وفي القلب منها الإخوان يقول: "الإخوان يثقون بي ويحبونني، وأنا أعتبر التنظيم كبرى الحركات الإسلامية، خاصة في ظل حالة التشرذم في الحركة والأحزاب، فليس لدينا رصيد في الشارع إلا الإخوان؛ فهم رصيد كبير لا ينبغي أن نفرط فيه، ويجب أن نسانده"^(٢).

١. المصدر السابق.

٢. عمارة، محمد، الحركات الإسلامية رؤية نقدية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٨م، ص ٦٥.

وله كتب عن الصحوة الإسلامية، منها: "الصحوة الإسلامية في عيون غربية"، و"الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري"، و"الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية"، و"الحركات الإسلامية رؤية نقدية"، وعن ممارسة النقد والتقويم للحركات الإسلامية الإخوان يقول: "سبق أن كتبت نقداً للحركات ومنهم الإخوان؛ لأنهم ركزوا على السياسة بالمعنى الدارج، وأهملوا المشروع الإصلاحي، كما أهملوا الحديث عن الاحتلال الذي تعيشه الأمة والقواعد العسكرية التي تنتشر في كل بلاد الأمة، والأساطيل التي تنتشر في البحار والمحيطات.. أيضاً الإخوان أهملوا العدل الاجتماعي، رغم أنني حين كتبت عن حسن البنا^(١) وجدته يطالب بالإصلاح الزراعي قبل الحزب الشيوعي المصري، وكان لديه برنامج اجتماعي ثوري، وكذلك خاص

١. الشیخ حسن البنا (١٣٢٤ - ١٩٠٦ هـ = ١٩٤٩ م) حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا: مؤسس جمعية (الإخوان المسلمين) بمصر، وصاحب دعوتهم، ومنضم جماعتهم. ولد في محمودية (قرب الإسكندرية) وتخرج بمدرسة دار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم، فتنتقل في بعض البلدان متعارفاً إلى أهلها، مختبراً طباعهم وعاداتهم واستقر مدرساً في مدينة الإسماعيلية، فاستخلص أفراداً صارحهم بما في نفسه، فعاهدوه على السير معه (إعلاء كلمة الإسلام) واختار لنفسه لقب (المرشد العام) فأقاموا بالإسماعيلية أول دار (الإخوان) وبادروا إلى إعلان (الدعوة) بالدروس والمحاضرات والنشرات، وانفرد هو بزيارة المدن الأخرى. ثم كان يوجه بعض ثقاته في رحلات. مما عتم أن أصبح له في كل بلد سعى إليه دار، و (دار الإسماعيلية) مركز قيادة الدعوة. ولم يقتصر على دعوة الرجال، فأنشأ في الإسماعيلية (معهد أمهات المسلمين) ل التربية البنتات تربية دينية صالحة، ونقل (مدرسة) إلى القاهرة، فانتقل معه (المركز العام ومقر القيادة) ولقي فيها إقبالاً على دعوته. وعظم أمر (الإخوان) وناهز عددهم نصف مليون. وخشي رجال السياسة في مصر اصطدامهم بهم، فحاولوا إبعادهم عن (السياسة) فقام الشیخ يعریف الإسلام في إحدى خطبه الكثيرة، بأنه (عقيدة وعبادة ووطن وجنسيّة وسمّاحة وقوّة وخلق ومادة وثقافة وقانون) وأنشأ بالقاهرة جريدة (الإخوان المسلمين) يومية، فكانت منبره الكتب أبى إلى جانب منابر الخطابية. وحدثت كارثة فلسطين، فكانت (كتيبة) الإخوان المسلمين فيها، من أنشط الكتائب المتطوعة. ونودي بالهدنة، وفي أيدي (الإخوان) سلاح ذُرّوا على استعماله، وأذّخروه للملمات، فحدثت في القاهرة والإسكندرية أحداث إرهابية عجزت السلطات القائمة عن معالجتها، فلجأ رئيس الوزارة (محمود فهمي النغرashi) إلى إغفال أندية (الإخوان) ومطاردة البارزين منهم، واعتقال الكثيرين، والتضييق على زعيمهم (البنا) فتحولوا إلى (حلايا) سرية، تعمل في الخفاء. وتصدى أحدهم إلى النغرashi، فاغتاله جهراً، أمام حرسه وجندته. ولم يمض وقت طويلاً حتى تصدى له ثلاثة أشخاص وهو أمام مركز (جمعية الشبان المسلمين) في القاهرة ليلًا، فأطلقوا عليه رصاصهم وفروا. ولم يجد البنا من يضمد جراحته، فتوفي بعد ساعتين. وكان خطيباً فياضاً، ينحو منحى الوعظ والإرشاد، في خطبه، وتدور آيات القرآن الكريم على لسانه، منظماً، يعمل في هدوء وينبئ في اطمئنان. له مذكرات نشرت بعد وفاته باسم (مذكرات الدعوة والداعية). انظر: الأعلام للزركلي ٢/٣٠.

الشيخ الغزالي معركته ضد الظلم الاجتماعي، وحتى سيد قطب^(١) كتب ضد الظلم الاجتماعي، ولكن كل هذا غاب^(٢).

أما عن حياته مع التيارات غير الإسلامية التي انتهت معايشته لها إلى "التيارات الإسلامية" و"الفكرة الإسلامية"، فيقول: "دخلت اليسار لأجل القضية الاجتماعية، ولكن بالقراءة والتأمل في السجن أدركت أن حل المشكلة الاجتماعية يكمن في الإسلام، في نظرية الاستخلاف وليس في الصراع الطبقي والماركسي.. مواقفي في مرحلة اليسار والمرحلة القومية ثم الإسلامية حصل فيها نضج وتطور، لكن لم تكن هناك فواصل حادة بينها. كنت يساريًا بالمعنى الاجتماعي الثوري، وليس بالمعنى العقدي فلم يكن هناك إلحاد؛ لأن التجربة الروحية والتكوين الديني الأصيل عصمني من أن أستوَعَب في الفكر المادي والنظرية المادية. عندما أدركت أن حل المشكلة الاجتماعية في الإسلام -وليس في الماركسيـةـ كان هذا بداية النضج في الموقف الإسلامي، وفي المرحلة الناصرية كان ثمة تركيز على البعد القومي والعربي، وأنا كنت وما زلت أدرك أن القومية دائرة من دوائر الجامعة الإسلامية، فلم يكن هناك تناقض بين الانتصار للوحدة العربية وللقومية العربية وبين الدائرة الإسلامية. في مرحلة اليسار لا أنكر أنه حدث عندي نوع من الغيش الفكري، ومن سلبيات المرحلة اليسارية - بالنسبة ليـ أني كنت أحفظ دواوين شعرية كثيرة، ثم نسيت هذا في مرحلة اليسار لأنني شغلتني المنشورات والنشاط السياسي^(٣).

ولكن بدأ الغيش الفكري يزول في المرحلة الإسلامية شيئاً فشيئاً، وبعد ١٩٦٧ تراجع المشروع القومي وأصبح التركيز على الدائرة الإسلامية، أيضاً مما عمق موقفي الإسلامي ظهور

١. سيد قطب بن إبراهيم (١٩٠٦ - ١٩٦٧ م): مفكر إسلامي مصري، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة وانضم إلى الإخوان المسلمين، وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم. من كتبه: العدالة الاجتماعية في الإسلام والتصوير الفني في القرآن والمستقبل لهذا الدين وفي ظلال القرآن ومعالم في الطريق. انظر: الأعلام للزركلي ١٤٧/٣.

٢. عمارة، محمد، الحركات الإسلامية رؤية نقدية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٨، ص ٣٨.
٣. حلقة برنامج وحي القلم: محمد عمارة .. الاعتكاف في محارب الفكر. قناة الجزيرة. تاريخ البث ١٣/٧/٢٠١٥م.

<https://shorturl.it>

الصحوة الإسلامية في الثمانينيات، وتصاعد التحديات التغريبية للصحوة الإسلامية والحل الإسلامي بعد سقوط الاتحاد السوفيتي في ١٩٩١، الأمر الذي جعلني أفرد العديد من الكتب لمواجهة الفكر التغريبي والرد على غلاة العلمانيين، لكن ظلت الدائرة القومية والعربية، قضية العدل الاجتماعي والثورة على الظلم الاجتماعي ملحوظة في كتاباتي، كما ظلت الدائرة الإنسانية والتفاعل مع الحضارات المختلفة موجودة في مشروع الفكري^(١). وفي سياق آخر يبين أن إنتماءه لليسار لم يكن عقدياً ولا أيديولوجياً وإنما كان لحمله القضية الاجتماعية والعدالة، يقول: "وعندما ألغيت الأحزاب - ومنها مصر الفتاة والحزب الاشتراكي - لم يكن أمامنا لمواجهة الإقطاع إلا اليسار، فقد كان اليسار حينها فارس القضية الاجتماعية والعدل الاجتماعي، وكان له موقف من القضية الوطنية؛ فقد كان ضد القواعد العسكرية والوجود الأجنبي. وكانت قد دخلت اليسار من باب القضية الاجتماعية من باب القضية الثورية"^(٢).

ولهذا كتب الدكتور محمد عمارة كتباً في مواجهة مشاريع التغريب والغلو التغريبي والغلو العلماني من الرد على نصر أبو زيد (ت ٢٠١٠م) وحسن حنفي وسعيد العشماوي^(٣)، وغيرهم، ومما ألفه في ذلك: "التفسير الماركسي للإسلام"، و"فكرة التنوير بين العلمانيين والإسلاميين"، و"الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين". وكذلك له مؤلفات عن التسلف والسلفية يقول في هذا: "كتبت كتبياً عن "سلفية واحدة أم سلفيات"، وكتبت عنها في كتاب "تيارات الفكر الإسلامي" ، وكان محمد عبده^(٤) يتحدث عن أنه سلفي ويريد فهم الدين كما

١. أنظر مقال: أبو زيد وصفي عاشور، محمد عمارة، راهب الفكر وفارس الميدان، الجزء الثاني. <https://shorturl.it>

٢. حلقة برنامج وحي القلم: محمد عمارة .. الاعتكاف في محراب الفكر. قناة الجزيرة. تاريخ البث ١٣/٧/٢٠١٥. <https://shorturl.it>

٣. محمد سعيد العشماوي (١٩٣٢-٢٠١٣م) هو كاتب ومحامي مصري وقانوني، عمل وكيل نيابة وقاضياً ومستشاراً في محاكم مصر، وتولى سابقاً منصب رئيس محكمة استئناف القاهرة ومحكمة الجنائيات إلى أن وصل إلى وظيفة رئيس محكمة أمن الدولة العليا.

٤. محمد عبده بن حسن خير الله، (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ): مفتى الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. تعلم بالأزهر وتصوف وتفلسف وعمل في التعليم والقضاء. بعض كتبه تفسير القرآن الكريم ورسالة التوحيد. انظر الأعلام للزركلي ج ٦، ص ٢٥٢.

فهمه سلف هذه الأمة قبل ظهور الخلاف. كل إنسان سلفي، فكل إنسان له ماضٍ، ولكن ما ماضيك؟ هل هو عصر الازدهار أم عصر التراجع؟ كيف تعامل مع سلفك؟ هل تهاجر من الحاضر إلى الماضي، أم تستلهم السلف والماضي لقراءة الواقع ولحل مشكلات الواقع؟ ولذلك لدينا سلفيات مختلفة^(١).

وهكذا نستطيع القول أن محمد عمارة استطاع أن يجمع بشكل كامل وواعٍ -حقيقةً لا ادعاءً- بين دراسة هذه التيارات فكراً وممارسة، تنظيراً ومعايشة، حبًّا وانتقاداً حتى غداً هو بذاته رمزاً من رموز الحركات والصحوات في عصره، وهذا مكّنه من التأثير فيها وخلع على فكره سمة العملية والفاعلية والحركية.

المبحث الخامس: الجمع بين الوطنية والعروبية والإسلامية والإنسانية

جمع الدكتور محمد عمارة هذه الدوائر في مشروعه الفكري، وإن بدأ في بدية مشواره ومشروعه بالوطنيات والقوميات والعروبيات، لكنه وجد هذا كله وزيادة في الإسلام الذي قاده إلى استيعاب هذا كله وصَهْرِه، وانتهى به إلى الإنسانية. وقد ألف د. عمارة ضمن مشروعه الفكري العملاق كتباً عن هذه الدوائر الوطنية والقومية والإسلامية والإنسانية، وأحياناً يكتب عن القومية والوطنية، وأحياناً أخرى يبين ما في الإسلام من أبعاد إنسانية، ظهر هذا بجلاء في عدد ليس قليلاً من عنوانات كتبه، ومن ذلك: الجامعة الإسلامية وال فكرة القومية، الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة أم تفتت واحتراق؟، فجر اليقظة القومية، الإسلام والوحدة القومية، القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب، ظاهرة القومية في الحضارة العربية، حقائق وشبهات حول الوطنية والقومية والجامعات الإسلامية، ظاهرة القومية في الحضارة العربية،عروبة في العصر الحديث، الأمة العربية وقضية الوحدة، القومية العربية ومؤامرة أمريكا ضد وحدة العرب، ثورة الاستقلال والوحدة الوطنية، ثورة ١٩١٩ والوحدة الوطنية، المعزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، السنة النبوية ومعرفة الإنسانية، مستقبلنا بين

١. عمارة، محمد. تيارات الفكر الإسلامي، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٧م، ص ٦٨.

العالمية الإسلامية والعلومة الغربية، السماحة الإسلامية. ومما يؤكد على هذا أن أول كتب كتبها عمارة كانت عن القومية ثم ما لبث أن اكتشف وجود هذه الأبعاد والدوائر كلها في الإسلام، يقول: "وفي تلك الفترة كتبت أربع كتب؛ قبل السجن كتبت كتاباً عن القومية العربية ومؤامرات أميركا ضد العرب، حين كنت طالباً في دار العلوم، كتبته في مواجهة فكر يساري ينكر وجود أمة عربية، وأنا بتراثي الإسلامي أدركت أن الأمة العربية تكونت بظهور الإسلام، فعكفت أسبوعاً وكتبت هذا الكتاب، وكان أول كتاب في مصر ينشر عن القومية العربية بعد الوحدة بين مصر وسوريا، وطبع طبعتين وُرجم إلى الروسية. كتبته في ١٩٥٧ وطبع في ١٩٥٨. وعندما دخلت السجن واستقرت الأمور عكفت على القراءة لتطوير هذه الدراسة، فكتبت كتب: 'فجر اليقظة القومية'، و'العروبة في العصر الحديث'، و'الأمة العربية قضية الوحدة'، و'إسرائيل هل هي سامية؟'، وهي دراسة تقارن بين المشروع الصهيوني والمشروع الصليبي. ونشرت هذه الكتب بعد أن خرجت من السجن"^(١). إن الجمع بين كل هذه الدوائر لا يقدر عليه إلا الإسلام، ولا يستطيع تجليته وبيانه وإكثاره بحقيقة وطبيعته غير المتعارضة ولا المتناقضة إلا "المفكر الإسلامي" في حين يرفضه المفكرون الوطنيون والقوميون، بلا ينكرونه؛ فضلاً عن بيان الانسجام بينها وعدم التعارض فيها، وقد قدم د. عمارة في مشروعه الفكري هذه الدوائر كلها متسقة ومنسجمة ومتكاملة لا متعارضة ولا متناقضة مما خلع على مشروعه ميزة خاصة تتناسب مع هذا التنوع والتكميل والثراء.

المبحث السادس: الجمع بين الكتابة والخطابة والجهاد

وقبل بيان فروضية الميدان والاشتغال بهموم الأمة على الأرض وفي الميدان نذكر أولاً أن روح الفروضية وسلك الجهاد والدفاع كانت تكتسي بها كتاباته، وكذلك مفرداته التي يختارها لا سيما في كتبه التي يرد فيها الشبهات، أو مؤلفاته التي يظهر فيها عوار التيارات الفكرية المنحرفة سواء أكانت قديمة أم حديثة. إن الدكتور محمد عمارة حينما يكتب في قضية أو يتحدث فيها، فلا تشعر أنه كاتب يكتب بقلم، أو مؤلف يحبر الورق، أو خطيب يعتلي

١. حلقة برنامج وحي القلم: محمد عمارة الاعتكاف في محارب الفكر. قناة الجزيرة. تاريخ البث ١٣/٧/٢٠١٥. <https://shorturl.at>

المنبر، أو متكلم يتكلم في ندوة، وإنما تشعر أنه مقاتل في معركة يحمل السلاح، ومجاهد مرابط على التغور يحمي الذمار، فترى بارقة السيوف فيما يكتب أو يخطب؛ مبيناً معالم الإسلام، ومجلّياً محسّن العقيدة، ومرسّحاً معاقد الشريعة، ومؤسسًا فرادةً الحضارة، بما يملك من حُجج باللغة، وأدلة دامغة، وإحصاءات قاطعة، ونُفُول عن الآخرين باهرة معبرة، كل هذا في حسن عرض، وجمال بيان، وروعة أسلوب. من الوهلة الأولى في الكتابة يطالعك تاريخ عمارة بأول مقال كتبه في حياته كان من أجل القضية الفلسطينية، وكان بعنوان: "جهاد"، وهو يحكى قصته فيقول: "حدث أني التقيت بناسٍ من حزب "مصر الفتاة"، وبدأت العمل بالسياسة من خلال الحركة الوطنية في مصر، ومن خلال القضية الفلسطينية. أول مظاهرة اشتراك فيها كانت سنة ١٩٤٦ أثناء فترة المعهد (١٩٤٥-١٩٤٦)، وكانت مظاهرات ضد مشروع صدقى/ييفن حول الجلاء الإنجليزى عن مصر. وفي ١٩٤٧ بدأت أخطب في المساجد ضد اليهود = (الإسرائيلىين)، ومن أجل القضية الفلسطينية، وكتبت أول مقال بعنوان "جهاد" عن الفدائين الذين دخلوا فلسطين قبل الجيوش العربية، نُشر في أول أبريل/نيسان سنة ١٩٤٨ في جريدة "مصر الفتاة"، وأعتقد أن نشر هذا المقال حدد مستقبلي ومصيري في علاقتي بالكتابة." وقد كانت قضية فلسطين من القضايا المجمع عليها من كافة التيارات السياسية والفكرية، ونشأ مفكراً محباً للحرية والتحرر والجهاد والعدل الاجتماعي. سبقت الإشارة قبل قليل إلى اشتراكه في أول مظاهرة ضد مشروع "صدقى ييفن" حول الجلاء الإنجليزى عن مصر، كان ذلك عام ١٩٤٦ وهو ابن خمسة عشر عاماً. وكذلك في فترة تعلمه الابتدائي كان يشارك في اعتصامات واحتجاجات، يقول: "فتحت تجربة التعليم الابتدائي أمامي أبواباً كثيرة، خصوصاً أن الأجواء في الأزهر كانت تتسم بالجمود، وكنا ندرس الحواشى والتعليق، ولاحظت بعد ذلك أن ما يدرس في الأزهر ليس كتب عصر الازدهار الحضاري ولا كتب عصر التجديد، وإنما كتب في أغلبها مؤلفة في عصر المماليك، لذلك كنا نقوم بإضرابات واعتصامات واحتجاجات مطالبين بإصلاح الأزهر وإدخال اللغات الأجنبية"^(١).

١. الخطيب، معتز، (٢٠٢١/٥/٢٣) المفكر الراحل محمد عمارة سيرة ومسيرة، <https://bit.ly/20231023>. حوار

وكان يتبع أخبار الفدائين من خلال الصحف، يقول: "وكنت أقرأ صحيفة مصر الفتاة، وأعرف أخبار الفدائين الذين دخلوا من مصر وسوريا إلى فلسطين، وذلك قبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين في مايو/أيار سنة ١٩٤٨م"^(١). تطور الأمر بعد ذلك ميدانياً وممارسة إلى التدريب على السلاح وممارسة الجهاد القتالي على الأرض بالفعل، يقول: "عندما احتدّت أحداث القضية الفلسطينية؛ تطوعت لأتدرب على السلاح وأذهب إلى فلسطين، لكن بسبب السن وأن دسوق كانت مدينة صغيرة لم تتح لي فرصة الدخول إلى فلسطين، وعندما ألغيت معااهدة ١٩٣٦ بين مصر وإنجلترا سنة ١٩٥١ تدرّبت على السلاح أيضاً، ثم تدرّبت على السلاح أيضاً للذهاب إلى قناة السويس ومحاربة الجيش الإنجليزي في القواعد العسكرية هناك، لكن حدث حريق القاهرة فأجلّت الموضوع. ولكنني تمكنّت من الذهاب إلى القناة لمواجهة العدوان الثلاثي ١٩٥٦، حين كانت لي علاقة باليسار المصري الذي كان بينه وبين الحكومة تعاون لمواجهة العدوان الثلاثي"^(٢).

منذ زمن مبكر كان د. عمارة يعتلي المنبر، ويخطب ضد الاحتلال، حتى إنه يقول: "وفي ١٩٤٧ بدأت أخطب في المساجد ضد اليهود (= الإسرائيّيين)، ومن أجل القضية الفلسطينية"^(٣). بل إنه كان يخطب لفلسطين ليجمع المال لها من القرى القريبة منه، يقول: "شاركت في الدعاية للقضية الفلسطينية، وذهبت إلى القرى المجاورة لقرتي لأخطب وأطلب التبرع المادي لدعم الكفاح في فلسطين"^(٤).

والذي حمل مفكّرنا على الخطابة وممارستها في وقت مبكر من حياته هو رغبته في التغيير والتجديد لما رأه من أفكار مغلوطة وأوضاع اجتماعية غير صحيحة، يقول: "لقد لمست في

أجري معه سنة ٢٠١٠م في إطار إعداد فيلم وثائقي -لصالح قناة الجزيرة- عن سيرته الشخصية ومسيرته الفكرية.

١. المصدر السابق.

٢. محمد عمارة جهاد في خدمة الإسلام (مقال)، أشرف عيد العتبلي، <https://www.ikhwanwiki.com>.

٣. حلقة برنامج وحي القلم: محمد عمارة .. الاعتكاف في محراب الفكر. قناة الجزيرة. تاريخ البث ١٣/٧/٢٠١٥م. <https://shorturl.at/etCNQ>

٤. المصدر السابق.

فترة الطفولة والنشأة كثيراً من مظاهر الفهم الخاطئ لتعاليم الدين (والتي كانت نتيجة لظروف طويلة من التخلف)، مما دفعني إلى طريق التجديد والتصحيح.. حتى لقد كنتُ، منذ بداية عهدي بالخطابة، أخطب على نحو غير تقليدي؛ فلقد كان يُدهشُ جمهور الفلاحين لأنهم لم يتعودوا أن يصعدَ على المنبر إنسانٌ يتكلم في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعلمية.. وبدأتُ أَعِظُ الناسَ ٣٠ ليلةً في رمضان.. ثم بدأت التجربة التي بدأتها في القرية تنضج؛ فتحتول إلى لون من ألوان القيادة السياسية والاجتماعية والفكرية: فأصحاب المشكلات يأتون، والباحثون عن الفتاوی يأتون، والمشكلات الزوجية صُلحاً أو طلاقاً تنتهي عند الحجرة المتواضعة التي أجلس فيها، والعلاقات والصداقات تنمو بين القرية والقرى المجاورة، وأصبحت شهور الصيف التي أقضيها في القرية منتديات من الحوار والنقاش الدائم، ومجالاً خصباً للخطابة والموعظة وإماماة الناس^(١). وقد تطورت طبيعة الخطابة عنده من " مجرد الوعظ" إلى آفاق الإصلاح الاجتماعي كما تبين، يقول عن ذلك: "وأذكر أنَّ من ضمن ما قدمتُ للناس في مسجد القرية تفسيراً أدهشهم، لكنه أقنعهم، وذلك عندما قلتُ لهم: "إذا لم تأخذوا من إنتاجكم ما يكفي قوتكم وقوت أولادكم، فستذهبون إلى النار، حتى لو كان ذلكم الأخذُ اغتصاباً من المالك للأرض؛ لأنَّ الله سبحانه يُبشر الذين يَظْلَمُونَ أَنفُسَهُم بالنار" {إنَّ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ، قَالُوا: فِيمَ كُتِّمَ؟ قَالُوا: كُنَا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهاجِرُوا فِيهَا؟! فَأَوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} ^(٢) وأنت إذا لم تأخذ من نتاج عرقكَ ما يكفيك ويكتفي أسرتكَ: فأنت تظلم نفسكَ؛ فأنت عاصٍ لله. وقد كنتُ أرى الفلاحَ يُشَقَّى ويزرع الأرضَ ويَرُويها بعرقه (على سبيل الحقيقة لا المجاز)، ثم يَحْصُدُ، ثم يَأْخُذُ المالكُ كلَّ هذا الحصادَ ونتيجةً هذا العرق، ويذهب الفلاحُ آخر الليل إلى بيته خالي الوفاض، فإذا امتعض أو اعترض: يُطرَدُ من الأرض

١. حلقة برنامج وحي القلم: محمد عمارة .. الاعتكاف في محارب الفكر. قناة الجزيرة. تاريخ البث ١٣/٧/٢٠١٥ م. <https://shorturl.at/etCNQ>

٢ . سورة النساء: ٩٧

وينقى للمجهول.. ومن هنا كان هذا التفسير الذي قدمته تفسيرًا ثوريًا^(١). وقد أشرنا سابقاً ونحن نتحدث عن تجربته الصوفية ممارسته للخطابة الناقدة للتصوف المنحرف وللملك فاروق معاً، وهو ما يزال في التعليم الأولى، يقول: "في مرحلة الابتدائي والثانوي - قبل الإرتباط باليسار - كانت لدى تجربة في المجاهدة الروحية والتصوف غير الطرقي، وكنت أخطب على المنبر ضد الطرق الصوفية وأعلم الناس فرائض الدين ومقاومة الظلم، وفي الجمعة التي سبقت ثورة يوليو صادف أن انتقدت الملك فاروق، وعندما عزل بعد الثورة ظن بعض الناس أنني كنت على علم بتفاصيل ثورة يوليو، وظن آخرون أنني من أولياء الله الصالحين"^(٢). وإنما أحداث يوليو ١٩٥٢ يقول مبينا تطور الخطابة عنده إلى شكل سياسي ثوري: "وقامت ثورة يوليو ١٩٥٢ م أثناء دراستي الثانوية، ولقيامها معى حادث طريف: فقد كنت أخطب الجمعة بشكل منتظم خلال الإجازة الصيفية بمسجد القرية، وكانت الوحيدة التي لا يدعو للملك على المنبر، وكان هذا شيئاً مُستغرباً، ولكنني التزمت.. والمثير أنه في يوم الجمعة وخلال الأسبوع الذي سبق الثورة مباشرةً كان في الخطبة ما يُشبه النقد اللاذع للملك فاروق، ودعوت الله فيها أن ينصر الأمة العربية والإسلامية على أعدائها ويد أبنائها المخلصين.. وعندما قامت الثورة: تصوّر مَن في القرية أنني كنت على علم أو على اتصال بها، وأخذوا يقارنون بين ما قلته في الخطبة وبين ما حدث؛ ليؤكدوا على هذه القناعة"^(٣). ظلت الخطابة مهارة ورسالة يمارسها مفكّرنا في قريته حتى أواخر حياته، كان إذا زار قريته خطب فيها الجمعة، وخطب العيددين، وما زال كذلك حتى لقي الله تعالى. وأيضاً من معالم فروسيته ما اشتهر به من مناظرات لم يحظ أحد من معاصره بالقدر الذي حظي به الدكتور محمد عمارة منها اللهم إلا أحمد ديدات- رحمهما الله تعالى - وقد تابعت

١. عمارة، محمد، التفسير الماركسي للإسلام، دار الشروق القاهرة مصر، ص ٧٤.

٢. حلقة برنامج وحي القلم: محمد عمارة .. الاعتكاف في محارب الفكر. قناة الجزيرة. تاريخ البث ١٣/٧/٢٠١٥ م. <https://shorturl.at/etCNQ>

٣. الخطيب، معتز، (٣/٥/٢٠٢١) المفكر الراحل محمد عمارة سيرة ومسيرة، اطلع عليه بتاريخ: ٢٠٢٢/١٠/٣٠. حوار أجري معه سنة ٢٠١٠ م في إطار إعداد فيلم وثائقي- صالح قناة الجزيرة- عن سيرته الشخصية ومسيرته الفكرية، المرجع السابق.

الجماهير الواسعة مناظراته مع نصر أبو زيد وفرج فودة ونوال السعداوي وكمال زاخر وفؤاد زكريا وآخرين، وكيف خرج من هذه المناظرات كلها منتصراً مظفراً حتى قال عنه الشيخ الكبير محمد الغزالى مداعباً إياه في لقبه: "أنت لست «عمارة»؛ أنت قلعة حصينة شامخة شديدة البأس؛ تكر منها على أعداء الإسلام وشانئيه، ولا ترضى الإياب إلا بعد أن تتركهم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية"^(١). كما أنه حين يستضاف وحده في أي لقاء تليفزيونى يتحدث حديثاً قوياً حاشداً متھمساً يأخذ عقلك وقلبك وو جدank بما يقوله من فكر، وما يقيمه من حجج وأدلة، وما يدفعه من شبهات أمام العلم الراسخ الذي ييدهه ويدهبه بل يجعله أضحوكة وأثراً بعد عين.

الفصل الثاني: قواعد منهجية الدكتور محمد عمارة في

الدعوة

المبحث الأول: الوسطية الإسلامية

المبحث الثاني: العقلانية الإيمانية

١ . القرضاوى يوسف، الدكتور محمد عمارة الحارس اليقظ المرابط على ثغور الإسلام، ص١٤٣، دار المقاصد، بيروت.

المبحث الثالث: الإيمان بالتجددية

المبحث الرابع: المواكبة والتجدد

الفصل الثاني: قواعد منهجهية في تناول مشاكل الدعوة

تمهيد: قدم الدكتور محمد عمارة للأمة مشروعًا فكريًاً متكاملاً، يرتكز هذا المشروع على أصول فكرية وقواعد منهجهية عميقة. وفي هذا الفصل سنتطرق بالتفصيل إلى هذه المرتكزات الفكرية التي بني عليها محمد عمارة مشروعه الفكري النهضوي و تطرق من خلالها إلى المشاكل والتحديات في الساحة الدعوية.

المبحث الأول: الوسطية والإعتدال

تمهيد: ينتمي المفكر محمد عمارة إلى الوسطية الإسلامية ويدعو إليها، وسنعرض في هذا المبحث مفهوم الوسطية وأيضاً أهم تطبيقاتها.

المطلب الأول: تعريف الوسطية

يرى محمد عمارة أن الوسطية الإسلامية هي بمثابة المنظار الذي يمكن من خلاله رؤية الإسلام الحقيقي، فيقول عنها: "أنها الحق بين باطلين.. والعدل بين ظلمين.. والاعتدال بين طرفين والموقف العادل الجامع لأطراف الحق والعدل والاعتدال الرافض للغلو إفراطاً وتغريطاً لأن الغلو الذي يتتبّع الوسطية هو انحياز من الغلاة إلى أحد قطبي الظاهرة، ووقف عنده إحدى كفتي الميزان يفتقر إلى توسط الوسطية الإسلامية الجامعة"^(١). حيث يرى محمد عمارة الوسطية الإسلامية من المفاهيم السوقية العامة التي شاعت عن دلالات مصطلحها بين العوام، وينفي أن تكون لها صلة بالوسطية الإسلامية، ويرى أيضاً أنها ليست الوسطية الأرسطية التي رأى بها أرسطو وعرفها الكثير من الدارسين للفلسفة اليونانية بأنها فضيلة بين رذيلتين، فالوسطية ليست بهذا المفهوم في منهج الإسلام إنما هي موقف ثالث في التصور الإسلامي، حيث يسمّيها محمد عمارة بالوسطية الجامعة التي تجمع عناصر الحق والعدل من القطبين المتقابلين، وتكون موقفاً ثالثاً متميزاً عن الأول ومتميّزاً عن الثاني، ولكنه ليس مغايراً تماماً لكلا القطبين. ويضرب محمد عمارة أمثلة عن الوسطية الجامعة ومن ذلك العقلانية الإسلامية، فهي موقف وسط بين ظاهر النقل وبين تأليه العقل، ولكنه يجمع عناصر الحق والعدل من النقل ومن العقل والكرم فهو موقف وسط بين الشُّح والبخل وبين الإسراف والتبذير، لكن الكريّم فيه من عطاء المسرف شيء، وفيه من تدبير البخل شيء، ويجمع الوسط العدل الخيار من الموقفين المتقابلين فيكون موقفاً وسطاً هو الكرم. والشجاعة ليست مغايرة تماماً للتهور، وليس مغايرة تماماً للجبن، إنما هي تجمع عناصر الحق والعدل من التهور الذي فيه الإقدام، وتجمع الحسابات والتذير من الجبان الذي فيه الحذر.

وقد ذكر محمد عمارة كل الآيات التي أشارت إلى مصطلح الوسطية الإسلامية، والمضمون الذي ميزها بوصف الجامع، يقول الله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ

١ . محمد عمارة: معلم المنهج الإسلامي، مصدر سابق، ص ٧٧ .

يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴿١﴾ . وقوله أيضا في سورة الإسراء : ﴿ وَإِنْتَ
ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمُسْكِنَ وَإِنَّ السَّبِيلَ وَلَا تُبَدِّرْ تَبَذِّرًا ﴿٢﴾ . وقال : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ
مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبُسْطِ فَتَقْعُدْ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٣﴾ . وغيرها من الآيات
التي أشارت إلى هذه الخصيصة . الوسطية من خصائص المنهج الإسلامي والدين الإسلامي
وصفات الأمة الوسط أمة الإسلام، وفي نفس المضمون الإسلامي لمصطلح الوسطية قرأ
محمد عمارة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما
خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين في الإسلام إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً
كان أبعد الناس منه" (٤). حيث يرى محمد عمارة أن هذا الإثم الذي كان الرسول صلى الله
عليه وسلم أبعد الناس عنه هو المروض من سمات القطبين المتناقضين، لأنه الظلم والباطل
والنطرف المنحاز بعيداً عن العدل والحق واليسير والاعتدال" (٥). وقد اعتبر محمد عمارة
الوسطية الإسلامية منظار للرؤية وبدونه لا يمكن أن نبصر حقيقة الإسلام، وكأنها العدسة
اللامعة للنظام الإسلامي والفكرية الإسلامية، والفقه الإسلامي وتطبيقاته فقه وسطي يجمع
بين الشرعية الثابتة والواقع المتغير، أو يجمع بين فقه الأحكام وبين فقه الواقع، ومن هنا فإن
الله سبحانه وتعالى جعل وسطيتنا جعلاً إلهياً. يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ
أُمَّةً وَسَطًا ﴿٦﴾ . ويضيف محمد عمارة أنه عندما التزمت الفكرية الإسلامية بهذه الوسطية
الجامعة لم تعرف ذلك التناقض الذي لم يوجد له حل بين هذه الثنائيات الروح والجسد،
الدنيا والآخرة، الدين والدولة، الذات والموضوع، الفرد والمجموع الفكر والواقع المادية
والالمالية.. وغيرها من الثنائيات التي حدث بينها التناقض ولم يجدوا لها حلّاً، حيث يرى

١ . سورة الفرقان: الآية ٦٧

٢ . سورة الإسراء : الآية ٢٦

٣ سورة الإسراء : الآية ٢٩

٤ . رواه البخاري ومسلم وأبو داود والإمام مالك والإمام أحمد.

٥ . محمد عمارة : معالم النهج الإسلامي ، مصدر سابق، ص ٨٠.

٦ . سورة البقرة: الآية ١٤٢

عمارة أنه عندما افتقد منهج النظر إليها إلى قسمة الوسطية الجامعة حدث الانقسام الحاد في الفلسفة الغربية إلى ماديين ومثاليين. في حين يقول محمد عمارة: "لقد مثلت هذه الوسطية الجامعة لفكريتنا الإسلامية عند الذين التزموها طوق النجاة من هذه الثنائية وتمزقها".^(١)

المطلب الثاني: تطبيقات الوسطية الإسلامية

الفرع الأول: الفكر والمادة

الفلسفة المادية ترى أن المادة هي مصدر الفكر، وأن الدماغ هو الذي يشع الفكر وهذا الدماغ هو مادة، إذن المادة هي الأساس. في حين الفلسفة المثالية الأوروبية تقول عكس ذلك أن الفكر هو مصدر المادة ونجد ذلك في نظرية المثل عند أفلاطون وغيرها. ويرى محمد عمارة أن المنهج الإسلامي والفكريّة الإسلامية بل والحضارة الإسلامية ككل قد قدمت تصوّر وسطيّ لعلاقة الفكر بالمادة، وهو أن الوحي يأتي بكليات الواقع يفرز علامات استفهام يريد إجابات على مشكلات الواقع، فالوحي عندما يتنزّل في الواقع يحدث تغيير فينفتح الفقه، فالفقه الذي يحكم حياة المسلمين هو ثمرة للجمع بين الوحي التنزيلي الإلهي، وبين علامات استفهام الواقع، وهكذا لا ينفرد الفكر وحده ولا الواقع وحده بالفعل والتأثير، فلا نقف عند الفكر وحده، هو الذي يصنع المادة ولا عند المادة وحدها هي التي صنعت الفكر، بل عقد القرآن بين الفقه الحكم وفقه الواقع^(٢). يضيف محمد عمارة أن الكثير من القضايا في الفكر الغربي قد قسمت هذا الفكر إلى اتجاه مادي واتجاه مثالي، وهذا لا يوجد في الحضارة الإسلامية بل هناك مادية مؤمنة فعندما نقول إن الله قديم لا أول له، و فعل القديم قديم، العالم قديم لكنه فعل الله سبحانه هو قديم لكنه مخلوق له خالق هو الله، وهذه النظرية تحدث عنها ابن رشد باستفاضة وبشكل عقري.

١ . محمد عمارة معالم المنهج الإسلامي ، المصدر السابق، ص ٨١ .

٢ . محمد عمارة: معالم المنهج الإسلامي ، المصدر السابق، ص ٨٣-٨٢ .

يعطي محمد عمارة شهادات واقعية تطبيقية على الوسطية الإسلامية الخاصة بعلاقة الفكر بالواقع، فيستأنس بشهادة عالم قديم وفيلسوف حديث هما جابر بن حيان^(١)، وجمال الدين الأفغاني. فجابر بن حيان يرى ضرورة سبق العلم للتجربة والعمل وفي نفس الوقت يرى اكتمال العلم بواسطة التجربة والعمل فكل صناعة لا بد لها من سبوق العلم في طلبها للعمل، فالعلم سابق أول والعمل متاخر مستأنف وكل من لم يسبق إلى العلم لم يمكنه إتيان العمل. أما جمال الدين الأفغاني، فهو يتصور العلاقة بين الفكر والمادة على نحو أن آخر الفكر أول العمل وأخر العمل أول الفكر. ويختتم محمد عمارة حديثه حول علاقة الفكر بالمادة، حيث يرى أنه بفضل الوسطية الإسلامية فقد برئ الموقف الإسلامي من الثنائية والانشطار.

الفرع الثاني: الجبر والاختيار

يعرف محمد عمارة الجبر في الاصطلاح الإسلامي بأنه: "تجريد الإنسان من فعل الأفعال التي تظهر على يديه، والتي هو محل لها ونسبة الفعل لها إلى الله سبحانه وتعالى"^(٢). حيث أن الجبر والجبرية هما النقيض للحرية والاختيار. ويرى محمد عمارة أن المنهج الإسلامي يعترف بالسببية مع نفي الحتمية المطلقة، وبعلاقة الضرورة بين الأسباب والمسبيات فإن هذا المنهج يعترف بالحرية الإنسانية والاختيار الإنساني، ولكن دون حكم أو إطلاق وبما أن الوسطية الجامحة. أخص خصائص هذا المنهج الإسلامي فقد تبع فلسفته في حرية الإنسان و اختياره من وسطية مكانة هذا الإنسان في هذا الوجود، فلا تكون حريته مطلقة فيه فيكون هو سيد هذا الوجود، ولا يكون الجبر المطلق هو قدره في هذا الميدان فيكون هو الحقير المتلاشي الذي لا خلاص له إلا بالفناء الكل أو المطلق، إنما هو الخليفة

١. جابر بن حيان (٢٠٠ - ٨١٥ هـ = ٨٠٠ م) جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي، أبو موسى: فيلسوف كيميائي، كان يعرف بالصوفي. من أهل الكوفة، وأصله من خراسان. اتصل بالبرامكة، وانقطع إلى أحدهم جعفر بن يحيى. وتوفي بطوس. له تصانيف كثيرة قيل: عددها ٢٣٢ كتابا، وقيل: بلغت خمسمائه. ضاع أكثرها، وترجم بعض ما بقي منها إلى اللاتينية. ولجابر شهرة كبيرة عند الأفرنج بما نقلوه، من كتبه، في بدء يقظتهم العلمية. وقد اشتملت كتبه على بيان مركبات كيماوية كانت مجهولة قبله. وهو أول من وصف أعمال التقطير والتبلور والتذوب والتحويل إلخ. انظر: الأعلام للزركلي ١٠٣/٢.

٢. محمد عمارة: معالم المنهج الإسلامي، المصدر السابق، ص ٨٧.

الذي إستخلفه الله لحمل أمانة الحرية والاختيار، ولكنها حرية واختيار الخليفة المحكوم بالنظام الأعظم الذي خلقه خالق هذا الوجود، فهي إذن الحرية في الوسط والاختيار الوسط بين (مطلق الجبر) و (مطلق الاختيار)^(١). فالإسلام بوسطيته الجامعة قد اتحذ السبيل العدل في قضية الجبر والاختيار، فالقدر ليس نقضاً للحرية إنما هو حاكم لإطارها، لأنها حرية الخليفة المخلوقة والمحكومة بـ (قدر الفعال لما يريد) جلاً وعلاً. ويتميز عمارة بين نوعين من الإرادة الإلهية:

— إرادة حتم وجبر وقسر: وهي تعلقت بما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، وليس في متعلقات هذه الإرادة ما هو موضوع لخلافة الإنسان ولا لاختيار هذه الخليفة.

— إرادة التخيير والتفويض والتمكين لخليفة الإنسان: فالله قد أراد الإيمان والطاعة، لكنه خير ومكان وفوض كي يكون للتکلیف وللحساب والجزاء معنی وحکمة، وفي هذه الإرادة يتجلی میدان الحرية والاختيار بالنسبة للإنسان.

الفرع الثالث: الشورى البشرية والشريعة الإلهية

ليس هناك تناقض أو خلط في المنهج الإسلامي بين موضوعات الشورى البشرية وبين موضوعات الشريعة الإلهية التي وضعها الله سبحانه وتعالى لتكون التجسيد لحاكمية الله المهيمنة على الإنسان والواقع الذي يعيش فيه. هذه الحاكمية الإلهية المتمثلة في أصول الشريعة ومقاصدها وحدودها ليست من جنس الحاكمية البشرية المتمثلة فيما هو موضوع لشورى الإنسان، حيث تعتبر الشريعة الإلهية هي الضابط والمعيار الإسلامية لشورى الإنسان. حيث يرى الدكتور محمد عمارة أن الشريعة الإلهية ليست نقضاً للشورى، بل هي الكافية لها أن تظل ثمارتها إسلامية، وفي الوقت نفسه لا يمكن أن تضيق وتبعد هذه الشورى من هذه الحدود الإلهية لأنها -الشورى- في عرف الإسلام فريضة إلهية. وعلى هذا النحو

١ . المصدر نفسه، ص ٨٨-٨٩

جمعت الوسطية الإسلامية بين الشورى البشرية وبين الشريعة الإلهية حيث برئتهما من الخلط والتناقض بينهما^(١).

المبحث الثاني: العقلانية الإيمانية

تمهيد: إهتم الدكتور محمد عمارة بالعقل والعلقانية على اعتبار أن للعقل قيمة عظيمة في الرؤية الإسلامية منذ العصر الأول، أو كما يسميهما العقلانية المؤمنة في مقابل العقلانية المادية الغربية الحديثة التي ظهرت في القرن الثامن عشر، فالإسلام أعطى العقل مجاله الواسع في الرؤية الفكرية الإسلامية، وفي القرآن الكريم هناك آيات كثيرة تدعوا إلى التفكير والتدبر والنظر والتأمل، وهناك إشارات كثيرة وردت في القرآن تدل على استعمال العقل وكذلك مكانته في الدين الإسلامي من أجل الإيمان من خلال العقل والإلتزام عن طريقه، فإذا تعطل العقل فلا يعتبر الإنسان مكلفاً فالإسلام يخاطب العقل ويدعو إلى النظر والتدبر من خلال آياته الكثيرة إلى الإنسان.

المطلب الأول: مفهوم العقلانية الإيمانية

يرى محمد عمارة أن العقلانية الإسلامية نابعة من الدين وليس غريبة عن الدين ولا هي ثورة عليه، حيث قال جمهور علماء المسلمين في تعريفهم الإسلامي للعقل بأنه: "ملكة وغريزة نور وفهم وبصيرة، وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان ولذلك فهو ليس عضواً ولا حاسة من الحواس.. أي أن وجوده في الأذهان لا الأعيان.. وهو المستوى الأعلى في الإدراك لما فوق الحواس"^(٢). فالعقل نور من أنوار الله يزامل هذا الدين الحنيف، ويمثل بالنسبة له أداة الفهم وقاعدة التأسيس، وبسبب هذا التأسيس الديني - للعقل والعلقانية - كانت مهمة العقلانية الإسلامية هي الدفاع عن الإيمان الإسلامي بالمنطق العقلاني الداعم للوحي والنقل الإسلامي. تطرف الناس في قضية العقل والعلقانية وتعددت مواقفهم وذهبوا مذاهب شتى،

١ . محمد عمارة : معالم المنهج الإسلامي ، المصدر السابق، ص ٩١

٢ . محمد عمارة مقام العقل في الإسلام ، ط١ ، نهضة مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٨ ، ص ١٨

ويقسمهم محمد عمارة في كتابه "مقام العقل في الإسلام" إلى خمسة أقسام في موقفهم من العقل والعقلانية:

- **الأول:** تيار نصوصي يقف أصحابه عند ظواهر النصوص، ويتنكرون للنظر العقلي ويخلطون بين العقل والهوى.
- **الثاني:** تيار باطني يدعى التصوف يتنكر للعقل ويعتمد على ما يسميه الحدس، وفي التعامل مع النصوص يعتمد التأويل العبشي.
- **الثالث:** تيار حداثي غربي له امتداداته في واقعنا العربي والإسلامي، ذهب إلى تأليه العقل وجعل شعاره لا سلطان على العقل إلا للعقل وحده، وهذا التيار انقاد للغرور العقلاني فافتعل معركة شرسة لا داعي لها بين العقل والنقل^(١).
- **الرابع:** تيار ما بعد الحداثة الذي يحاول التمدد على أنقاض الحداثة الغربية، ويدعو إلى تفكك منظوماتها و المسلماتها الكبرى حول العقل والعلم والتقدم، وهو لا يقدم للإنسان سوى الفوضى والعدمية التي تصيبه بالشك العبشي.
- **الخامس:** تيار الوسطية الإسلامية الذي يقيم عقلانيته على كتاب الوحي والوجود، وعلى نور الشع ونور العقل، هذه العقلا نية المؤمنة التي نبعت من النقل القرآني وتبلورت في علم الكلام الإسلامي - علم التوحيد الذي كانت وظيفته إقامة البراهين العقلية على صدق الغيب.
- ولأن القرآن الكريم هو مصدر ومنبع العقلانية الإسلامية، فقد جاء ذكر العقل فيه في تسع وأربعين آية، كما تحدث عن مرادفاته:
- **القلب:** الذي هو لطيفة ربانية لها بالقلب الجسماني تعلق.. وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وبها يعبر عن العقل. يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى أَسْمَعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٢). وجاءت الآيات القرآنية للتعبير

١ . محمد عمارة مقام العقل في الإسلام، المصدر السابق، ص ١٢٣.

٢ . سورة ق : الآية ٣٧.

عن العقل بمصطلح القلب في ١٣٢ موضعًا، وهذا الجمع القرآني بين العقل والقلب إشارة إلى جمع الإسلام بين تقوى القلوب وعقل العقول.

- **اللب**: هو العقل سمي بذلك لأنه يمثل جوهر الإنسان وحقيقة، وقد ورد مصطلح اللب في القرآن الكريم في ١٦ موضعًا.

- **النهي**: هو العقل سمي بذلك لأنه ينهى عن القبيح، وقد ورد مصطلح النهي في القرآن الكريم في آيتين^(١).

- **الفكر والتفكير**: أي التأمل وترتيب الأمور المعلومة لتأديي إلى المجهولة، وتصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب. وقد ورد التعبير بالفكرة والتفكير عن العقل في القرآن الكريم في ١٨ موضعًا.

- **الفقه**: هو التوصيل إلى علم الغائب عن علم الشاهد، ولقد ورد في القرآن الكريم تعبيرًا عن العقل والتعقل في عشرين موضعًا.

- **التدبر**: بمعنى التأمل والتعقل والنظر والتفكير في أدبار الأمور وعواقبها، وورد هذا المصطلح تعبيرًا عن العقل والتعقل في القرآن الكريم في أربع آيات.

- **الاعتبار**: بمعنى الاستدلال بالشيء على الشيء، والتدبر والنظر والقياس، وقد ورد التعبير بهذا المصطلح العقل والتعقل في القرآن الكريم في سبع آيات.

- **الحكمة**: التي هي الصواب في غير نبوة، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، وكل ما يتحقق فيه الصواب من القول والعمل، وورد التعبير بالحكمة عن الصواب العقلاني بالقرآن الكريم في ١٩ آية.

فقد بلغت الآيات القرآنية التي تحدثت باللفظ عن العقل ومرادفاته ٢٦٧ آية. إضافة إلى مئات الأحاديث النبوية التي جاءت في فضل العقل، جعلنا ندرك المقام السامي والمتألق للعقل والعقلانية في الإسلام وفلسفته وحضارته^(٢).

١ . محمد عمارة مقام العقل في الإسلام، مصدر سابق، ص ١١ .

٢ . محمد عمارة مقام العقل في الإسلام، مصدر سابق، ص ١٣

المطلب الثاني: مكانة العقل في الفكر الإسلامي

يرى محمد عمارة أن الفلسفة اليونانية قد وضعت العقل والبراهين العقلية في قمة أدوات البحث والنظر والاستدلال، لكن هذه العقلانية اليونانية قد تبلورت في مناخ لم يكن فيه وحي سماوي فجاءت عقلانية منفلترة ومتحررة من مرجعية الوحي السماوي، الأمر الذي حرمتها من التوازن والموازنة بين الحكمة الإلهية والحكمة الإنسانية، ونفس الأمر عندما حكمت الكنيسة أوروبا سادت في لاهوتها مقولات مناهضة للعقل والعقلانية فدخلت أوروبا بهذا اللاهوت الكنسي المعادي للعقل إلى عصورها المظلمة من ثمة جاء رد فعل التنوير الغربي والحداثة الغربية على المستوى نفسه، فتخلفت إبان النهضة الأوروبية عقلانية لا دينية تؤله العقل وترفع شعار لا سلطان على العقل إلا العقل وحده، وهكذا عرفت الحضارة الغربية في طورها اليوناني عقلانية مجردة من الدين وفي طور نهضتنا الحديثة عقلانية معادية للدين، في هذا الوقت الذي دخلت فيه الحضارة الأوروبية عصورها الوسطى والمظلمة يقول محمد عمارة "هكذا كان المشهد العالمي فيما يتعلق بالعقل والعقلانية عندما ظهر الإسلام في القرن السابع للميلاد لاهوتياً كنسياً لا عقلانياً... وهنا تألقت العقلانية المؤمنة التي جاء بها الإسلام، فبددت بضربيها هذا الركام اللاعقلاني^(١)."

ويرى الأستاذ الدكتور محمد عمارة أن للعقل في القرآن مكانته الكبيرة حيث تحول على يدي الرسول والذين معه من الجيل الفريد الذي صنعه الرسول على عينه في مدرسة النبوة تحول إلى خلق وسجية وأمة ودولة وثقافة ومدنية وحضارة - ولم يقف عند الموعظ والوصايا والصلوات في المحاريب... فإن العقلانية المؤمنة التي تبلورت في آيات القرآن الكريم وأساليبه في المحاورة والاستدلال، سرعان ما تبلورت فلسفة إسلامية لها أعلامها ومدارسها وإبداعاتها منذ النصف الثاني من القرن الهجري الأول^(٢).

١ . المصدر نفسه، ص ١٩ .

٢ . محمد عمارة مقام العقل في الإسلام، مصدر سابق، ص ٢٠

وعلى الرغم من تنوع تيارات الفكر الإسلامي إزاء سلطان العقل وجرعة العقلانية، فإن جميع هذه التيارات قد اتفقت على إعلاء شأن العقل وعلى نفي التعارض بين هدايا العقل وهدایات الدين، فالله سبحانه وتعالى هو الذي أنزل الكتاب والحكمة، وهو الذي أنزل الكتاب والميزان، لذلك تبلورت في السياق الحضاري الإسلامي عقلانية مؤمنة بلغت من القرآن، وأصبحت أدلة للبرهنة العقلية على صدق هذا الدين. وأن العقل كما يرى محمد عمارة في القرآن الكريم والسنّة النبوية هو مناط التكليف والاستدلال على الإيمان. يقول: "ولأن الإيمان بالإسلام هو تصديق قلبي يبلغ درجة اليقين، كان المبدأ الإسلامي المحكم (لا إكراه في الدين) (لكم دينكم ولني دين) (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)، كان هذا المبدأ الإسلامي يعني في الواقع والتطبيق: تحرير الفتوحات الإسلامية أرض الشرق من استعمار الروم والفرس وتحرير ضمائر شعوب الشرق من القهر الحضاري والديني والذي مارسه الروم والبيزنطيون الشرق لعشرة قرون وترك الناس أحرازاً^(١)). ولقد أثمرت هذه الفتوحات الإسلامية منذ الفتح دولة إسلامية وبعد قرن من الفتح لم يتجاوز عدد المسلمين فيها ٢٠٪ من السكان، وقد نتج عن هذه المعادلة دولة إسلامية ورعية تتدين وتتمذهب بمختلف الديانات والمذاهب، فقد شهدت البلاد الإسلامية أوسع نشاط في الحوار الفكري بين المسلمين وغير المسلمين من نصارى ويهود ومجوس وغيرهم من الطوائف، وفي خضم هذا الحوار الحر والواسع والعميق تبلورت العقلانية الإسلامية لأن العقل والمنطق كانوا السلاح الأول والأفعى في عرض الإسلام والدفاع عن عقائده، وفي الرد على مقالات المخالفين ومقولاتهم. فقد استخدم الفلاسفة الإسلاميون العقل والعقلانية في نشر الإسلام والرد على المخالفين. لقد كان للعقلانية الإسلامية مقاماً عالياً ومكاناً ملحوظاً ووضعاً متميزاً وممتازاً في تراث مذاهب الإسلام على امتداد تاريخ هذا التراث وعلى تنوع مذاهب أئمته وأعلامه، ولقد ذكر محمد عمارة أمثلة وشهادات أئمة وعلماء أعلو من شأن ومقام العقل والعقلانية. ومن بين هؤلاء الشهادات ذكر الحسن البصري الذي أخرج تيار العقلانية الإسلامية من تحت عباءته ومن

١ . المصدر نفسه، ص ٢١-٢٠.

مجلس علمه، كما أنه استشهاد الدكتور محمد عمارة بمدرسة المعتزلة أهل العدل والتوحيد، حيث انطلقت هذه المدرسة العقلية من الدين وجعلت مهمتها الأولى الدفاع عن الدين بالبراهين العقلية^(١). وبرز علماء كبار من المدارس الفقهية والكلامية ناقشوا قضية العقل ودوره كحججة للثيقين ومن هؤلاء الإمام أبو الحسن الماوردي الذي يرى إن السبب المؤدي إلى معرفة الأصول الشرعية والعمل بها شيئاًًاً أحدهما علم الحس، وهو العقل لأن حجج العقل أصل المعرفة الأصول، إذ ليس تعرف الأصول إلا بحجج العقول، وثانيهما: معرفة لسان العرب، وهو معتبر في حجج السمع خاصة^(٢).

إذا جئنا إلى حجج الإسلام أبي حامد الغزالى^(٣) الذي مثل ظاهرة فكرية، فإننا نجد له صياغات كثيرة وبديعة حول مقام العقل، ودور الوسطية الإسلامية في تميز العقلانية الإسلامية المؤمنة، تميزها عن الغلو النصوصي الذي يقف أصحابه عند الأثر، وعن الغلو العقلاً الذي يصطنع أهله التناقضات بين العقل والشرع. فقد شبه العقل بالبصر، وشبه الشرع بالضياء، فمن كان لديه عقل بلا شرع فهو يبصر لكنه في الظلام، ومن كان لديه شرع بلا عقل فهو أعمى يسير في الضياء، فإن للإسلام عقلانيته المؤمنة الجامحة بين العقل والشرع، وبين الحكمة والشريعة. أما الفيلسوف الفقيه الطبيب المتكلم أبو الوليد ابن رشد القائل في العقلانية الإسلامية المؤمنة: "إن الشرع دعا إلى اعتبار الموجودات بالعقل، وتطلب معرفتها به، فواجب أن نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي"^(٤).

١ . محمد عمارة مقام العقل في الإسلام، مصدر سابق، ص ٢١-٢٧ .

٢ . المصدر نفسه، ص ٣٤..

٣ . أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسي، (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) حجج الإسلام: فيلسوف، متصوف، مولده ووفاته في طوس، نحو مئتي مصنف. من كتبه: إحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة والاقتصاد في الاعتقاد. انظر: نقلًا عن: «الأعلام» للزرکلي ٢٢/٧ .

٤ . محمد عمارة : مقام العقل في الإسلام، مصدر سابق، ص ٣٥-٣٧ .

وعلى هذا الطريق سار فيلسوف السلفيةشيخ الإسلام ابن تيمية^(١) الذي يستوعب الفلسفة العالمية، وسعى إلى بلورة منطق إسلامي بدليل للمنطق الأرسطي إنطلاقاً من إرتباط المنطق باللغة والعقيدة ومن ثمة حاجة المسلمين إلى منطق مرتبط بعقيدتهم، وبلغة القرآن الكريم، ثم أكد إستحاللة تعارض براهين العقل الصريحة مع نصوص الدين الصحيحة، وقطع بإجماع جمهور علماء الإسلام على أن العقل سبيل للتحسين والتقييم، فقال: "إن ما عرف بتصريح العقل لا يتصور أن يعارضه منقول صحيح قط.. ووُجِدَتْ ما يعلم بتصريح العقل لم يخالفه قط.. فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضته العقل الصريح، فكيف إذا خالفه سمع صريح المعقول؟" والقول كلما كان أفسد في الشرع كان أفسد في العقل، فالحق لا يتناقض^(٢).

كما يرى الدكتور محمد عمارة أيضاً أنه عندما خرج المسلمون من حقبة التراجع الحضاري، وتبليورت مدرسة الإحياء والتجدد ثم البعث لمعالم هذه العقلانية الإسلامية المؤمنة من جديد، وكتب إمام هذه المدرسة الشيخ محمد عبده عن العلاقة العضوية بين الوحي القرآني والحكمة والفلسفة والعقل. فقال: "ولقد تأثر العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس، على لسان نبي مرسلاً، بتصریح لا يقبل التأویل. أول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلی، والنظر عنده هو وسیلة الإیمان الصالحة"^(٣).

١. ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٣٢٨ - ١٢٦٣ م) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقى الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فبنغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسُجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلًا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. وناظر العلماء واستدل وبع في العلم والتفسير. انظر: الأعلام للزرکلي ١/٤٤.

٢. المصدر نفسه، ص ٤٠.

٣. محمد عمارة مقام العقل في الإسلام، مصدر سابق، ص ٥٠.

لقد دعا القرآن الناس إلى النظر فيه بعقولهم، فهو معجزة عرضت على العقل، وعرفته القاضي فيها، وأطلقت له حق النظر في أنحائها، ونشر ما أنطوى في أثناها، والإسلام لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري، هكذا تأله العقل وتأله العقلانية الإسلامية المؤمنة في المشروع النهضوي للبيقotte الإسلامية الحديثة، وذلك دون تأليه للعقل يعنيه عن الوحي والشرع أو يفتعل التناقض بينهما، فلا قيمة للبصر بدون الضياء، فلم يعرف الإسلام تناقضاً بين العقل والنقل، ذلك لأن مقابل العقل في لعنه العربية ليس النقل، وإنما هو الجنون.

المبحث الثالث: الإيمان بالتعددية

تمهيد: لقد اعترف الإسلام بالتعددية وكفل لها كل الحقوق وأصل لها المبادئ والأسس التي تؤدي إلى انضباطها، ويعيد محمد عمارة من المفكرين العرب الذين تناولوا وتحدثوا عن هذه القضية الجوهرية. وفي هذا المبحث سنتطرق إلى مفهوم التعددية عنده، وكيف أن الإسلام اعترف بالتعددية وكفل لها حقوقها.

المطلب الأول: مفهوم التعددية

يعرف الدكتور محمد عمارة التعددية على أنها: "تنوع، مؤسس على (تميز وخصوصية) ولذلك فهي لا يمكن أن توجد وتتأتى بل -ولا حتى تتصور- إلا في مقابلة وبالمقارنة مع (الوحدة والجامع) ولذلك لا يمكن إطلاقها على (التشذم) و (القطيعة) التي لا جامع الأحدهما، ولا على (التمزق) الذي انعدمت العلاقة بين وحداته وأيضا لا يمكن إطلاق (النعددية) على (الواحدية) التي لا أجزاء لها، أو المقهورة أجزاؤها على التخلص من المميزات والخصوصيات"^(١). هذا التعريف الذي قدمه محمد عمارة يفرق بين التعددية والواحدية التي لا أجزاء لها، وأن التعدد تنوع بخصائص معينة ينبع من وحدة جامعة. ويضرب محمد عمارة أمثلة على التعددية بأفراد العائلة فهي تعدد في إطار العائلة، والذكر والأنثى تعدد في إطار وحدة النفس الإنسانية، والشعوب والقبائل تعدد في جنس الإنسان، وبدون الوحدة الجامدة

١ . محمد عمارة التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية د. (ط)، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٣.

لا يتصور تنوع وخصوصية وتميز، ومن ثم تعددية والعكس صحيح ويضيف محمد عمارة أن للتعددية مستويات يحددها الجامع والرابط، مثلاً على المستوى العالمي هناك تعددية الحضارات المتميزة والقوميات المختلفة المؤسسة على تعدد الشرائع والمناهج والفلسفات واللغات والثقافات، وبينهما جميعاً جامع الإشتراك في الإنساني الذي لا تمايز فيه ولا إختلاف وعلى مستوى كل حضارة من الحضارات هناك تعددية في المذاهب ومدارس الفكر وفلسفاتها، وتيارات السياسة وتنظيماتها، وفي بعض الحضارات قد تكون تعددية في القوميات واللغات والأوطان، حيث تتمايز وحدات التعددية في الخصوصيات المتعددة مع إجتماعها كلها في رابط الحضارة الواحدة وجماعها^(١). والتعددية مثلها مثل باقي الظواهر والمذاهب الفكرية. يقول محمد عمارة لها (وسطها-عدل-متوازن، ولها طرفا (غلو) أحدهما (إفراط) والآخر (تفريط) و وسطها (العدل المتوازن) هو الذي يراعي العلاقة بين التمييز.. والتنوع والتعددية وبين (الجامع.. والرابط.. والوحدة) بينما يمثل التشرذم (غلو القطيعة والتنافر) الذي لا جامع له.. كما تمثل (الوحدة) المنكرة للخصوصية، (غلو القهر) المانع من تميز الفرقاء واحتضانها^(٢)، فالتعددية تميز لفرقاء يجمعهم جامع الإسلام، وتنوعاً لمذاهب وتيارات تضللها مرجعية التصور الإسلامي الجامع، وخصوصيات متعددة في إطار ثوابت الوحدة الإسلامية، الأمر الذي جعل هذه التعددية نمواً وتنمية للخصوصيات مع احتفاظ كل فرقائها وأطراف الخصوصيات، وأفراد التنوع بالروح الإسلامية والمزاج الإسلامي. وبهذا المنظار والمنهاج يكون طريق النظر الإسلامي إلى قضية التعددية فيراها قانون التنوع الإسلامي في إطار الوحدة الإسلامية.

١ . محمد عمارة: هذا هو الإسلام، الإسلام والتعددية، الإختلاف والتنوع في إطار الوحدة، ط١ ، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة

٢٠٠٨، ص ٨-٧

٢ . محمد عمارة التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، المصدر السابق، ص ٤ .

المطلب الثاني: ميادين التعددية ونماذجها

يؤكد الدكتور محمد عمارة على أن سائر أصناف الخلق وال موجودات وكذلك سائر ميادين العمران البشري والفكر الإنساني قائم على الإزدواج والتعدد والتركيب والإرتفاق سنة من سنن الله سبحانه وتعالى وآية من آياته في خلقه، لا تبديل لها ولا تحويل، ويستثنى من ذلك الذات الإلهية (الحق.. واجب الوجود).

١٠ تعددية في القوميات والأجناس: هي تعددية في إطار جامع الإنسان، حيث يعتبرها

القرآن الكريم آية من آيات الله في الاجتماع الإنساني، فيقول: ﴿وَمَنْ ءَايَتِهِ خَلْقُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفُ الْسِنَّاتُكُمْ وَأَلْوَانُكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَّاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾٢﴾

• (١)

١١ تعددية في الشعوب والقبائل: هذه التعددية قائمة في إطار جوامع التعارف بينبني

الإنسان، وهي تعددية تثمر التمايز الذي يدعو القرآن إلى توظيفه في إقامة علاقات

التعارف بين الفرق المتمايزين يقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَّأُنْثَى

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَّقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَدَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حِلْمٌ ﴾٣﴾

• (٢)

١٢ تعددية في الشائع والمناهج والحضارات: يرى القرآن الكريم أن هذه التعددية هي

الأصل الدائم والقاعدة الأبدية والسنة الإلهية التي هي الحافر للتنافس في الخيرات

والاستباق في الطيبات، والسبب في التدافع الذي يقوم ويرشد مسارات أمم

الحضارات على دروب التقدم والارتقاء^(٣).

١٣. ويضيف الدكتور محمد عمارة أن هذه التعددية هي المصدر والباعث على حيوية

الإبداع الذي لا سبيل إليه إذا غاب التمايز وطمست الخصوصية بين الحضارات.

١ . سورة الروم: الآية ٢٢ .

٢ . سورة الحجرات: الآية ١٣ .

٣ . محمد عمارة: التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، مصدر سابق، ص ٦٠ .

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾^١

(١). حيث يرى عمارة أن المفسرون قد تحدثوا عن هذا الاختلاف وتلك التعددية في الشرائع والمناهج باعتبارها علة الخلق، فيقولون: إن المعنى (وللاختلاف خلقناكم) فكأنما التعددية هي علة الوجود، وهي أيضا الحافر على إمتحانات وابتلاءات واختبارات المنافسة والإستباق في ميادين الإبداع بين الفرقاء المتمايزين في الشرائع والمناهج والحضارات (٢). وتحت جامع الدين الواحد وفي إطار تعددية الشرائع، جاء الحديث في القرآن الكريم عن نجاة أصحاب الشرائع المتعددة، حيث يرى الدكتور محمد عمارة أنهم جميعاً جمعتهم أصول الإيمان بالألوهية الواحدة واليوم الآخر، والعمل الصالح، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَلِحًا فَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^٣. بل وتحت جامع النصرانية وأهل الكتاب أشار القرآن الكريم إلى تعددية يتميز فيها الدين {إذا سمعوا ما أنزل إلى رسول الله ترى أعينهم تفيس من الدمع مما عرفوا من الحق} عن الدين لا يزيدتهم هذا الذي أنزل على الرسول إلا (طغياناً وكفراً) ﴿ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسَ عَدَاؤَهُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أُلَيْهِودٌ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا * وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾^٤ وإذا سمعوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾^٥. فأهل الكتاب فرقاء متعددون وليسوا سواء. وفي إطار وحدة الدين أيضاً وتعددية الشرائع جاء القرآن

١ . سورة هود: الآية ١١٨

٢ . محمد عمارة: هذا هو الإسلام، الإسلام والتعددية، الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، مصدر سابق، ص ١٠ .

٣ . سورة المائدة: الآية ٦٩ .

٤ . سورة المائدة: الآية ٨٣-٨٢ .

الكريم بتقرير هذه الحقيقة. يقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الْدِينِ مَا وَضَعَ بِهِ
نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا
الْدِينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾^(١)، في حين تتعدد شرائع الأنبياء ومناهج أمم الرسالات، في
إطار جامع الدين الواحد^(٢).

١٠ تعددية في رعية الدولة الإسلامية الأولى: فهي تعددية في إطار وحدة الأمة الوليدة، فالقبائل غدت لبنات متعددة، حيث تحدثت الصحفة الدستور الأول للدولة الإسلامية الأولى عنها وعن أحلافها وحقوقها وواجباتها، في إطار وحدة الأمة والمهاجرون والأنصار جوامع فرعية، أشارت إليهم الصحفة في إطار الجامع الإسلامي الواحد، وفي إطار الأمة الواحدة، وتحدثت أيضاً عن التعددية الدينية بين جماعة المؤمنين وجماعة اليهود، ونظمت أطر وأفاق تعدديتها في نطاق جامع ووحدة الرعية والأمة بالمعنى السياسي، وعن هذه التعددية في إطار الوحدة نصت مواد الدستور وهذا ما جاء فيها: (أن المؤمنون والمسلمون من قريش وأهل يثرب، ومنتبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس) و(أن يهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم) و(أن يهود أمة ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن على يهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم)، و(أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحفة) و(أن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم) و(أنه من كان بين أهل هذه الصحفة من حدث أو إشتجار يُخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله)^(٣).

١١ ففي إطار جامع الأمة الواحدة والدولة الواحدة ذات المرجعية الواحدة، تعددت الالتماءات القبلية والدينية، ونظم الدستور علاقات فرقاء هذا الالتماء. ولألوان أخرى

١ . سورة الشورى: الآية ١٣

٢ . محمد عمارة التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، مصدر سابق، ص.٨.

٣ . محمد عمارة: هذا هو الإسلام، الإسلام والتعددية، الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، مصدر سابق، ص ١٢

غير التعددية الدينية ضم جامع الأمة واحتضنت وحدتها فمن الذين آمنوا من عاد إلى الكفر بعد الإيمان، لكن يقول محمد عمارة: "لأن سلاحه في الخروج على الإيمان الديني كان الكلمة وليس السيف فلقد وسعت الوحدة السياسية للأمة هذا اللون من الانشقاق الديني لأن أصحابه قد حافظوا على جامع الوحدة السياسية لرعاية الأمة"^(١)، فهم قد شقوا جامع الوحدة الدينية مع الجماعة المؤمنة، لكنهم أبقوا على رابط وجامع الوحدة السياسية للأمة والرعاية، وهذا ما أدى إلى اتساع إطار هذا الجامع -السياسي- لأهلهما، على الرغم من الخروج والمفارقة لجامع الإسلام الدين لأن الجامع السياسي قد اتسع لأكثر من دين.

١٠ ولقد حافظ الرسول صلى الله عليه وسلم على وحدة الجامع السياسي حتى عندما كانت تظهر الفلتات التي تفضح المنافقين الذين ارتدوا عن الإسلام ،بقلوبهم، مع إظهارهم الإنخراط في جماعة المؤمنين، ولأنهم قد حافظوا على وحدة الجامع السياسي لم يقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وأنه نبه من قتالهم على خطأ فإنه قتل الأصحاب^(٢).

١١ تعددية في الفروع: اتسع في إطار جامع أصول الدين التي لم يختلف عليها المسلمون للتعددية في الفروع ومنها سياسة الأمة ونظام الإمامة والخلافة في دولتها، وبعد أن اتفق المسلمون على أصل وجوب الدولة الخلافة الإمامة، وعدوها واجباً مدنياً اقتضته إقامة الواجبات الدينية، ذهبت التعددية بالفرق الإسلامية مذاهب شتى من حيث التعيين والشروط، بل وميزوا بين أصل الواجب وأصل الإمامة، وفي آفاق هذه الفروع حدثت بواكير الخلاف والتعدد، بل وكانت جل الخلافات التي بلورت فرق المسلمين وتياراتهم السياسية، وفي ميادينها وحدها كان تجريد السيف، ولا تفاقهم على أنها من الفروع التي هي مواطن للاجتهداد اتفقوا أيضاً على أن معايير التقييم لخلافاتها والتعددية فيها هي الصواب والخطأ والنفع والضرر، وليس الإيمان

١ . محمد عمارة: التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، مصدر سابق، ص ٩-١٠ .

٢ . محمد عمارة: هذا هو الإسلام، الإسلام والتعددية، الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، مصدر سابق، ص ١٣-١٤ .

والكفر ، لأن الإيمان والكفر هما معياراً تقييم الافتراق والتعددية في الأصول دون الفروع. ويرى الغزالى أن النظر في الإمامة قسمان : قسم يتعلق بأصول القواعد، وقسم يتعلق بالفروع، ثم يمضي ليحدد معايير الافتراق والتعددية في الفروع فيرى أنه لا تكفير في الفروع إلا في مسألة واحدة، وهي أن ينكر أصلاً دينياً علم من الرسول صلى الله عليه وسلم بالتواتر^(١). لقد مثلت هذه التعددية أقدم وأطول ألوان التعددية في التاريخ الإسلامي وأكثرها حدة، وقد وسع جامع التصديق بما جاء به الرسول هذه التعددية السياسية.

١٠ تعددية في المذاهب الفقهية: هي تعددية عرفتها الحضارة الإسلامية، ووسعتها وحدة الأمة في الأصول، وقد مثلت تعددية الاجتهدات في ميادين إصلاح المعاملات وفروع العبادات أيضاً، وكان الجامع الموحد لهذه التعددية الفقهية هو الشريعة الإلهية الواحدة، والتي وضع الفقهاء مذاهبهم في إطارها^(٢).

١٠ ويرى محمد عمارة: "أن الشريعة مثلت وحدة الطريق في الدين وما شرع الله لعباده من الأحكام التي جاء بهانبي ... وكل طريقة من فعل أو ترك مخصوص موضوعة بوضع إلهي ثابت من النبي من الأنبياء^(٣). أي أنها واحد جامع وثبتت غير متغير، ووضع إلهي لا مدخل فيه للبشر فهي بلاغ من الله للناس بواسطة الرسول. أما مذاهب الفقه التي ترد فيها التعددية فإنها هي الإجتهدات الفقهية المحكومة بأحكام الشريعة الإلهية وفلسفتها في التشريع حيث يرى محمد عمارة أن الفقه وضع بشري محكم بالوضع الإلهي، وهو العلم المستنبط بالرأي والاجتهداد الذي يحتاج فيه إلى النظر والتأمل. ولتميز الفقه عن الشريعة فإنه لا يسمى الله فقيهاً كما لا يسمى الفقيه شارعاً.

١ . محمد عمارة التعددية، الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، مصدر سابق، ص ١٣-١٤ .

٢ . محمد عمارة: هذا هو الإسلام والإسلام والتعددية، الإختلاف والتنوع في إطار الوحدة، مصدر سابق، ص ١٧ .

٣ . محمد عمارة التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، مصدر سابق، ص ١٥ .

١٠ **تعددية في التأويل:** عرف ابن رشد التأويل على أنه: "إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقة إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل بعادة لسان العرب في التجوز، من تسمية الشيء بشبيهه، أو بسببه أو لاحقه، أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التي عدلت في تعريف أصناف الكلام المجازي" (١).

١٠ **ويؤكد عمارة** أيضا على أن الغرالي قد فصل مراتب الوجود التي تتصورها التأويلات المتعددة إلى خمس مراتب:

١٠ **الوجود الذاتي:** وهو الوجود الحقيقي الثابت خرج الحس والعقل، ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة، فيسمى أخذه إدراكاً.

١٠ **الوجود الحسي:** الذي يمثل في القوة الباصرة من العين مما لا وجود له خارج العين، فيكون موجوداً في الحس، ويختص به الحاس، ولا يشاركه غيره.

١٠ **الوجود الخيالي:** الذي يخترعه الخيال لصور المحسوسات إذا غابت عن الحس، فهو موجود في الدماغ لا في الخارج.

١٠ **الوجود العقلي:** فيما له روح وحقيقة ومعنى.

١٠ **الوجود الشبهي:** هو ألا يكون نفس الشيء موجوداً لا بصورته ولا بحقيقة، لا في الخارج ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل، ولكن يكون الموجود شيئاً آخر يشبهه في خاصة من خواصه وصفة من صفاته.

ويختتم محمد عمارة حديثه عن التعددية وميادينها ونمادجها بقوله: هكذا إنفتحت سبل التعددية وإتسعت آفاقها أمام تيارات الفكر الإسلامي في إطار وحدة وجامع التصديق بما جاء به الصادق عليه الصلاة والسلام. وهكذا ظلل الجامع الإسلامي الذي وحد الأمة والعقيدة والحضارة ودار الإسلام ظلل تعددية في اللغات والأقوام.. فازدهرت تعددية

١ . المصدر نفسه، ص ١٦

الإجتهادات البشرية، في إطار جامع الثابت الذي تمثل في أصول الإيمان بالله الواحد، واليوم الآخر، وخبر الصادق عليه الصلاة والسلام" ^(١).

المبحث الرابع: المواكبة والتجديد

تمهيد: تعد قضية التجديد الإسلامي من القضايا المعقّدة الشائكة وذات أهمية كبيرة لدى المفكرين المسلمين وشغلهم الشاغل، وتأتي هذه الأهمية مما تعانيه المجتمعات الإسلامية من تراجعات فكرية وثقافية وانزلاقات حضارية وأزمات إقتصادية، مما دفع هؤلاء المفكرين في وضع الحلول وإيجاد المشاريع الفكرية الحضارية للنهوض بهذا الواقع. وبعد الدكتور محمد عمارة من أبرز هؤلاء المفكرين الذي عاش هذه الأزمات وتعيش معها مما جعله يبدع في مجال التجديد الفكري الإسلامي من خلال القيام بالعديد من الدراسات والمؤلفات والكتابات والمشاركات في المؤتمرات العلمية، و بهذا تعد قضية التجديد في الفكر الإسلامي من القضايا الجوهرية و مفصلاً مهماً في فكر الدكتور محمد عمارة، اذ من الملاحظ أنه لا يخلو مؤلف من مؤلفاته إلا وتناول التجديد بالبحث والدراسة والتقسي. إن المتأمل في تاريخ الفكر الإسلامي يجد أن هناك الكثير من المفاهيم الخاطئة والشوائب و المعتقدات التي اقتحمت، لهذا نجد أن مهمة تجديد الخطاب الديني هي مواكبة قضايا العصر و فهم الدين فهما سليما خالصا من كل هذه الشوائب و البدع، فلهذا سنحاول في هذا المقال التطرق الى مفهوم تجديد الخطاب لغة واصطلاحا، كما سنتعرف على علاقة هذا المفهوم بغيره من المفاهيم، ثم نتطرق إلى بيان مميزات المنهج التجديدي و ملامح المشروع الحضاري لدى الدكتور محمد عمارة رحمه الله.

المطلب الأول: مفهوم التجديد لغة

١٠ إن مصطلح التجديد لغة يعني يصير الشيء جديداً، وجد الشيء بضم الدال اي صار جديداً^(٢). وعرفه أحمد بن محمد الفيومي المقرئ: هو خلاف القديم، و يقال وجد

١ . محمد عمارة: هذا هو الإسلام، الإسلام والتعددية، الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، مصدر سابق، ص ١٩-٢٠ .
٢ . احمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير في غريب شرح الكبير، (لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٨٧)، ص ٤٤ .

فلان الامر واجده و استجده إذا أحدثه ^(١). ويعني ايضا من جدد الشيء اذ صار جديداً، وإعادة الشيء بعد فترة ومنه تجديد الوضوء ^(٢) و يعني التجديد وجود الشيء كان على حالة ما ثم طرأ عليه ما غيره وأبلاه، فإذا أعيد إلى حالته الأولى التي كان عليها قبل أن تصبحه البلي و التغيير كان ذلك تجديداً ونلاحظ كذلك قول جده فتجدد وأجده أي الثوب وجده واستجده صيره او لبسه جديداً فتجدد وجديد نقىض البلي. إن التجديد في أصل معناه اللغوي يبعث في الذهن تصوراً تجمع فيه ثلاثة معانٍ متصلة هي ^(٣):

١٠ أن الشيء المجدد قد كان في أول الأمر موجوداً أو قائماً وللناس به عهداً.

١٠ أن هذا الشيء أنت عليه الأيام فأصابه البلي وصار قدماً.

١٠ أن هذا الشيء قد أعيد إلى مثل الحال التي كان عليها قبل أن يبلّى.

المطلب الثاني: مفهوم التجديد إصطلاحاً

لقد تعددت مفاهيم المفكرين حول مصطلح التجديد فاختلف بذلك منهجهم وأفكارهم، إذ كان منطلق هذا الإختلاف هو فهم مصطلح التجديد. يرى علي المؤمن التجديد بأنه "عملية تفاعل حيوي داخل فكر قائم لإعادة اكتشافه وفقاً للفهم الزمني الذي يعي حاجات العصر، أي أنه لا ينطلق من فراغ بل له قواعد ومنهج ومرجعية وثوابت وفي النتيجة يكون التجديد خطاباً نهضوياً يستهدف البنية الفكرية ليلبي جميع حاجات الإنسان المعاصر" ^(٤). ويرى علي المؤمن أيضاً: "أن التجديد ضرورة ملحة بسبب التطور السريع والشامل لجميع جوانب الحياة ومتطلبات العصر، بالإضافة إلى ظهور التيارات الفكرية التي تهدف إلى التجديد في الفكر الإسلامي بشكل يتميز بالإفراط، فضلاً عن التفاعل مع الحضارات الأخرى والإحتكاك

١ . محمد رواس قلعة، معجم لغة الفقهاء، ط ٣، (بيروت: دار النفائس، ٢٠١٠)، ص ١٠٠.

٢ . محمد بسطامي سعيد، مفهوم تجديد الدين، ط ١، (الكويت: دار الدعوة، ١٩٨٤)، ص ١٥.

٣ . سيف الدين عبد الفتاح: التجديد، www.arabphilosophers.com

٤ . علي المؤمن: الاسلام والتجدد رؤى في الفكر الاسلامي المعاصر، ط ١، (بيروت: دار الروضة، ٢٠٠٠)، ص ١٨.

الفكري التي لا يمكن للواقع الإسلامي أن يكون بمنأى عنهم"^(١). ويمكن القول أن التجديد هو تجديد أمر الدين بعد ما أصابه من الزيادة والنقسان والمغالاة والتفرط، أو غياب وضعه عن العمل وضعف السلوكيات الاجتماعية والأخلاق وفتور الهمة والفاعلية والعريمة، وتجديد الواقع البشري وتصحيح أخطائه وتقويم إعوجاجه والتعامل مع هذا الواقع في ضوء المرجعية الإسلامية^(٢). إن مهمة التجديد هي مهمة عملية لا نظرية وهي المساهمة في البناء النظري للواقع من خلال القضاء على الأفكار الثابتة والأحكام المسبقة التي لا يمكن أن تكون أساساً نظرياً لتغيير الواقع، وأن التجديد هو جزء من البناء النظري للواقع وجانب من السلوك وأن القصد بالتجديد: " هو تجديد النظر في الدين او تجديد الفهم الديني، ذلك الفهم الذي أنتجه العقل الإنساني في علاقاته تاريخياً مع الدين فهما وتأويلاً، وليس المقصود تجديد الدين نفسه حذفاً وإضافة أو تغييراً أو ما شابه"^(٣).

المطلب الثالث: مفاهيم مرتبطة بمقولة التجديد

مفهوم التجديد تلازمه مفاهيم أخرى يظهر هذا من خلال المعنى اللغوي و المعنى الإصطلاحي ومن هذه المفاهيم نجد:

١. التغيير: إذا كان التغيير "Change" في اللغة هو التحول والتبدل، ويعني عند الجرجاني: "إنتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى"^(٤). وعند التهانوي يعني: "كون الشيء بحال لم يكن له قبل ذلك"^(٥). فالتجديد إذن هو عملية تغيير يجريها الإنسان على الأشياء، فينشأ بها الجديد، وينتجه أو يبدل شيئاً ما من حالة إلى أخرى . فيصبح التغيير فعلاً ضروري للتجديد وحركة سابقة عليه بل يتضمنها . فالتجدد يحدث التجديد ويشرف عليه ويظهر التجدد من خلاله.

١ . نفس المصدر السابق، ص ١٩ .

٢ . عمرو عبد الكرييم، معرفة الوعي سؤال التجديد، www.alweai.govkw

٣ . حسن حنفي: التراث والتجدد موقفنا من التراث والقديم، ط ٤ ، (مصر لمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٢)، ص ٥٦ .

٤ . جمیل صلیبا، المعجم الفلسفی، ج ٢ ، دار الكتب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ص ٣١١ .

٥ . المرجع نفسه، ص ٢٥٩ .

٢. التقدم: ينتج التقدم عن التجديد والتقدم في معناه اللغوي هو: "السير إلى الأئمّة ومبارحة المكان، أو الوضعيّة في إتجاه الأئمّة في مقابل التراجع نحو الخلف، والتقدم من الشيء يعني التقرب منه"^(١). أي إن التقدم هو الإنّتقال من حالة إلى حالة أخرى أكثر إزدهاراً، و هو مطلوب عند أغلب الدول، نقول دولة تقدّمت أي أحدثت التجديد وبالتالي فإن التقدّم هو ضرب من ضروب التجديد.
٣. التطور: يرتبط مفهوم التطور بمفهوم التجديد، ولفظة التطور تدل على تحول الشيء من طور إلى طور، والطور في اللغة يعني الحال، وطور الشيء أي نقله من حالة إلى أخرى. ومعنى التطور لدى الفلاسفة متعدد، فهو التحول أو التبديل الموجه، أو الانتقال من البسيط إلى المركب أو العكس، أو الارتفاع من الأدنى إلى الأعلى أو العكس، أو من الخلف إلى الأئمّة أو العكس، وكلمة الارتفاع تتضمّن بالضرورة معنى التبديل، لكن ليس في كل تبديل ارتفاع.
٤. الإبداع: من جهة أخرى لا يحصل التجديد لدى الإنسان في غياب قدرته على الإبداع "Creation" ، فالإبداع شرط ضروري للتجدد، عليه يتوقف الفعل التجديدي أيًّا كان فكريًّا أو ماديًّا، وكلمة إبداع في اللغة تدل على صناعة الشيء بإتقان، أما الإبداع فيعني الإختراع والإنشاء أي إختراع الشيء وإنشائه أي إحداث الشيء على غير مثال سابق وعند البلوغ: إشتمال الكلام على عدة ضروب من البديع. فلله إبداع عدة معاني عند الفلاسفة، فهو إنشاء شيء جديد من عناصر قديمة، أو إيجاد شيء من اللاشيء، مثلما هو الحال في الخلق الإلهي، أو إنشاء شيء لم يكن موجوداً، ويعرف بالصنع، والإبداع نوعان: إختراع وإكتشاف. فالإختراع هو إنشاء شيء جديد لم يكن موجوداً من عناصر قديمة، ويتعلق الأمر بإنشاء الأشياء المادية، وإنشاء الأفكار وتنظيم العمل وإيجاد أساليبه وإختراع وسائله، أما

١ . المرجع نفسه، ص ٢٥٩.

الاكتشاف، فهو إطلاع الإنسان على الجديد المتقدم في الوجود مثل إكتشاف النار وإكتشاف المعادن^(١).

المطلب الرابع: ضرورة التجديد لمواكبة مستجدات الحياة

يقول الدكتور محمد عمارة حول ضرورة التجديد لمواكبة مستجدات الحياة: "إن التجديد في الفكر الإسلامي ليس مجرد أمر مشروع وجائز و مقبول، وليس مجرد حق من حقوق العقل المسلم على أهل الذكر والاختصاص من الإسلام، وإنما هو سنة وضرورة وقانون، وبدون التجديد الدائم والمستمر للفكر والفقه والخطاب الإسلامي، تحدث الفجوة بين الشريعة الإسلامية -التي هي وضع إلهي ثابت- وبين مقتضيات ومتطلبات الواقع المتغير والمتتطور دائماً وأبداً- الأمر الذي لو ساد الجمود والتقليل في الفكر والفقه والخطاب الإسلامي يفضي إلى انفلات الواقع المتتطور من حاكمة الشريعة الثابتة، فيكون العجز عن أن تظل هذه الشريعة صالحة لكل زمان ومكان، فتغييب حجة الله على عباده، وهدايته لخلقه، بعد أن تمت الشرائع السماوية بشرعية الإسلام"^(٢). فكون هذه الشريعة الإسلامية هي خاتمة شرائع السماء إلى الإنسان، وصلاحيتها لكل زمان و مكان، مرهونان بالتجديد الدائم في الفكر والفقه والخطاب الإسلامي، لمواكبة مقتضيات ومتطلبات مستجدات الواقع المتتطور دائماً وأبداً، ولبقاء حجة الله على عباده قائمة إلى يوم الدين، ولهذه الحقيقة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها"^(٣). ولهذه الحقيقة، تبلور في التراث الإسلامي فن من فنون التأليف حول المجددون في الإسلام، كتب فيه القدماء وألف فيه المحدثون. بل لقد إتفق جمهور العلماء على أن التجديد لا يقف فقط عند الفقه-الذي هو علم الفروع- و خاصة في المعاملات- وبالدرجة الأولى في فقه الواقع المتتطور، وفي التنزيل الأحكام على هذا الواقع المتتطور، ومن ثم في الخطاب المتجدد، والمعبر عن هذا الفقه المتتجدد. وإنما اتفقوا أيضاً على أن هناك نوعاً

١ . المرجع السابق، ص ٢٦٣.

٢ . محمد عمارة، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي و التبديد الأمريكي، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٨، ٢٠٠٧، ص ٧.

٣ . رواه أبو داود وغيره وصححه الحاكم.

متميزاً من التجديد تحتاج إليه «الأصول»، ليس فقط أصول الفقه، وإنما حتى أصول الإيمان! ذلك أن البدع والخرافات، والزيادات والنواقص، قد تدعى على هذه الأصول، فتضمس حقائقها، وتحجب فعاليتها وهنا تحتاج هذه الأصول إلى التجديد الذي يزيل عنها ركام البدع والخرافات، لتعود إلى جوهرها الحقيقي، وفاعليتها الأولى وذلك مثل السيف، إذا علاه الصدأ، فشل فاعليته، فإن تجديده لا يعني تغيير، بل ولا تطويره، وإنما يعني إزالة الصدأ عنه ليعود إلى مضائه وفاعليته الأصلية من جديد. فحتى في الأصول هناك هذا اللون من التجديد ولقد أشار إليه الحديث النبوى الشريف الذى خاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة - والأمة - عند ما قال: "جددوا إيمانكم"، قيل: يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا؟. قال صلى الله عليه وسلم: (أكثروا من قول لا إله إلا الله). ففي شهادة التوحيد رفض لكل الطواغيت التي يعظمها الناس ويعبدونها من دون الله - من الشهوات إلى الأثرياء في المال إلى الطغىان والاستبداد إلخ. فإحياء عقيدة التوحيد، التي هي ثورة تحرير للإنسان من قيود هذه الطواغيت، هو لون من التجديد المطلوب حتى لأصول الإيمان في الإسلام. هذا عن مبدأ التجديد للفكر والفقه والخطاب الديني للإسلام. من هنا نجد أن التجديد في رأي الدكتور محمد عمارة ليس مجرد أمر مقبول أو جائز فحسب وإنما هو قانون، وإذا لم يحدث هذا القانون ستحدث ثغرة بين الإسلام ومستجدات الواقع وبالتالي غياب حجة الله على عباده.

المطلب الخامس: مفهوم التجديد في فكر الدكتور محمد عمارة

لقد عرف محمد عمارة التجديد في أغلب كتبه و مؤلفاته، بحيث لا نقرأ مؤلف من مؤلفاته إلا وقد إحتوى عن تعريف مغاير لتعريف آخر للتجديد و سوف نقوم بإدراج هذه التعريفات المتنوعة بالدراسة و التحليل. إذ يعرف عمارة التجديد على أنه: "سنة من سنن الإجتماع الديني في النسق الفكري الإسلامي، دائمة الفعل عبر الزمان والمكان، لا تبدل و لا تحويل و أنه ثمرة للإبداع" ^(١). و يستند في هذا التعريف على الحديث النبوى الشريف عن أبي هريرة عن النبي: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر

١ . محمد عمارة، الابداع الحضاري و الخصوصية الحضارية ، (القاهرة: شركة نهضة مصر، ٢٠٠٣)، ص ٥.

دينها"^(١). و يتضح من هذا التعريف أن مفهوم التجديد يكون مستمر الفعل و على نسق واحد دون انقطاع و غير محدد بالزمان والمكان و يكون لديه دافعاً أو حافزاً على الإبداع و الإنتاج. و يعرف عمارة مفهوم التجديد بإستخدام مصطلح التنوير الإسلامي بالقول: "إن شئت فقل التنوير الإسلامي الذي ينير أهله بنور الإسلام و نور القرآن و نور الرسول محمد صلى الله عليه وسلم و نور الحكمة"^(٢). و يرى عمارة على مر تاريخ الإسلام و حضارته أن التجديد هو إحياء ديني، لأن التجديد هو: "آلية فكرية تزيل من ثوابت الدين و مبادئه و أركانه في العقيدة و الشريعة و القيم من الزيادة و النقصان و شوائب التطورات الغربية، فتعيد للمنابع نقائصها ليكون فعلها أفضل و عطاها أكثر و موردها أكثر صفاء"^(٣). و يعني التجديد في فكر الدكتور عمارة: "البعث و الإحياء لثوابت الدين و أصوله مع التطور في فقه الفروع و مواكبة مستجدات الواقع المعيشي و المحافظة على صلاح و صلاحية الثوابت والأصول الدينية لكل زمان و مكان"^(٤). و يمكن القول أن التجديد عند عمارة هو: إحياء و بعث الأصول الثابتة للدين مع مراعاة المحافظة عليها لمواكبة المستجدات والتطورات التي تحدث في العالم. و للحظ أيضاً أن مفهوم التجديد دائماً عند عمارة متصفاً بالإسلامي و يعلل ذاك بقوله: "أن المسار التاريخي للحضارة الإسلامية قد سبق و إن إعترته مشكلات التخلف و اعترضه عوامل التراجع فلقد كان المسلمون على مر تاريخهم القديم يواجهون مشكلات التراجع و الموات الحضاري بحلول الإحياء و النهوض الإسلامي، فكان التجديد دائماً و أبداً إسلامياً، و كانت الحلول دائماً و أبداً إسلامية المرجعية و المنابع و الأصول"^(٥). و نرى أن هذا التمسك بمصطلح الإسلامي من ناحية التجديد و الحل لمشاكل المجتمع الإسلامي إن دل على شيء إنما يدل على إصرار تمسك محمد عمارة باصالة الفكر الإسلامي و الدفاع عنه. واستمر بهذا التمسك بالقول: "عمل المسلمين على مر

١. سنن أبي داود ، كتاب الملاحم ، مصدر سبق ذكره.

٢. محمد عمارة، الإسلام بين التنوير والتزوير، ط٢، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠)، ص١٨٤.

٣. نفس المصدر، ص٢٢٣.

٤. محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد والحداثة الغربية، ط١، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣)، ص٧.

٥. محمد عمارة، هل الإسلام هو الحل لماذا وكيف، ط٢، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨)، ص١١.

تاریخ الاسلام علی تجدید خیوط الاتصال و توثیقها بالمنابع الجوهریة والنقیة للإسلام و إزاحة الشوائب و العقبات و البدع من قنوات الإرتواء من تاریخ المنابع بضمان التواصل الحضاري و حتى يكون الاحیاء دائمًا و أبداً^(۱). و يمیز عمارة بین دعوات التجدد و التغیر الاسلامیة علی التوفیق ما بین الأصول و القواعد الكاملة فی القرآن الکریم و السنة النبویة الصحیحة و ما أصاها عبر الزمن من بدع و خرافات و شوائب و بین مستجدات الواقع الجدید. و بهذا أصبحت هذه الدعوات إسلامیة الحلول و سنة من سنن الله في المسیرة الحضاریة للأمة الاسلامیة، و في معالجة مشکلات التراجم الحضاري^(۲). يمكننا القول أن عمارة أکد على أن التجدد يجب أن يكون إسلامیاً لأن هذه العلاقة الثنائیة بين التجدد و الإسلام متصلة تاریخیاً من خلال التناجمات الفکریة للمسلمین عبر تاریخ الحضارة الاسلامیة، بإیجاد الحلول الاسلامیة لمشکلات التراجم الحضاري ، و بالتالي أن الحل اولاً و آخرًا هو الإسلام. و يرى عمارة ضرورة أن يكون التجدد الاسلامی تجدیداً ثنائیاً مزدوجاً یشمل الدين الاسلامی ثم تجدید الدنيا باعتبارهما آیتان من آیات الله و يقول في ذلك: "كون الاسلام هو أساس النهضة و ادائها و حافرها فهو في هذا المیدان حافر يحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، بصرف النظر عن لون هذه الابواب و مصادرها و عقائد مبدعيها و أجناس القومیة و مواقعهم على خریطة الكوكب الذي نعيش فيه^(۳)". في إعتقادنا أن التجدد الاسلامی الذي یدعو له عمارة یتصف بكونه جالب السعادة لکل العالم وليس محصوراً على المسلمين و هو ما یتصف به الفكر الاسلامی کونه عالمیاً و انسانیاً ویحمل في طیاته المساواة و العدل بین کل الناس.

المطلب السادس: أهمية التجدد الاسلامي

إن التجدد الاسلامي عند الدكتور محمد عمارة يتمتع بأهمية و ضرورة للأمة الاسلامية وجاءت هذه الالھمیة و الضرورة من کونه ینبع من الاسلام الحقیقی، فإن الهدف من دعوة

۱ . محمد عمارة، الاسلام بين التنوير و التزویر، مصدر سبق ذکرہ، ص ۲۲۶ .

۲ . أنظر: محمد عمارة، هل الاسلام هو الحل لماذا وكيف، ط ۲، ص ۱۱ .

۳ . محمد عمارة، الاستقلال الحضاري، ط ۱، (القاهرة، شركة نهضة مصر، ۲۰۰۷)، ص ۹۳ .

محمد عمارة إلى التجديد الإسلامي هو إزالة التمايزات و التناقضات بين التنوير الغربي و بين التجديد الإسلامي و هي: " دعوة لمختلف الأفكار الموجودة في الساحة الفكرية العربية و الإسلامية و المتصارعة على مسألة هوية مشروع النهضة المنشودة و مكانة الإسلام في مرجعية المشروع النهضوي دعوتهم جميعاً إلى كلمة سواء تحمل عقل الأمة لمواجهة ما فرض و يفرض عليها من تحديات"^(١). يمكننا القول أن قصد محمد عمارة بالفرقاء في الحياة الفكرية للمجتمع الإسلامي أي أصحاب الأفكار العلمانية أو القومية أو الشيوعية الذين كانوا يحملون مشروعًا مغايراً للمشروع الفكري الإسلامي، و هنا يدعوهم عمارة إلى ترك الاختلافات الفكرية واصطفافهم حول الإسلام بأعتباره المشروع الفكري الوحيد الذي يحمل هم الإنسانية جموعه ولا يظلم أحداً.

و يستمر بوصف التجديد من ناحية الأهمية و الضرورة بالقول: "يمثل التجديد الإسلامي مرتبة السنة و القانون بفعل خاتمة الرسالة الإسلامية و عالميتها بتجديد المنابع و إزالة عنها طوارئ البدع التي تحد من فاعليتها في التوليد و الإبداع"^(٢). و يقول الدكتور محمد عمارة عن ضرورة التجديد: "إن التجديد في الفكر الإسلامي ليس مجرد أمر مشروع و جائز و مقبول، و ليس مجرد حق من حقوق العقل المسلم، و إنما هو سنة و ضرورة و قانون، اذ بدون التجديد الدائم والمستمر للفكر و الفقه و الخطاب الإسلامي سوف تحدث الفجوة بين الشريعة الإسلامية التي هي وضع ألهي ثابت و مستقر و بين مقتضيات و متطلبات الواقع المتغير والمتتطور دائمًا و ابداً الامر الذي لو ساد الجمود والتقليد في الفكر و الفقه و الخطاب الإسلامي يؤدي إلى إنفلات الواقع المتتطور"^(٣). يمكننا القول أن التجديد في فكر الدكتور محمد عمارة هو تجديد دائم ومستمر الفعل في الجوانب الفكرية للشريعة الإسلامية و بدون هذا التجديد سوف يكون هناك جمود و تقليد و عجز فكري، و يرى محمد عمارة

١. محمد عمارة بين التنوير والتزوير، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٧.

٢ . محمد عمارة، النموذج الثقافي، (القاهرة: شركة نهضة مصر، ١٩٩٨)، ص ٤٧.

٣ . محمد عمارة، الخطاب الديني بين التجديد الديني و التبديد الأمريكي، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٧)، ص ٧.

": "أن الشريعة الإسلامية هي خاتمة الشرائع الدينية و صلاحيتها لكل زمان و مكان، و هذه الصلاحية مرهونة بالتجدد الدائم في الفكر و الفقه و الخطاب الإسلامي لمواكبة مقتضيات و متطلبات و مستجدات الواقع المتتطور"^(١).

المطلب السابع: مميزات المنهج التجديدي لدى الدكتور محمد عمارة

١. إن منهج التجدد يمثل وسط بين حداثة القطيعة المعرفية مع الموروث، و بين التقليد لكل موروث و بين المقدس الالهي المتمثل بالكتاب و السنة النبوية و بين الفكر البشري الذي هو ثمرة الاجتهداد الفكري و التجارب الإنسانية^(٢).
٢. الميزة الثانية لهذا المنهج هو التمييز بين ثوابت الموروث و بين المتغيرات (المناهج) و ما أجمعـت عليه الأمة و تلقـيه بالقبول مغـاير مثل مذهب لفرقة فكرية ما أو تجـربـة دولة و أعراف جـمـاعة او تقـالـيد مـيـزـت إـقـلـيـمـاً من الأـقـالـيـمـ^(٣).
٣. يجعل منهاج التجدد للمعرفة مـصـدـرـينـ هـمـاـ كـتـابـ الـوـحـيـ الـمـقـرـوـءـ وـ كـتـابـ الـكـوـنـ المنـظـورـ بـمـاـ فـيـهـ آـيـاتـ اللهـ فـيـ الـأـنـفـسـ وـ الـأـفـاقـ^(٤).
٤. يمتاز التجدد بأنه تنوير إسلامي ليفجر في عقولنا و حياتنا الفكرية والعملية نور الإسلام و نور الحكمة الإنسانية معاً لتسير ملـكـاتـ الإـنـسـانـ فـيـ نـورـ اللهـ فـلـاـ يـعـمـيـ الجـمـودـ بـصـيـرـةـ الـعـقـلـ عـنـ نـورـ اللهـ، وـ لـاـ تـحـرـمـ الـقـطـيـعـةـ الـفـكـرـيـةـ هـذـاـ الـعـقـلـ مـنـ هـذـاـ الـنـورـ الإـلـهـيـ^(٥).

يمكننا القول أن مميزات منهاج التجدد الإسلامي تـركـزـ عـلـىـ وـسـطـيـةـ الـأـصـوـلـ الـإـسـلـامـيـةـ لـلـدـيـنـ أيـ (ـالـثـوـابـ)ـ وـ بـيـنـ الـتـجـارـبـ الـبـشـرـيـةـ الـفـكـرـيـةـ (ـالـمـتـغـيـرـاتـ)ـ.ـ وـ يـرـكـزـ أـيـضـاـ عـلـىـ التـواـزـنـ بـيـنـ مـصـادـرـ الـمـعـرـفـةـ:ـ كـتـابـ اللهـ الـمـقـرـوـءـ وـ كـتـابـ الـكـوـنـ الـمـنـظـورـ وـ بـيـنـ الـعـقـلـ الـإـنـسـانـيـ وـ الـنـورـ الإـلـهـيـ وـ يـؤـكـدـ عـلـىـ أـنـ لـاـ وـجـودـ لـلـقـطـيـعـةـ الـمـعـرـفـةـ بـيـنـ مـاـ هـوـ دـيـنـيـ وـ بـيـنـ مـاـ هـوـ بـشـريـ وـ أـنـ

١ . نفس المصدر: ص.٨.

٢ . محمد عمارة، الابداع الحضاري والخصوصية الحضارية، مصدر سبق ذكره، ص.٢٢.

٣ . نفس المصدر، ص.٢٣.

٤ . محمد عمارة، الاسلام بين التنوير والتزوير، مصدر سبق ذكره، ص.١٨٥.

٥ . نفس المصدر، ص.٢٧٦.

التجديد يجب أن يكون ذو بعدين متكاملين هما: الدين الإسلامي والنتاج الإنساني المتمثل بالفكرة لإنجاح عملية المعاكبة والتجدد.

المطلب الثامن: ملامح المشروع التجدد الحضاري في فكر محمد عمارة
قدم الدكتور محمد عمارة مشروعًا حضاريًّا للتجديد الإسلامي و الذي يقوم على أساس (١):
هي

١. الحاجة إلى بعث فلسفية لتطوير العقلانية الإسلامية المؤمنة التي أبدعها قديمًا في علوم أصول الفقه وأصول الدين.
 ٢. إبداع نظام الشورى الإسلامي لتحقيق الأمة أعلى مستويات المشاركة في العمل العام.
 ٣. الحاجة إلى صياغة نموذج متميز لعلاقة الدين بالدولة دون الدمج التام و لا الفصل التام.
 ٤. الحاجة إلى صياغة الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان ليصبح هذا الحقوق فرائض الهيبة وتكاليف شرعية و تكون محكومة بحقوق الله تعالى.
 ٥. الحاجة إلى إبداع نظام للحكم قائماً على نظرية الإستخلاف الإلهي للإنسان وقائماً على مبدأ سيادة الشرع و سلطة الأمة و نيابة الدولة عن الأمة دون أن يغيب الدين عن الأمة أو تحجب الأمة عن الدين.
 ٦. الحاجة إلى إبداع نظام إجتماعي يحقق نظرية الإستخلاف في الثروات و الأموال من أجل تحقيق مبدأ تكامل الأمة دون المساس بالملكية الفردية الخاصة.
 ٧. الإهتمام ب المجال الأداب والفنون لإحياء أهمية اللغة العربية لسان الإسلام الناطق.
 ٨. الحاجة إلى إبداع النموذج الإسلامي في التعامل و تحرير المرأة الذي يحقق لها المساواة في الإنسانية و الكرامة و التكليف و الجزاء و المشاركة في سائر ميادين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر و يسهم في تفجير طاقات المرأة دون أن يؤثر على أنوثتها.
- يرى الدكتور محمد عمارة ضرورة القيام بنهضة شاملة و جذرية للتخلص من التحديات التي يفرضها أعداء الأمة الإسلامية و يعقد أملاً كبيراً على الحركة الفكرية الحاجة إلى إبداع

١. محمد عمارة، الابداع الحضاري والخصوصية الحضارية، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤-٧٣.

النموذج الاسلامي في التعامل و تحرير المرأة الذي يحقق لها المساواة في الانسانية و الكرامة و التكليف و الجزاء و المشاركة فيسائر ميادين الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و يسهم في تفجير طاقات المرأة دون أن يؤثر على أنوثتها. و يرى الدكتور محمد عمارة ضرورة القيام بنهضة شاملة و جذرية للتخلص من التحديات التي يفرضها اعداء الامة الاسلامية ويعقد املاً كبيراً على الحركة الفكرية الاسلامية و يحملها مهمة مشروع النهضة الحضاري والذي هو ثمرة عمل جماعي كبير^(١) و يقول عمارة في ذلك: "هي دعوة كل المؤمنين بالتميز الحضاري للأمة الاسلامية و المدركون لأهمية و ضرورة استقلال امتنا حضاريا الى بلورة ملامح هذا المشروع الذي هو طوق النجاة لهذه الامة من مخاطر الجمود و التشوّه المعرفي الذي تمارسه الحضارة الغربية مع حضارتنا"^(٢).

في اعتقادنا إن محمد عمارة يطرح مشروع حضاريا إصلاحيا يهدف إلى تجديد كل مستويات الحياة الإنسانية من حيث الاقتصاد و السياسة و الفكـر و الثقافة و حقوق الإنسان و مكانة المرأة في المجتمع و تحقيق العدالة الإجتماعية و تفعيل مبدأ الشورى الإسلامية و الإبعاد عن الدولة العلمانية و الدولة الدينية و التوازن بينهما، و هذا ما تحتاجه الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر لإيجاد حل لمشكلة الإنحلال الحضاري و أزمة موقف الحضارة الإسلامية من الحضارة الغربية و إتخاذ موقف حازم تجاهها. يمتاز المشروع الحضاري الذي دعا إليه محمد عمارة بالوسطية الإسلامية من خلال^(٣):

١. الوسطية في النظرة للإنسان من خلال كونه خليفة الله في الأرض و ليس السيد المطلق لهذا الكون.
٢. الوسطية في موضوع الحرية من خلال التوازن بين الليبرالية المطلقة و بين الشمولية المطلقة و اختيار الأفضل و هي الديمقراطية الإسلامية.

١ . محمد عمارة، الاستقلال الحضاري، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٥ .

٢ . نفس المصدر، ص ١٩٦ .

٣ . نفس المصدر ص ١٩٧-١٩٨ .

٣. و في الجانب الاقتصادي يرى عمارة أن ملكية الثروة القومية لله وحده و الأمة ككل مستقلة عن الله في الاحوال فلا مكان للحرية الاقتصادية و الملكية الفردية بمعناها المطلق في الفلسفة الليبرالية الغربية، و لا مكان لتجريد الإنسان الفرد من اي حق في التملك الذي يحفزه للتنمية و الإبداع لأن الملكية الحقيقية لله وأن الإنسان مكلف بالوظيفة الإجتماعية للمال.

٤. الوسطية في مجال السلطة و الدولة، أي أنها ليست سلطة دينية و لا علمانية، و انما الدولة في المشروع الحضاري هي إسلامية بمقاصدها الشرعية دون أن تكون دينية التي تحكم بالحق الالهي ولا تفرض العصمة و القداسة على البشر و تشرعاتهم بإسم الدين.

٥. المطالبة بالإصلاح الثقافي من خلال إعادة الثقافة الإسلامية إلى وسطية التوازن و الإعتدال من خلال إقامتها على قاعدي عالم الغيب والشهادة و قاعدي العقل و النقل^(١).

يمكنا القول أن الدكتور محمد عمارة قد وضع منهاجا لتحقيق التجديد في الفكر الإسلامي مدروسا و قائما على مبادئ الإسلام الحقيقة وأن أسس هذا المنهج هي الوسطية والعقلانية و التجديد و الاحياء.

يرى محمد عمارة أن مشروعه الحضاري التجديدي متميز إسلامياً و أن هذا التميز لا يعني القطعية مع الحضارات الأخرى و في مقدمتها الحضارة الغربية و أنما يعني التميز بـ^(٢):

١٠ الإفتتاح الحضاري و التفاعل الفكري و إستلهام المشترك الإنساني العام في دائرة العلوم و المعرف.

١٠ الإحتفاظ و التمسك بسمات الخصوصية الحضارية الإسلامية مثل العقائد الفلسفية و الشرائع واللغات و الأدب و الفنون و الإستفادة من الغرب في مجال التمدن العلمي و

١ . محمد عمارة، مقومات الأمن الإجتماعي في الإسلام، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨.

٢ . محمد عمارة، من اعلام الاحياء الاسلامي، ط١، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٦)، ص ٣٩.

من ناحية الخبرات البشرية و التجارب العلمية في تطوير و ترقية الواقع المادي و خصوصياتها الثقافية و الحضارية.

في إعتقدنا أن المشروع الحضاري لمحمد عمارة مشروعًا متميزًا إسلاميًّا شكلاً و مضمونًا و أن هذه الصفة الإسلامية لا تمنع من الانفتاح الحضاري و الفكري مع الحضارة الغربية و الإستفادة من تجاربها العلمية و الفكرية مع الإحتفاظ بالخصوصية الحضارية و الثقافة الإسلامية.

الباب الثاني: منهجية الدكتور محمد عمارة في تناول مشاكل

الدعوة

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في فقه الاختلاف والتعددية

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة الخلاف الاختلاف

المبحث الثاني: طبيعة التفاوت في ساحة الدعوة

المبحث الثالث: التعددية والإختلاف من سنن الفطرة

المبحث الرابع: الاختلاف جعل إلهي وطبيعي في البشر

المبحث الخامس: دور الإجتهاد في صياغة الاختلاف وصيانة الشريعة

الفصل الثاني: أهم المشاكل الداخلية في ساحة الدعوة

الفرع الأول: (مظاهر الخلل في الحركات الاسلامية المعاصرة)

المبحث الأول: الخلل في فهم التعددية وفي الایمان بجدواها

المبحث الثاني: الخلل في علاقة الذات بالآخر

المبحث الثالث: الخلل بين المحلية القطرية والعالمية الاسلامية

المبحث الرابع: الخلل في علاقة التاريخ بالعصر وعلاقة الموروث بالأبداع

المبحث الخامس: الخلل في علاقة الحركة بالفكرة

المبحث السادس: الخلل في علاقة التربية الروحية بالتربية السياسية

المبحث السابع: الخلل في علاقة الطاعة بالحرية

الفصل الثالث: أهم المشاكل الخارجية في ساحة الدعوة

المبحث الأول: الغزو الفكري الحضاري

المبحث الثاني: الالتباس المفهومي للمصطلحات

المبحث الثالث: العلمانية الملحدة

المبحث الرابع: استراتيجية التنصير

المبحث الخامس: التنوير والتزوير

الفصل الأول: في فقه الاختلاف والتعددية

المبحث الأول: حقيقة الخلاف الاختلاف

المطلب الأول: تعريف الاختلاف

الاختلاف لغة: مصدر اختلف^(١)، واختلف ضد اتفق^(٢)، وتخالف الأمران واختلفا لم يتفقا وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف، والخلاف المضادة، وخالفه إلى الشيء: عصاه إليه أو قصده بعد ما نهاه عنه^(٣).

اصطلاحا: قال الجرجاني^(٤) في تعريف الاختلاف بأنه: منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق أو لإبطال باطل^(٥).

وعرفة طه العلواني: بأن ينهاج كل شخص طريقة مغايرة لآخر في حاله أو قوله^(٦).

المطلب الثاني: أنواع الإختلاف

الاختلاف الوارد في كتاب الله تعالى على نوعين^(٧) هما:

١- النوع الأول هو قسم يندر فيه سائر المختلفين مثل ماجاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَحِدَةً وَلَا يَرَأُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾^(٨)، وبين الله في هذه الآية أنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة على الدين الإسلامي، ولكن إقتضت حكمته أن لا يزالوا

١. الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية، ٤٠٤ هـ، ج ٢، ص ٢٩١.

٢. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (خلف)، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ.

٣. أنظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (خلف) ج ٥، ص ٣٢٠.

٤. علي بن محمد الحسيني الجرجاني، متكلم بارز و متصرف مشهور، ولد في جرمان سنة ٧٦٠ هـ وتوفي في سنة ٨١٩ هـ، أنظر كتاب التعريفات ص (١) والأعلام لخير الدين الزركلي (٥/٧)، دار العلم للملايين، بيروت، ط (٧) ١٩٨٤ م.

٥. الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، مكتبة لبنان، ١٩٧٨ م، ص (٥٦).

٦. العلواني طه حابر فياض، أدب الاختلاف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط (٣) ١٤٠٧ هـ، ص (٢١).

٧. ابن قيم الجوزية، إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/١٢٩)، تحقيق د. علي بن محمد الدخني، دار العاصمة، ط (٢)، ٤٩٢ هـ.

٨. سورة هود: (١١٨).

مختلفين مخالفين للصراط المستقيم متبعين للسبيل الموصلة إلى النار" ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾^(١) فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف^(٢).

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾^(٣) وقوله: ﴿فَتَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُرْقًا كُلُّ حَزِيبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحُقْقَى وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شَقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(٥).

والنبي ﷺ حين أخبر أن الأمة ستفرق قال فيما رواه أبو داود: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب إفترقوا على ثنتين وسبعين وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعين في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»^(٦).

فبين أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين إلا فرقه واحدة وهم أهل السنة والجماعة^(٧). وهذا النوع من الاختلاف هو الذي وصف الله أهله بالغبي وهو الذي يوجب الفرقة

١. السعدي عبد الرحمن بن ناصر، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان* (٤٧٠/٢)، دارالسلام، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢. أنظر: *إقضاء الصراط المستقيم* لإبن قيم الجوزية (ج ١/١٢٦).

٣. سورة آل عمران: (١٠٥).

٤. سورة المؤمنون: (٥٣).

٥. سورة البقرة: (١٧٦).

٦. أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب شرح السنة حديث رقم (٤٥٩٧) وقد جزم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بصحة هذا الحديث واستقصى طرقه ونقل أقوال العلماء المصححين له مثل الحاكم وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم، وذلك في كتابه سلسلة الأحاديث الضعيفة.

٧. يطلق مصطلح أهل السنة والجماعة على الجماعة الذين تمسكوا بسنة النبي -عليه الصلاة والسلام- في المسائل العلمية العقدية، والمسائل العملية الحكمية، فسبب تسميتهم أهل السنة؛ لأنهم تمسكوا بالسنة، أما سبب تسميتهم بالجماعة؛ لاجتماعهم على تلك السنة وعدم تفاته إلى ما سواها، وأهل السنة والجماعة هم الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية التي تحدث عنها النبي عليه الصلاة والسلام، فهي الفرقة المتمسكة بالكتاب والسنّة، السائرة على منهج النبي الكريم وصحابته الكرام دون انحراف عنها.

أنظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، "عقيدة أهل السنة والجماعة"، www.saaid.net، تاريخ ١٩-١-٢٠١٩. بتصرف.

٨. أنظر: *إقضاء الصراط المستقيم* لإبن قيم الجوزية (ج ١/١٢٧).

والاختلاف وفساد ذات البين ويوقع التحذب والتباين^(١). والاختلاف الذي يذم فيه سائر المختلفين ينقسم إلى قسمين^(٢) هما:

أ— إختلاف النوع: وهو ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً، ويدخل في ذلك بالنسبة لعمل الدعاة، مثل أن تكون الدعاة خطط يتبعوها في دعوتهم، فيتخد بعضهم من الوسائل مابراه مناسباً، مراعياً ظروفه الخاصة وإمكاناته المتاحة والمرحلة التي تمر بها دعوته، آخذاً في اعتباره عدم مخالفته أمر من أمور الدين. فهذا إهتم بالجانب العلمي وأدرك أهمية العلم وحاجة الصحوة إليه ووضع في اعتباره تخریج أعداد من طلبة العلم الذين لا تستغني الأمة عن علمهم وفتواههم التي تبين لهم ما خفي عليهم من أمور دينهم، مع الأخذ بالاعتبار أن اختلاف النوع قد يقع بين الدعاة الذين مجال عملهم واهتمامهم العلم والتعليم بسبب اختلاف فروع العلم وآخر إهتم بالجانب التربوي وأولى اهتمامه بالدعوة إلى الأخلاق الفاضلة والقيم الرفيعة التي دعا إليها الإسلام ورغم فيها ورتب الأجر العظيم لمن تمسكها، فههذه أمثلة لإختلاف النوع الذي يقع بين الدعاة والذي تشهد ساحة الدعوة أمثلة له في أزمنة مختلفة وأماكن متعددة وفي الأصل أن اختلاف النوع لا يذم فيه أحد الطرفين اللذين عمل كل منهما مشروع له ما يؤيده من أدلة الشرع، إلا إذا بغي أحد الطرفين على الآخر وحاربه وشدد عليه حتى أفضى بهم الأمر إلى العداوة وفساد ذات البين.

ب— إختلاف التضاد: وهو القولان أو الرأيان المتنافيان اللذان لا يمكن الجمع بينهما مما يكون الحق فيه مع أحد المختلفين دون الآخر، لكن المخالف للحق لديه بعض الحق أو معه دليل يقتضي حقاً ما، فيرد مخالفه كل ما مع خصميه من حق وباطل، فيكون هو مبطلاً في البعض كما كان الأول مبطلاً في الأصل.^(٣) وساحة الدعوة تتعجب بمثل هذا النوع من الاختلاف الذي غالباً ما يؤدي إلى التناحر والتقاطع والبغى من فئة على أخرى، مثل ما عليه

١. أنظر: الصواعق المرسلة لإبن قيم الجوزية (ج٢/ص٤٥).

٢. أنظر: إقضاء الصراط المستقيم (ج١/ص١٢٨).

٣. أنظر: إقضاء الصراط المستقيم (ج١/ص١٣٠).

الحال بين الجماعات التي تقوم بالدعوة والتي لا تخلو منها جهتها في الغالب من التلبيس ببعض البدع، أو الأخطاء المنهجية، لكنها مع ذلك قد يكون عندها بعض الجوانب الإيجابية كأن يكون لديها اهتمام بالجانب التربوي أو تميز في بذل الجهد والمال من أجل الدعوة لكن المطلع على واقع العلاقة بين هذه الجماعات يلحظ غمط بعضهم البعض ، وإنكار بعضهم لما عند الآخر من المحسن، وغلبة الهوى على أفرادها في تقييمهم لمن خالف طريقتهم ولم يندرج في صفوتهم وفي هؤلاء وأمثالهم يقول الإمام ابن القيم^(١) رحمة الله: "والاختلاف المذموم كثيراً ما يكون مع كل فرقة من أهله بعض الحق فلا يقر له خصمه به بل يتحده إياه بغية ومنافسة، فيحمله ذلك على تسلیط التأویل الباطل على النصوص التي مع خصمه وهذا شأن جميع المختلفين بخلاف أهل الحق^(٢)".

٢ - والقسم الثاني وهو ما يحمد فيه إحدى الطائفتين وهم أهل الحق والإيمان، ويذم فيه أهل البغي والضلال، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكُمُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبِيِّنَاتُ بَعْيَانًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ أَمْنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣)، فأخبر سبحانه وتعالى أنه هدى عباده المؤمنين لما اختلف فيه المختلفون. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبِيِّنَاتُ وَلَكِنَ اخْتَلَفُوا فِيمِنْهُمْ مَنْ أَمْنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا

١. الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب المشهور بإبن قيم الجوزية ولد سنة ٦٩١ هـ. كان واسع العلم عارفاً بالحلال والحرام و مذاهب السلف، توفي بدمشق سنة ٥٧١ هـ. أنظر البداية والنهاية (ج ١٤، ص ٢٧٠-٢٧١) والأعلام (ج ٦/ص ٥٦).

٢. أنظر: مختصر الصواعق المرسلة للإمام إبن قيم رحمة الله (ج ٢/ص ٥١٥).

٣. سورة البقرة: (٢١٣).

يُرِيدُ ﴿١﴾ فقوله: ﴿وَلَكُنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ حمد لإحدى الطائفين وهم المؤمنون، وذم الأخرى وهم الذين كفروا ﴿٢﴾ وكذلك قوله: ﴿هَذَا نَحْنُ خَصَمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَطَعَتْ لَهُمْ شَيْءٌ مِّنْ نَارٍ ﴿١٩﴾﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ (١). ذكر ابن كثير ﴿٤﴾ عند تفسيره هذه الآيات عدة أقوال السلف رحمهم الله تعالى في تعين المختصمين المعنين بقوله تعالى: ﴿هَذَا نَحْنُ خَصَمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِم﴾. فقال قتادة: ﴿إِخْتَصَمَ الْمُسْلِمُونَ وَأَهْلُ الْكِتَابِ فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ نَبِيُّنَا قَبْلَ نَبِيِّكُمْ وَكَتَابُنَا قَبْلَ كَتَابَكُمْ فَنَحْنُ أُولَى بِاللَّهِ مِنْكُمْ وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: كَتَابُنَا يَقْضِي عَلَى الْكِتَابِ كُلُّهَا وَنَبِيُّنَا خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ فَنَحْنُ أُولَى بِاللَّهِ مِنْكُمْ، فَأَفْلَجَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ عَلَى مَنْ نَأْوَاهُ وَأَنْزَلَ ﴿هَذَا نَحْنُ خَصَمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِم﴾. وفي رواية أخرى عن قتادة قال: "مصدق ومكذب. وفي رواية أخرى عن مجاهد ﴿٦﴾ وعطاء ﴿٧﴾، أن المراد في هذه الآية: المؤمنون والكافرون ﴿٨﴾". والدعاة على قسمين، كما بينهما الله تعالى في كتابه وبينهما سنة الرسول ﷺ: دعاء الحق والهدى وهم الذين يقفون أثر النبي ﷺ ويسيرون على خطاه الذين أثني الله تعالى عليهم

-
١. سورة البقرة: (٢٥٣).
 ٢. انظر: إقتناء الصراط المستقيم (١٣٣/١).
 ٣. سورة الحج، الآيات من (٢٠_١٩).
 ٤. ابن كثير (١٣٧٣ - ١٣٠٢ هـ = ٧٧٤ م) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخيه إلى دمشق سنة ٢٠٦ هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق. تناقل الناس تصانيفه في حياته. انظر: الأعلام للزرکلی ج١/ص ٣٢٠.
 ٥. قتادة بن دعامة السدوسي ولد سنة (٦٠) هـ، كان من أوعية العلم ومن يضرب به المثل في قوة الحفظ. قال الإمام أحمد: أحفظ أهل البصرة، انظر سير أعلام النبلاء (ج٤/ص ٤٤٩-٤٥٧) والأعلام للزرکلی (ج٥/ص ٢٨٧).
 ٦. مجاهد بن جبیر أبو الحجاج المالکی تابعی ولد سنة (٢١) هـ، أخذ التفسیر عن ابن عباس، قال الذہبی: شیخ المفسرین والقراء، توفي سنة (١٤) هـ. انظر سير أعلام النبلاء (ج٤/ص ٤٤٩-٤٥٧) والأعلام للزرکلی (ج٥/ص ٢٨٧).
 ٧. عطاء بن أسلم بن صفوان تابعی من أعلام التابعين ولد سنة (٢٧) هـ، ولد باليمن ونشأ بمکة فكان مفتی أهلها ومحدثهم، توفي سنة (١١٤) هـ. انظر الأعلام للزرکلی (ج٤/ص ٢٣٥).
 ٣. انظر: تفسیر القرآن العظیم لابن کثیر رحمه الله (ج٣/ص ٢١٢)، الناشر: دار طيبة سنة النشر: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

بقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنْ فَوْلَا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَلِحًا وَقَالَ إِنَّمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(١)، قوله: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَيِّئَةٌ أَذْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشَرِّكِينَ ﴾^(٢)، قوله: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٣)، وأثنى عليهم النبي ﷺ وبين مالهم من الأجر، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»^(٤).

أما القسم الآخر فهم دعاة الكفر والإلحاد والبدعة، الذين يخالفون دعوة الرسول ﷺ ويصدون عن الحق، الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوْجَأَا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفَرُونَ ﴾^(٥)، قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ اللَّهُ أَعْلَمُ ﴾^(٦).

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من دعاة الضلال الذين ربما يتظاهرون بأنهم على الحق حتى يلتبس أمرهم على من يجهل حالهم، ففي صحيح البخاري عن حذيفة بن اليمان^(٧) أنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير و كنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يارسول الله : إننا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخبر فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم» قلت: وهل بعد ذلك الشر من خيرة قال: «نعم وفيه دخنه» قلت: و ما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر» قلت: فهل بعد ذلك الخير من

١. سورة فصلت: (٣٣).

٢. سورة يوسف: (١٠٨).

٣. سورة آل عمران: (١٠٤).

٤. رواه مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلاله، رقم الحديث (٢٦٧٤).

٥. سورة الأعراف: (٤٥).

٦. سورة محمد: (٣٣).

٧. حذيفة بن اليمان العيسى، شهد أحد والخندق وله بالخندق ذكر حسن، روى عن النبي ﷺ الكثير، توفي بالمداين سنة ٣٦هـ، أنظر سير أعلام النبلاء (ج/٢/ص ٤٥-٤٤) والإصابة (ج/٢/ص ٣٦٢-٣٦٢).

شر؟ قال: «نعم دعاء على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بأسنتنا» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن بعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» ^(١). فقد وصف النبي ﷺ هؤلاء الدعاة بأنهم دعاء على أبواب جهنم باعتبار ما يؤول إليه حالي، قوله: هم من جلدتنا أي من قومنا ومن أهل لساننا وملتنا ^(٢). وإذا كان هذا حال من هم من جنسنا ويتكلمون بلساننا وظاهر أمرهم أنهم على ديننا فما بالك بمن يصرح بأنه مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة ويعلن عداوتهم ومخالفتهم سبileهم، كالرافضة والمذاهب الهدامة الواقفة من علمانية أو ديمقراطية وما شاكلها. نعوذ بالله!

المطلب الثالث: حكم الاختلاف

تبين مما سبق أن الاختلاف له أنواع وأحوال، ولذا فإن الحكم يختلف بحسب حال المختلفين والأمر الذي اختلفوا فيه. فالقسم الأول من الاختلاف وهو الذي يلزم فيه سائر المختلفين، فهو لاء قال الله فيهم: ﴿ وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ ^(٣)، ونهانا عن التشبه بهم فقال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَغْرِفُوا وَأَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أُبَيْنَتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٤) وبين حالي، ذلك لأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ^(٥) (٥) فجعل المختلفين كلهم في شقاق بعيد ^(٦) وهذا القسم المختلف أفراده في الأمر الذي بعث الله النبيين ليحكموا فيه بين المختلفين، قال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

١. رواه البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، حديث رقم (٧٠٨٤).

٢. أنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٠/١٢).

٣. سورة هود: (١١٨).

٤. سورة آل عمران: (١٠٥).

٥. سورة البقرة: ١٧٦

٦. أنظر: الصواعق المرسلة، (ج٢/ص٤٥).

وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾^(١). وأصل هذا الاختلاف في التوحيد والتوجه للواحد الحق سبحانه، فالناس لم يختلفوا في أن لهم مدیر يديرون، إلا أنهم اختلفوا في تعينه على آراء مختلفة إلى أن بعث الله النبيين مبينين لأنهم حق ما اختلفوا فيه من باطله، فأقر بذلك من أقر به وهم الداخلون تحت مقتضى قوله: ﴿إِلَّا مِنْ رَبِّكَ﴾ وأنكر من أنكر، فصار إلى مقتضى قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسَ أَجْمَعِينَ﴾^(٢)، وإنما دخل الأولون تحت وصف الرحمة لأنهم خرجوا عن وصف الاختلاف إلى وصف الوفاق والألفة، وهو قوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَقْرَبُوا﴾^(٣). وقال الريبع بن أنس^(٤) في قوله تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥) أي عند الاختلاف أنهم كانوا على ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف أقاموا على الإخلاص لله عز وجل وحده، وعبادته لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأقاموا على الأمر الأول الذي كان قبل الاختلاف واعتزلوا الاختلاف.^(٦)

وقد لا يصل الاختلاف المذموم بأصحابه إلى الكفر ولكنه يدخلهم في سلك المبتدةعة، وذلك حين يقع الاتفاق في أصل الدين، والاختلاف في بعض قواعده الكلية وهو المؤدي

١. سورة البقرة: (٢١٣).

٢. سورة هود: (١٩).

٣. سورة آل عمران: (١٠٣).

٤. الريبع بن أنس بن زياد البكري الخراساني، سمع أنس بن مالك وأبا العالية الرياحي وأكثر عنه، كان عالم مرو في زمانه، توفي سنة ١٣٩ هـ. أنظر: سير أعلام النبلاء (ج ٦/ ص ١٦٩ - ١٧٠).

٥. سورة البقرة: (٢١٣).

٦. ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، طبع داركتب العلمية، ٢٠١٢م، (ج ١/ ص ٢٥٠).

إلى التفرق شيئاً^(١)، ويكون هؤلاء المختلفون من أهل القبلة المتوعدون بالنار كما ورد في الحديث عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال: «ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلات وسبعين، ثنتان وسبعين في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»^(٢). قال الإمام الخطابي^(٣) : قوله: «ستفترق أمتي على ثلات وسبعين ملة» فيه دلالة على أن هذه الفرق كلها غير خارجة من الدين، إذ قد جعلهم النبي من أمته^(٤). وهذا القسم الذي يذم فيه سائر المختلفين تقدم أنه ينقسم إلى قسمين:

أ- اختلاف التنوع وهو محمود في الأصل، كأن يكون للأمر طريقان مشروعان ورجل أو قوم سلكوا هذه الطريق وآخرون سلكوا الأخرى وكلا منهما حسن في الدين^(٥). والتنوع يكون في الوجوب تارة وفي الاستحباب أخرى، مثل أن يجب على قوم الجهاد وعلى قوم الزكاة وعلى قوم تعليم العلم ويكون في الفروض الأعيان وفي فروض الكفايات، وكل تنوع في الوجوب يقع مثله في المستحب، ويزداد المستحب بأن كل شخص إنما يستحب له من الأعمال ما قدر عليه ويفعله ويتفع به^(٦). قال الدكتور محمد عمارة: "واختلاف التنوع محمود بين الدعاء إذا قام كل منهم بالأمر المشروع الذي يحسنه، ونظر إلى غيره من يقومون بعمل مغاير لعمله على أنهم يكملون جوانب في الدعوة عجز هو عن القيام بها، ويسدون ثغرة شغل عن

١. الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد، الاعتصام، دار ابن عفان السعودية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ص (٣٩٥).

٢. رواه أبو داود في كتاب السنة باب (شرح السنة) ورقم الحديث (٤٥٩٦) والإمام أحمد في المسند رقم (١٠٢٤).

٣. الإمام الحافظ اللغوي حمد بن محمد بن إبراهيم، أبو سليمان الخطابي، ولد سنة ٣١٩ هـ، ويقال إنه من سلالة زيد بن الخطاب كان إماماً في الفقه والحديث واللغة، توفي سنة ٣٨٨ هـ. من تصانيفه: (معالم السنن) و (غريب الحديث) و (شرح الأسماء الحسني).

٤. أنظر: معالم السنن لأبي سليمان الخطابي (ج ٤، ص ٧)، حاشية مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري، تحقيق أحمد شاكر وحمد حامد الغفري، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م دار المعرفة.

٥. أنظر: إقضاء الصراط المستقيم (ج ١/ ص ١٣٠).

٦. أبوالعباس أحمد عبدالحليم ابن تيمية الحراني مجموع فتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ، (ص ١١٨-١١٩).

سدها، وكل منهم يقدر للآخر عمله ويسدي له النصح إن رأى في عمله خلة، فيكون لأخيه كالمرأة التي يرى فيها عيوبه. لكن الأمر يختلف حين يرى كل واحد من المختلفين أن الحق معه وحده، وأنه لابد للجميع أن يتزموا بما ألزم به نفسه^(١). وهذا النوع من الاختلاف كل واحد من المختلفين مصيب بلا تردد لكن الدم والإثم واقع على من بغي على الآخر فيه، وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل ذلك، إذا لم يحصل بغي كما في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصْوَلِهَا فَإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِي الْفَسِيقِينَ﴾^(٢)، وقد كانوا اختلفوا في قطع الأشجار، فقطع قوم وترك آخرون، وكما في قوله تعالى: ﴿وَدَأْوَدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمُ مَانِ فِي الْحَرَثِ إِذْ نَفَّثَ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمَ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَهِدِينَ﴾^(٣)، فشخص سليمان بالفهم، وأثنى عليهما بالعلم والحكم^(٤).

ب- إختلاف التضاد وهو القسم الثاني من أقسام الاختلاف المذموم وتبيّن أن هذا النوع من الاختلاف يكون الحق فيه مع فئة دون أخرى، لكن من خالف الحق معه أما بالنسبة للمخالف الذي معه الحق فإنه لا يخلو من حالين هما:

١- بيان الحق الذي يجب اتباعه والأخذ به حيث كان ومع من كان ولو كان مع من يبغضه ويعادييه، ورد الباطل مع من كان ولو كان مع من يحبه ويواليه دون بغي أو هوى، ففعل هذا واجب وهو مثال عليه، وإن كان فيه بيان خطأ من أخطأ من العلماء والأمراء^(٥).

١. عمارة، محمد، الاسلام والتعددية الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ ص.

٢. سورة الحشر: (٥).

٣. سورة الأنبياء: (٧٨-٧٩).

٤. أنظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، طبع إشبيليا ١٤٠١ هـ، (ج ١/ ص ١٣١-١٣٢).

٥. أنظر: الفتاوي للشيخ الاسلام ابن تيمية (ج ١٩/ ص ١٢٣) والصواعق المرسلة لابن القيم (ج ٢/ ص ٥١٦).

٢- معاداة المخالف والرد عليه وبيان ما تلبس به من الباطل، مع عدم الإقرار بما معه من الحق، بغيًا وهوئي، فهو مصيبة فيما بين من الحق، مخطئ فيما رد منه، آثم على قدر بغيه وما اتبعه من هواه. أما المخالف الذي جانب الحق أو بعضه فإنه لا يخلو من حالين هما:

١- من أخطأ الحق مع اجتهاده في الوصول إليه، فاسم الذم مرفوع عنه وهو محمود في اجتهاده معفو عن خطئه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد كان النبي ﷺ يقول في الحديث الصحيح في خطبة يوم الجمعة: «**خَيْرُ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهَدِيَّ هَدِيُّ مُحَمَّدٍ** وَشَرُّ الْأُمُورِ مَحْدُثَاتُهَا وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالٌ»^(١) ولم يقل وكل ضلال في النار، بل يضل عن الحق من قصد الحق وقد اجتهد في طلبه فعجز عنه، فلا يعاقب، وقد يفعل ما أمر به فيكون له أجر على اجتهاده، وخطئه الذي ضل فيه عن حقيقة الأمر مغفور له، وإذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾^(٢).

٢- من خالف الحق وأهله عن قصد وعلم واتباع للهوى، فهذا الصنف له نصيب من قول النبي ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه عن حذيفة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتنة على القلوب كالحصير عوداً فمَا أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبيين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباد^(٣) كالكوز مجخيا لا يعرف معروفة ولا ينكر منكرا، إلا ما أشربه من هواه»^(٤). وقد حذر الله تعالى من اتباع الهوى وبين أنه يؤدي بصاحبته إلى العذاب الشديد فقال تعالى: ﴿يَنَّدَأُرُدُّ إِنَّا جَعَنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحُقْقِ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلٍ

١. رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطيبة، ورقم الحديث (٨٩٧).

٢. سورة البقرة: (٢٨٦).

٣. أي: ما كان لونه مغبراً بلون الرماد. أنظر: معجم المعاني.

٤. رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، ورقم الحديث (١٤٤).

اللَّهُ أَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سُوِّا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ .^(١) وذلك لأن صاحب الهوى يعميه هواه ويصممه فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك، ولا يطلبه ولا يرضي لرضا الله ورسوله ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضي إذا حصل ما يغضب له هواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين أن الذي يرضي له ويغضب له أنه السنة، وهو الحق والدين^(٢).

٢ - أما القسم الثاني من الاختلاف والذي تبين أنه ينقسم إلى ممدوح ومذموم، وأن الممدوح هم أهل الإيمان والحق الذين خالفوا أهل الضلال والزيف، فهؤلاء قد فعلوا ما يجب عليهم مما دلت عليه الآيات والأحاديث وهم الذين تبيض وجوههم يوم القيمة حين تسود وجوه أهل الضلال والزيف قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٣) يوم تبيض وجوههم فأما الذين أسودت وجوههم فأكفرتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾ وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون^(٤) ﴿١٧﴾ . قال ابن كثير: قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهُهُمْ وَتَسُودُ وُجُوهُهُمْ ﴾ يعني يوم القيمة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما^(٤).

المطلب الرابع: الفرق بين الخلاف والإختلاف

فرق ابن الهمام^(٥) بين الخلاف والإختلاف، فزعم أن لفظ الاختلاف يستعمل في القول الذيبني على دليل، أما الخلاف فإنه يطلق على القول المرجوح في مقابلة الراجح^(١)، أما

١. سورة ص: (٢٦).

٢. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدريّة، (ج ٥/ ص ٢٥٦) تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط (١) ٤٠٦ هـ.

٣. سورة آل عمران: (١٠٥-١٠٧).

٤. ابن كثير إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم (ج ١/ ص ٣٩٠)، الناشر: دار طيبة ١٤٢٠ هـ.

٥. محمد بن عبد الواحد كمال الدين، المعروف بابن الهمام، إمام من علماء الحنفية، عارف بأصول الديانات والتفسير والفرائض والفقه، ولد باكندرية وتوفي بالقاهرة سنة ٨٩١ هـ وغيرهما. انظر الأعلام (ج ٢/ ص ٢٥٥).

عطيه محمد سالم فزعم أن استعمال اختلاف يكون في حالة المعايرة في الفهم الواقع من تفاوت وجهات النظر، أما خالف فيستعمل في حالة العصيان الواقع عن قصد^(٢)، وفي كلام بعض العلماء عدم اعتبار هذا التفريق بما يعبر عنه في موضع بالاختلاف يعبر عنه في موضع آخر بالخلاف^(٣).

والذي يظهر بعد تأمل نصوص الكتاب والسنة أن الكلمة يتحدد معناها بحسب سياق الكلام الذي ترد فيه، فقد ترد كلمة اختلف في سياق يتبين منها النهي عن الاختلاف عموما دون تحديد لفظة معها دليل يؤيدها فيما اختلفت فيه مع الفئة الأخرى، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقْرَفُوا وَأَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٤)، ومثل قول النبي فيما رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رجلا فرأى آية سمعت النبي يقرأ خلافها فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهة، وقال: «كلا كما محسن، ولا تختلفوا فإن من كان بقلبك إختلفوا فهلكوا»^(٥). وقد يكون هذا الحديث دليلا صريحا في عدم التفريق بين اللفظين حيث إن الاختلاف وقع بين قارئين قراءة كل منهما صحيحة تلقاها من النبي عليه الصلاة والسلام. وكذلك لفظ (خالف) لا يقتصر إستعماله على من كان خلافه ناتجا عن عصيان واقع عن قصد بل يشمل أعم من ذلك كما لو خالف معتمدا على دليل، فلا يلزم

١. أنظر: شرح فتح القدير لمحمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام، (٩ / ٣٩٦) وحاشية ابن عابدين (٨ / ٣٢١)، الطبعة (١) دار الكتب العلمية، بيروت.

٢. عطيه محمد سالم، موقف الأمة من اختلاف الأئمة، ص (١٦)، مكتبة دار التراث، ط (١) ١٤١٠ هـ.

٣. أنظر: مثلا في كلام الشاطبي في المواقف حيث يقول في السبب الرابع من أسباب نقل الخالف و ماقبله وما بعده: "أن يتوارد الخالف على محل واحد، كإختلافهم في أن المفهوم له عموم أولا، وذلك أنهم قالوا لا يختلف القائلون بالمفهوم أنه عام فيما سوى

المنطق به، والذين نفوا العموم أرادوا أنه لا يثبت بالمنطق به، وهو ما لا يختلفون فيه أيضا". المواقف في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي (ج ٤ / ص ١٥٧) ط (١)، دار الكتب العلمية بيروت.

٤. سورة آل عمران: (١٠٥).

٥. صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، رقم الحديث (٢١٠).

فاعله أو يمدح إلا بمعرفة أسباب الاختلاف ودوافعه، ولعل المراد يتضح بإيراد بعض النصوص لشرعية مثل قوله تعالى: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِي بِهِ يَسْأَلُونَ مِنْكُمْ لَوَّاً فَلَيَحْذِرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(١). أي يخالفون أمر الرسول وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وستته وشريعته، ويتركون العمل بمقتضاه. وكذلك ما رواه البخاري عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جعل رزقي تحت ظل رمحى وجعل الذلة والصغر على من خالف أمري»^(٢).

فالمخالف هنا مذموم لأنّه قد خالف الحق والدليل. وقد يكون الخلاف محموداً مأموراً به إذا كان خلافاً لأهل الكفر والمعاصي والبدع، فعن عمرو بن ميمون قال: "قال عمر به "إن المشركين كانوا لا يفيضون من جمع حتى تشرق الشمس على ثيير فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم فأفاض قبل أن تطلع الشمس" ^(٣). وعن ابن عمر عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب»^(٤).

تبين ما تقدم أن الخلاف والاختلاف من حيث اللفظ هو كما قال الشيخ صالح بن حميد: "ليس بينهما فارق يعول عليه ويستعملهما العلماء في مدوناتهم بمعنى واحد، وإن تكفل بعضهم في التفريق بينهما، وقصير الأمر ألا مشاحة في الاصطلاح" ^(٥). وقد أوردت لفظ (إختلف) و (خالف) في سياقات متعددة تبين منها أن اللفظ يتعدد معناه باعتبار السياق الذي ورد فيه، ورأيت الالكتفاء بإيراد بعض النصوص لأن فيها ما يكفي للاستدلال في هذه المسألة.

١. سورة النور: (٦٣).

٢. رواه البخاري واللفظ له، كتاب الجهاد والسير، رقم الحديث (٨٨) ورواه الإمام أحمد مسندًا (٥١/٢).

٣. رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية، رقم الحديث (٣٨٣٨).

٤. رواه البخاري، كتاب اللباس، باب قص الشارب، رقم الحديث (١٨٩٢).

٥. ابن حميد صالح بن عبد الله، أدب الخلاف، ص (٩)، مكتبة الصياغ ١٤١١هـ.

المبحث الثاني: طبيعة التفاوت في ساحة الدعوة

إن الاختلاف بين الناس حقيقة فطرية، وإرادة ربانية، واختلاف الفكر ظاهرة إنسانية راسخة، مما دعا بعض المفكرين إلى القول: بأن ثمة بصمة فكرية لكل إنسان لا يكاد يشبهها بصمة فكرية أخرى لدى إنسان آخر^(١). وعندما نتأمل لكثير من ظواهر الكون نلحظ فيها التنوع والاختلاف، و هذا التنوع ليس جميلا في كل الأحيان، فثمة اختلاف ينفر منه الحس ويتعكر من منظره الخاطر فهو ليس جميلا بإطلاق ولا قبيحا باطلاق، لكنه سنة موجودة في الحياة والإنسان بوصفه جزءا من خلق الله تعالى تجري عليه هذه السنة، فالأب وابنه والأخ وأخوه بالرغم من الصفات المشتركة بينهم إلا أن هناك أمورا يختلفون فيها، حقيقة أو حلقية، وتأمل قول الله تعالى ﴿وَمَنْ ءَايَتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافُ الْسِنَّاتِكُمْ وَأَلْوَانُكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَكَرٌ لِلْعَلَمِينَ﴾^(٢) وإذا كان الاختلاف بين الناس في الألوان والألسنة يظهر للعيان، فإن اختلاف المدارك والأفهام لا يكاد يخفى أيضا، خصوصا في المسائل التي تقبل النظر ويتجول فيها الفكر في أمور الدين والدنيا، يقول الإمام الشاطبي: فإن الله تعالى حكم حكمته أن تكون فروع هذه الملة قابلة للأنوار ومحالا للظنون، وقد ثبت عند الناظر أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة، فالظنيات قابلة في إمكان الاختلاف، لكن في الفروع دون الأصول في الجزئيات دون الكليات، فلذلك لا يضر هذا الاختلاف^(٣). ولما كان من سنة الله سبحانه في خلقه تفاوت الناس في أفهمهم وتفكيرهم واهتماماتهم، والدعاة إلى الله تعالى من تجري عليهم هذه السنة، لذا فقد كان لهم نصيب من هذا التفاوت، بالرغم من اهتمامهم بحماية الدين وحفظه والدفاع عنه، إلا أن القناعات المتفاوتة في أنجح السبل في تبليغ دين الله والتمكين له في الأرض، والسبل الكفيلة في الوصول إلى الأهداف المرجوة، إضافة إلى الاختلاف في بعض المسائل العلمية. فمن قائل بوجوب الاقتصار على تصحيح العقيدة، ومن قائل بضرورة نقل الناس من بيئة الغفلة والمعاصي والمباغة في الاهتمام

١. أنظر: *فقه الخلاف مدخل إلى وحدة العمل الإسلامي*، للأستاذ جمال سلطان، الطبعة الأولى مركز الدراسات الإسلامية، بريطانيا ١٤١٣هـ، ص (١٤-١٥).

٢. سورة الروم: (٢٢).

٣. الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، *الاعتصام*، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية ١٤١٢هـ، ص (٣٩٣).

في أمور الدنيا إلى جو العبادة ومن قائل بأن بداية الإصلاح تكون في الوصول إلى الحكم وتولي مقاليد الأمور، ومن قائل بضرورة شمول الدعوة لكل نواحي الحياة دون الاقتصار على بعض الجوانب، بما في ذلك نصح الحكام وتصحيح الولاء والبراء ومواجهة المؤامرات التي تحاك ضد الإسلام، وتحديد الموقف بصراحة وجلاء من أعداء الدين على اختلاف نحلهم (١) إضافة إلى الاختلاف حول الأشخاص، أو الجماعات، أو المناهج الدعوية. علما بأنه ليس بمنجاة من هذا الاختلاف من يفترض فيهم الاتفاق من يجمعهم الانتداء إلى جماعة أو منهجه وإذا كان التعرف على الاختلاف القائم بين الجماعات من الممكن الإحاطة بكثير من جوانبه، وذلك بالوقوف على المبادئ والمناهج -العملية والنظرية- المتعلقة لكل جماعة، فإن الاختلاف بين الأفراد يصعب الإحاطة به لتعدد جوانبه و كثرة وقوعه، بل ربما وقع بين أفراد الجماعة الواحدة والمنهج الواحد.

المبحث الثالث: التعددية والإختلاف من سنن الفطرة

ولأن هذا هو شأن الاختلاف، ومكان التعددية، ومقام التنوع في الرؤية الإسلامية، كان القرآن الكريم كتاب العقيدة والشريعة ومنظومة القيم وفلسفة التنظيم والتدبير للعمران، هو المصدر الأول لالتماس موقف الإسلام من التعددية والاختلاف. فنحن -إيزيء هذه القضية- لسنا جبال فكرة حديثة أو طرئة ابتدعناها أو استمرناها، وإنما بإيزيء مبدأ إسلامي، أخبرنا القرآن أنه جعل الهي، وسنة أزلية وأبدية قد فطر الله عليها جميع المخلوقات. فلم ولن يكون الناس

١. انظر: **العمل الجماعي محاسنه و جوانب النقص فيه**, للشيخ عبد الوهاب الديلمي، الناشر للطباعة والنشر الطبعة الثانية ٤١٥-٤١٦ هـ، ص (١٥-١٦).

نمطا واحداً أو قالها فرداً، وإنما كانوا ولا يزالون مختلفين و ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَجَدَّةً وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (١).

قال الدكتور محمد عمارة في كتابه: الاسلام والتعددية الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة: "إذا كانت الإنسانية والبشرية قد بدأت بأدم وحواء أمة واحدة، في الدين والشريعة، فإن تحول هذه الأمة الواحدة إلى أمم قد اقتضى التعددية في شرائع الرسل بتنوع الرسالات، فكانت سنة التعددية منذ فجر تاريخ الإنسان" (٢). قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا أَخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَنَّهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بِيَنْهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ أَمَّنُوا لِمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَأَلَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صَرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٣).

إذا كانت البداية - بداية البشرية - بالأمة الواحدة أى المملكة المتحدة في العقائد وأصول الشرائع (٤) {وَكَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً} فقد تلت تلك البداية مرحلة تعدد الرسالات والرسل والأنبياء بتنوع الأم وتواتي الأجيال -دينه واحد، وشرائعهم متعددة، والكتب متعددة- فكانت التعددية في الشرائع بإطار وحدة الدين، وذلك ليحكم الله -من خلال الكتب المتعددة بالشرع المتعددة- بين الأمم المتعددة، فيما اختلفت فيه هذه الأمة. والاختلاف هنا طبيعي، وغير مذموم و {فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ} فهو اختلاف في الشرائع. وفاء العطف في (بعث) يجعل هذه المرحلة -مرحلة التعددية تالية لمرحلة الأمة -المملكة الواحدة. أما الاختلاف الآخر في داخل الأمة الواحدة، المخاطبة بالشريعة الخاتمة، وبعد مجيء كتابها بالبيانات فهو معاير للاختلاف المحمود والطبيعي؛ لأنَّه اختلاف في الشريعة الواحدة

١. هود: ١١٨، ١١٩.

٢. عمارة، محمد، الاسلام والتعددية الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ٢٤.

٣ البقرة: ٢١٣.

٤. الإمام محمد عبد (الأعمال الكاملة)، دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة. طبعة القاهرة، سنة ١٩٩٣ م، ج ٤ ص ٢٥١.

الخاتمة، وليس اختلاف شرائع أمم الرسالات المتعددة في إطار وحدة الدين، ولذلك عطف بالواو الدالة على المغایرة للاختلاف الأول ﴿ وَمَا أَخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أَوْتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبِيْتَنُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ أَمْنَوْا لِمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾^(١)). فاختلاف الشرائع هو تنوع طبيعي في إطار جامع الدين الواحد، أما الاختلاف في أصول الاعتقاد الديني أو أصول الشريعة الواحدة فإنه تشرذم القطيعة والخلاف الذي لا جامع لأقطابه وفرقائه. ولأن هذه هي حقيقة الموقف القرآني من التعددية عندما تكون تنوعا في إطار الوحدة وهو الموقف الذي رعأها سنة إلهية فطر الله الناس عليها، عندما جعلهم متعددين في الخلق والفكر والعمل، حتى لكانما كل إنسان هو بصمة مميزة في إطار جنس الإنسان. لهذه الحقيقة القرآنية كان اجتماع المفسرين عليها من كل المذاهب وعلى مر القرون. فالقدماء قد جعلوا هذا الاختلاف والتنوع علة في خلق الله للناس، فقالوا: "وَلِل اختلاف خلقهم"^(٢). والمحدثون زادوا هذه الحقيقة تأكيدا وتفصيلا، فصاحب (المنار) الشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ / ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م) يقول: "والذي دل عليه الكلام من مشيئته تعالى في الناس: خلقهم مستعدين للاختلاف والتفرق في علومهم ومعارفهم وأرائهم وشعورهم، وما يتبع ذلك من إراداتهم و اختيارهم في أعمالهم، ومن ذلك الدين والإيمان والطاعة والعصيان، فالاختلاف طبيعي في البشر، وفيه من الفوائد والمنافع العلمية والعملية - ما لا تظهر مزايا نوعهم بدونه - وقد شرع الله لهم الدين لتكميل فطرتهم، والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه بكتاب الله الذي لا مجال فيه للاختلاف"^(٣).

١. البقرة : ٢١٣

٢. (تفسير المنار)، طبعة دار المعرفة بيروت ج ١٢، ص ١٩ - ٢٢ . ولقد كان الفضل في جمع كثير من آراء المفسرين حول هذه السنة، للأستاذة زينب عطية محمد انظر كتابها (أصول العلوم الإنسانية من القرآن الكريم)، طبعة القاهرة، سنة ١٤١٦ هـ، سنة ١٩٩٥ ج ١، ص ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٨ . ٢٣٥

٣. (الميزان في تفسير القرآن) ج ١١ ص ٦٠ طبعة بيروت سنة ١٣٩٣ هـ / سنة ١٩٧٢ م.

المبحث الرابع: التعددية والاختلاف جعل إلهي وطبيعي في البشر

التعددية والاختلاف طبيعي في البشر. خلقوه مستعدين له و مجبولين عليه، و ميادينه متعددة ومتعددة باتساع و تعدد ميادين الحياة -المادية منها والفكرية على السواء^(١)- وبعبارة حجة الإسلام الغزالى: "وكيف يجتمعون على الإصغاء -(لرأى واحد) وقد حكم عليهم في الأزل بأنهم لا يزالون مختلفين.. إلا من رحم ربكم ولذلك خلقهم"^(٢). فالتنوع والاختلاف جعل إلهي وليس مجرد مباح أو حق من حقوق الإنسان. وإذا كان التنوع -كذلك الكثرة- من دواعي ومقتضيات الاختلاف، فإن جامع الإنسانية هو رابطة الائتلاف، "إذ ليس يحوز أن يكون الناس مختلفين في ظاهرهم ولا يختلفون في باطنهم وليس يجوز في الحكمة أن يكثروا ولا يختلفوا، وليس يجوز أيضاً أن يضم الجنس والنوع ولا يتألفوا"^(٣). فالتنوع والاختلاف الطبيعي والمحمود -لا يكون في الأصول الجامعية. فإذا حدث الخلاف في الأصول الجامعية كان تنازعاً وليس تنوعاً، وغداً خلافاً في الدين، أى في الوضع الإلهي الثابت. فلا بد من جامع للتنوع، ومرجع للاختلاف، ومشترك بين المتمايزين، حتى تكون التعددية وسطاً عدلاً متوازناً بين قطبي غلو الإفراط والتفرط التشرذم والقطيعة التي لا جامع لفرقائها والواحدية القاهرة للتمايز والمنكرة للتنوع والاختلاف. ذلك أن الناس في أصل جبلتهم وبده خلقهم قد افترقوا مجتمعين واجتمعوا مفترقين واحتلقو مفترقين، والتلقو مختلفين"^(٤).

المبحث الخامس: دور الاجتهاد في صياغة الاختلاف وصيانته الشرعية

الاجتهاد فريضة إسلامية دائمة؛ لأنه أداة استنباط الأحكام الشرعية الجزئية من مصادر الوحي الإلهي والبلاغ القرآني والبيان النبوى لهذا البلاغ، وعليه يتوقف بقاء الشريعة الإسلامية خاتمة وحالدة ومستجيبة لأحكامها لمستجدات الزمان والمكان والمصالح والعادات والأعراف. فهو بعبارة السيوطي (١٤٤٥ هـ - ١٥٠٥ م) فرض من فروض الكفايات في كل

١. عمارة، محمد، الإسلام التعددية والاختلاف، ص ٣١، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢. (القسطاس المستقيم) ص ٦١، ضمن مجموعة القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالى، طبعة القاهرة، مكتبة الجندي بدون تاريخ.

٣. أبو حيان التوحيدي (الإمتناع والمؤانسة) ج ٣، ص ٩٩، تحقيق: أحمد أمين أحمد الزين طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤ م.

٤. (أبو حيان التوحيدي، المقايسات، ص ٨٣، تحقيق: محمد توفيق حسين، طبعة دار الأدب، بيروت سنة ١٩٨٩ م).

عصر، وواجب على أهل كل زمان أن يقوم به طائفة من كل قطر"^(١)). فإن فريضة الاجتهاد هذه لا تتأتى إلا مع التعددية والاختلاف في الاجتهادات.

إن الإسلام لم يعرف البابوية المعصومة التي تحصر فهم الشريعة وفقه الكتاب وتشريع الأحكام في فرد واحد دون بقية القادرين على الاجتهاد. لم يعرف الإسلام — بل أنكر — وجود ولی أمر الاجتهاد.. وإنما جعل الاجتهاد فريضة كفائية اجتماعية على أولى الأمر (العلماء) القادرين على هذا الاجتهاد الذي لا بد معه من التعددية في الاجتهادات. قال تعالى: ﴿

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أُخْتِلَفًا كَثِيرًا ﴿٨٦﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُوا إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلْمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْطِطُونَهُ وَمِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَأَتَبَعَتُمُ الْشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾^(٢). وتعدد المجتهدين لا بد وأن يشمر تعدد وتنوع واختلاف الاجتهادات، التي يمكن أن تتبادر في مذاهب ومدارس وتيارات. ومنذ العصر النبوى وفي ظل تواتى نزول الوحي، ووجود المعصوم — عليه الصلاة والسلام — كان الرسول هو أول الداعين والحافظين لصحابته — الفقهاء والقضاة — على الاجتهاد وتنمية ملكاتهم في استنباط الأحكام، فهو القائل: "من اجتهد برأيه فأصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحده"^(٣). أما الاختلاف الم مشروع — الذي لا يمثل فرقة في الدين وإنما هو تعددية الاجتهادات في أحكام الدين — قال الإمام الشاطبي: "فلقد وجدنا أصحاب رسول الله من بعده قد اختلفوا في أحكام الدين، ولم يفترقا، ولم يصيروا شيئاً لأنهم لم يفارقوا الدين وإنما اختلفوا فيما أذن لهم من اجتهاد الرأى والاستنباط من الكتاب والسنّة، فيما لم يجدوا فيه نصاً، واجتهدوا في ذلك أقوالهم، فصاروا ملحدين لأنهم اجتهدوا فيما أمروا به، وكانوا مع هذا أهل مودة وتناصح، أخوة الإسلام فيما بينهم قائمة"^(٤). التعددية والاختلاف والتنوع في إطار الجامع

١. السيوطي، الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، طبعة بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ / سنة ١٩٨٣ م، ص ٩٧-١١٦.

٢. النساء : ٨٢، ٨٢.

٣. رواه البخاري والنسائي وابن ماجه والإمام أحمد.

٤. الشاطبي، المواقف، ج ٤، ص ١٢١ - ١٢٤.

الموحد هو الطبيعي، بل والضروري لتلبية حاجات الواقع المتتنوع والمتغير، والعادات والأعراف والمصالح المتميزة، إلى الملائم من أحكام الدين. وإذا كان ذلك جائزًا في أحكام الدين وفقه الفروع فإنه جائز -من باب أولى- في السياسات التي يتم بها تدبير شئون الاجتماع وال عمران^(١). فالتنوع والاختلاف والتنوع لا تمثل افتراقا في الدين، طالما ظلت تحت جامع الإسلام، المتمثل في أصوله الثوابت التي هي وضع إلهي، معلوم بالفطرة والضرورة، سواء أكانت هذه التعددية في فروع الأحكام الدينية، من فقه الفروع، أم كانت من السياسات. فما علم من الدين بالضرورة فأجمعـت عليه الأمة، لا مجال فيه للاختلاف. وذلك من مثل ما ضرب الإمام الشافعـي رحـمه الله به المثل على ذلك، فقال: «لست أقول ولا أحد من أهل العلم: هذا مجتمع عليه، إلا لما لا تلقـى عالـما أبداً إلا قالـه لكـ، وحـكـاه عـمن قـبلـهـ، كالـظـهـرـ أربعـ، وـكـتـحـرـيمـ الـخـمـرـ، وـمـاـ أـشـبـهـ هـذـاـ»^(٢). أما ما عدا ذلك من أحكام الدين، وفروع الفقه، وسياسات العـمرـانـ، فإنـ التـعـدـديـةـ وـالـاخـتـلـافـ بـيـنـ الـاجـتـهـادـاتـ فـيـ مـيـادـينـهاـ قدـ اـسـتـقـرـ إـلـيـنـ الـإـسـلـامـ عـلـىـ اـعـتـبـارـهـ سـنـةـ فـطـرـيـةـ مـنـ سـنـنـ اللـهـ فـيـ الـفـكـرـ الـإـنـسـانـيـ، لـاـ تـبـدـيـلـ لـهـاـ وـلـاـ تـحـوـيـلـ، "ـحـتـىـ لـقـدـ غـدـاـ هـذـاـ الـاخـتـلـافـ فـنـاـ مـنـ فـنـوـنـ الـعـلـمـ إـلـيـلـامـيـ، قـصـدـهـ الـعـلـمـاءـ بـالـتـأـلـيـفـ وـالـتـصـنـيـفـ"ـ^(٣).

١. عمارة، محمد، الإسلام والتعددية الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩

ـ هـ ٢٠٠٨ـ مـ، صـ ٣٥ـ .

٢. الإمام الشافعـيـ، الرـسـالـةـ، صـ ٥٣٤ـ .

٣. انظر كتاب: في فن الاختلاف، د. جمال الدين عطية (التنظير الفقهي)، طبعة القاهرة سنة ١٤٠٧ـ هـ / سنة ١٩٨٧ـ مـ، ١٣٦ـ ١٤١ـ .

الفصل الثاني: أهم المشاكل الداخلية في ساحة الدعوة

تمهيد: إن الدكتور محمد عمارة رحمه الله وإن لم يكن في يوم من الأيام قد انتسب إلى عضوية تنظيم من تنظيمات الحركات الإسلامية، إلا أنه ليس غريباً عن أن يكتب في هذا الموضوع وعلى الأقل من خلال الزاوية والجزئية التي اختار أن يفرد لها هذه الصفحات. فبحكم التكوين الفكري الموروث الذي اتخذه سبيلاً للتعلم وللعلم: الدراسة في الأزهر ودار العلوم، وبحكم التخصص الأكاديمي في العلوم الإسلامية والتفرغ لقضايا الفكر الإسلامي، كان الاهتمام بالحركات الإسلامية شاغلاً أصيلاً من شواغل كاتب هذه الصفحات. حتى في حقبة من تاريخه السياسي والفكري كان فيها رافضاً لطريق هذه الحركات، فبحكم العلاقة، وبحكم هذا الرفض أيضاً، كانت هذه الحركات في بؤرة الاهتمامات. ولقد زادت هذه الاهتمامات، فبلغت مستوى المتابعة للكثير من أدبيات الحركات الإسلامية، وموافقتها، وأنشطتها، وللمد والجزر اللذين تناوباً على العديد من فصائلها. ثم زادت هذه الاهتمامات في الربع قرن الأخير. وذلك منذ أن استخلص كاتب هذه الصفحات عقله ووجوده وإسهاماته الفكرية لقضية البعث الإسلامي، جندياً من جنود الفكر الذين يجتهدون لتجديد دنيا المسلمين بتجديد الفكر الإسلامي ولقد تجسدت حصيلة هذه الزيادة من الاهتمام بفكر وأنشطة الحركات الإسلامية المعاصرة في العديد من الكتب والفصوص والدراسات التي قدمها الكاتب إلى المكتبة الإسلامية. يقول الدكتور محمد عمارة نفسه: "بعد دراسة الأصول التاريخية والجذور التراثية في كتاب (تيارات الفكر الإسلامي) كانت الدراسة ل(تيارات اليقظة الإسلامية الحديثة). ثم جاءت الدراسات التي أنجزتها عن الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ - ١٩٠٦ هـ ١٩٤٩ - م) وجماعة الإخوان المسلمين. وعن أبي الأعلى المودودي (١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ ١٩٠٣ - ١٩٧٩ م) والجماعة الإسلامية، وعن سيد قطب (١٣٢٤ - ١٣٨٦ هـ ١٩٠٦ - ١٩٦٦ م) وتيار الرفض والغضب الإسلامي، عن جماعة الجهاد والفيضة الغائبة وبعد إنجاز هذه الأعمال الفكرية زادت اهتماماتي بأدبيات فصائل تيار الرفض والغضب الإسلامي، فبدأت أجمع هذه الأدبيات، على أمل أن يفرد لفكر هذا

التيار عملاً يفي بدراسته دراسة موضوعية، إن شاء الله^(١). إذن، فكاتب هذه الصفحات وإن لم يكن عضواً في أي تنظيم من تنظيمات الحركات الإسلامية المعاصرة، إلا أنه يرجو أن تكون لديه مؤهلات الحديث في هذا الموضوع. وإضافة إلى ما تقدم، يؤكد الدكتور محمد عمارة رحمة الله ويقول: "إن الاهتمام بفكرة ونشاط الحركات الإسلامية المعاصرة، ليس لمجرد الدراسة التي تستهدف أن تصدر في كتاب أو عدد من الكتب والأبحاث. وإنما هي اهتمامات مجاهد سلاحه الفكر بإخوة المعركة الواحدة ورفاق الخندق النضالي الواحد الذي نجاهد جميعاً لبعث هذه الأمة وانتزاع استقلالها السليم وتحقيق نهضتها بالإسلام . فهو ليس اهتمام الأكاديمية-الحرفية، وإنما هو اهتمام العضو الذي يمتلك، بالفكر، أعلى مستويات الحساسية، بسائر أعضاء الجسد. جسد الطائع التي تقف على أرض معسكر البعث الإسلامي الجديد. فهذه الحركات الإسلامية المعاصرة، ليست مجرد «مادة» للدراسة وإنما هي: الأمل الإسلامي، المرشح والمؤهل لقيادة النهضة الإسلامية المنشودة لهذه الأمة، والتي نأمل أن تتحقق لها الاستقلال الحقيقي والتقدم الحقيقي والقوة العادلة لتعود هذه الأمة، ثانية إلى صدارة الدنيا وإمام العالم، تسهم إسهامها الطبيعي والمتميز في ترشيد مسيرة البشرية جماء"^(٢). وهي المالكة الوحيدة للشوكة الفكرية، أي لل الفكر القادر وحده دون سواه، على تحريك جماهير الأمة، وحشدتها لتنتمي إلى الذات، ولتدفع العداون عن هذه الذات ولتحقيق المشروع الحضاري الذي تتحقق به وتزدهر هذه الذات (ذات الأمة الإسلامية)، إنها المالكة لهذه الشوكة الفكرية، ولو قوفها، إجمالاً على أرض الهوية الحضارية الإسلامية. ومن ثم فإنها المالكة لزمام حركة وتحريك الجماهير الإسلامية، مادة وأداة التغيير. وصاحبة المصلحة الأولى في التغيير الإسلامي المنشود.. ولذلك كان وسيظل الانعطاف الجماهيري الكبير وتعاطفها المتنامي نحو هذه الحركات. وهذه الحركات الإسلامية هي الناهضة بالفريضة الإسلامية الكفائية، والمحققة للواجب الشرعي الاجتماعي فريضة وواجب الأمر بالمعروف

١. عمارة، محمد، ... آخرون، (مظاهر الخلل في الحركات الإسلامية المعاصر)، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي، الكويت، مكتبة آفاق، ٢٠١٢م، ص ٣٢٠.

٢. المرجع السابق: ص ٣٢٩.

والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر على تبعات ومشاق طريق الحق أي أنها الطلائع الإسلامية، التي تنهض بهذه الفرضية، نيابة عن العامة والجمهور مستعينة بهؤلاء العامة وهذا الجمهور. وهذه الحركات الإسلامية هي الوعاء التنظيمي الذي يستوعب الطاقات الإسلامية النشطة والفعالة فيوظفها في المكان المناسب والنافع منقذًا لها من التردي في أوعية تيارات العلمانية والتغرب والاستلاب الحضاري والمرور والإلحاد والإنحلال واللامبالاة. إنها العاصم لشباب الأمة -مادة المستقبل وعدته- من التواكيلية والانحلال، ومن السقوط في المستنقعات التي تمد التنظيمات العلمانية بالمدد الجديد والدم الجديد. "إنها نحن، ونحن منها، وبها، ومعها. نقف معاً وجميعاً في ذات الساحة وبذات المعسكر، ون Jihad متكاتفين من ذات الخندق. حتى وإن اختلفنا وخالفنا بعض فصائل هذه الحركات الإسلامية المعاصرة في بعض من الرؤى وعدد من السبل والبدائل والتصورات" ^(١). هذا عن علاقة كاتب هذه الصفحات بالحركات الإسلامية والمعاصرة وعن مكانه منها، ومكانتها لديه. ولذلك فإن النقد الذي تجتهد هذه الصفحات لتلمسه ببعض جوانبه، هو جزء من أداء كاتب هذه الصفحات لفرضية النصح والتناصح الإسلامية.. تلك الفرضية الكفائية، الواجب الشرعي الاجتماعي، الذي افترضه الله علينا تجاه هذه الحركات. وهي تتعمّن على أهل الاختصاص والإمكانات، استهدافاً لتقويم المسيرة، وترشيد المسار، ضماناً لبلوغ الأهداف، فالدين النصيحة، لله ولرسوله، ولأمة المسلمين وعامتهم. وهذه الحركات الإسلامية المعاصرة هي في موقع «الإمامية» السياسية والاجتماعية والفكرية _شعبياً وجماهيرياً- بالنسبة لأمة الإسلام وعامة المسلمين.

ولأن هذا هو حال كاتب هذه الانتقادات لبعض من فصائل الحركات الإسلامية المعاصرة، كان معيار هذا النقد الذي يحتمكم إلى مقاييسه وضوابطه، هو معيار المنهج الإسلامي، وخصيصة النظرة الإسلامية: الوسطية الإسلامية الجامحة، التي هي: عدل بين ظلمين وحق بين باطلين واعتدال بين طرفين، وتوازن وموازنة ينفيان الخلل والاختلال، ويضمنان النظرة

١. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٨، ص ٧.

الشاملة التي تبرأ من انحياز وتطرف وانغلاق النظرة الوحيدة الجانب التي ترى في الظاهرة إلا أحد قطبيها والتي تعجز عن الجمع والتأليف بين عناصر الحق ومكوناته دونها ميل أو هوى أو انحراف. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾^(١) وصدق رسوله الكريم إذ يقول: «الوسط: العدل، جعلناكم أمة وسطا»^(٢). فمواطن «الخلل» التي تتلمسها وتتتقدما هذه السطور، هي المواطن التي غابت فيها عن الحركات الإسلامية المعاصرة موازين الوسطية الإسلامية الجامعة، سواء أكان ذلك في الفكر أو الممارسة لدى هذه الحركات. أما مواطن الخلل هذه فإننا نتخير منها نماذج على سبيل المثال^(٣).

المبحث الأول: الخلل في فهم التعددية والإيمان بجدواها

إن الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة ولا يبالغ إذا قلنا أكثريتها، إنها تقف من مبدأ التعددية، سواء في الرؤى الفكرية أو في الأوعية التنظيمية والتنظيمات الحركية موقف الرفض العدائي، أو الريبة الشديدة، أو الشك في شرعيتها، أو في ضرورتها وجدواها.

وهذا الرفض لهذه التعددية، ليس نابعاً من مجرد الرغبة في الانفراد بالفعل وبالقرار وبالجماهير في الساحة الإسلامية – وهي رغبة مفهومة ومقبولة – وإنما هو رفض تابع من خلل جعل هذه الحركات لا تميز بين الأصول والمبادئ والقواعد الإسلامية التي لا يجوز فيها الاختلاف، والتي هي الخطرها وكليتها وثباتها، الضامنة لوحدة الأمة، في العقيدة والشريعة والروح الحضارية. الخلل في التمييز بين هذه الأصول الجامعة، وبين الفروع والجزئيات والسبل والوسائل المتعلقة بالمتغيرات – والمتغيرات الدينية على وجه الخصوص – وهي التي لا تضر فيها تعددية الرؤى والمناهج، وتعددية الدعوات والتنظيمات. بل ربما تكون هذه

١. سورة البقرة: الآية ١٤٣

٢. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٥٠ جزء، الطبعة الأولى، تحقيق: شعيب أرناؤوط، عادل مرشد وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١ م. رواه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، مسند المكثرين من الصحابة، ج ١٧، ص ٣٧٢، رقم الحديث: ١١٢٧١، وقال شعيب الأرناؤوط وآخرون: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

٣. عمارة، محمد. في التنوير الإسلامي، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٧ م، ص ١١.

التعددية، في هذا النطاق، مصدراً للثراء الفكري، ودافعاً على تحريك العقل نحو الاجتهاد والإبداع، ومنها على الأخطاء والإنحرافات ومرايا يرى فيها الجميع العيوب والأمراض، فيسرعون إلى علاجها والخلاص من مضاعفاتها^(١).

لقد سن لنا تاريخ الفكر الإسلامي، منذ الصدر الأول، سنة حسنة، عصر أهتدى فيها بمنهج الإسلامية الجامعة، وذلك عندما علمنا أنه لا اجتهاد في الأصول والمبادئ والقواعد التي بني عليها الإسلام، اللهم إلا الاجتهاد في الفهم والتعقيد وإلحاق الفروع بالأصول. فهذه هي مساحة وإطار وحدة الأمة، التي يمتنع فيها الاختلاف، ومن ثم فتمنع التعددية.. أما في الفروع التي تقام ابنتها على هذه القواعد، فهنا يصح، بل ويجب الاجتهاد. فإن هذه السنة الإسلامية هي بعينها الإعلان الإسلامي عن شرعية ومشروعية التعددية الإسلامية في هذه المساحات من الفكر وتطبيقاته، وفي الأدوات الالزمة لذلك، ومنها التنظيمات^(٢).

تلك هي سنة الإسلام التي شرعت وقنت لمبدأ التعددية في الفكر الإسلامي وفي الممارسات الإسلامية منذ صدر الإسلام، والتي بناه عليها، وتطبّقاً لمنهجها كانت تيارات الاجتهادات الإسلامي مصدرًا للثراء الفكر الإسلامي على عهد الازدهار الحضاري الذي سبق عصر التراجع والجمود. وغيبة هذه السنة الإسلامية الحسنة، والمتميزة، عن وعي أغلب الحركات الإسلامية المعاصرة، هي في تقديرني المصدر الأول في هذا الخلل» الذي جعلها و يجعلها تتخذ من التعددية ذلك الموقف المتراوح ما بين التحرّم والعداء والرفض والارتياب والنفور. وإذا كانت الرؤية الصحيحة والواعية -نسبياً- لهذه القضية، قد عصمت بعضًا من الحركات الإسلامية المعاصرة من هذا العداء للتعددية -كما هو الحال في السودان وتونس مثلاً - فإن الإخوان المسلمين، بمصر تجربة في «التعايش» مع «الجمعية الشرعية»، وهي وإن لم تتبّع من الإيمان بالتعددية على النحو الذي نتحدث عنه، إلا أنها تستحق الدراسة، كنموذج لأفق يرى اتساع العمل الإسلامي لتعددية في الحركات التي تركز كل منها على ميدان لا يكون موطن التركيز لدى الأخرى. إنها نماذج إيجابية، لكنها تظل جزئية، كما تظل

١. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، المرجع السابق، ص ٩.

٢. انظر: عمارة، محمد. في التأثير الإسلامي، المرجع السابق، ص ١٠.

الاستثناء الذي يؤكد سيادة قاعدة «الخلل» الذي أصاب ويصيب موقف الحركات الإسلامية المعاصرة في هذا المقام، مقام «التعددية» في الرؤى وفي التنظيم .. وحظه من الإسلامية، ومن الضرورة في واقع العصر الذي نعيش فيه ^(١).

المبحث الثاني: الخلل في علاقة الذات بالآخر

لو أن الواقع في ديار الإسلام قد ظل إسلامياً خالصاً، يسود فيه منهج النبوة، على النحو الذي حدث في الصدر الأول للإسلام، لما دعت الدواعي إلى قيام الحركات الإسلامية، لكن هذا التمني هو مما تأباه سُنن الله في تطور المجتمعات، كل المجتمعات. وفي حال الواقع الإسلامي، فالفتحات الجديدة قد ادخلت إلى الأمة والدولة والفكر «آخر» شاب نقاء المنبع الإسلامي بشوائب منها ما كان نافعاً ومنها ما كان ضاراً فأصاب التصورات الإسلامية الواقع الإسلامي بتشوهات أو غيش تفاوت إثاره في الخطر والتأثير.

ولقد تزامل مع هذا الوافد الذي أتت به الفتوحات ومواريث أمم البلاد المفتوحة، ثمرات القرون التي تتوالى، والتي تأتي في صورة بدع ومستحدثات نظراً على العقائد والشائع، إن بالزيادة أو الانتقاد أو التحريف والتشويه. فلما جاء الحين الذي تراكمت فيه هذه الآثار - وغيرها - فدخلت بعصر الازدهار للحضارة الإسلامية منعطف التراجع والجمود والفقر في الإبداع تصادف إن كانت السيادة على «الدولة» في ذلك المنعطف للعسكر الترك المماليك، فساء في حضارتنا لعدة قرون ما تواجهه الحركات الإسلامية الحديثة والمعاصرة من تحدي: «التخلف الموروث». ثم حدث أن عاجلت الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة بواكير يقظة الاجتهد الإسلامي التي نهضت لتخلص الأزمة ^(٢). هذا التخلف من الموروث».. عاجلت الغزوة الاستعمارية بواكير يقظة الاجتهد الإسلامي فأجهضتها، ثم أضافت إلى شوائب التخلف الموروث» شوائب «التغريب»، التي رعتها سلطات الاحتلال ومؤسساته الفكرية والعلمية والإعلامية. فأضيف إلى تحدي التخلف الموروث تحدي الاستلاب الحضاري الذي يمسخ وينسخ ويشوه الهوية الإسلامية لفكر الأمة ولواقعها.

١. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، المرجع السابق، ص ١١.

٢. انظر: عمارة، محمد. في التأثير الإسلامي، المرجع السابق، ص ١٢.

فكانت «البلوى» التي استنفرت حدتها، عندما أوشكت على العموم، ضمير الأمة وعقلها، ووجданها، فردت عليها ذلك الرد الإيجابي الذي تمثل في الحركات الإسلامية التي عرفتها ديار الإسلام منذ جمال الدين الأفغاني و(العروة الوثقى) وحتى الحركات التي نعنىها بالحديث في هذه الصفحات. إذن .. فالحركات الإسلامية المعاصرة لا تنفرد وحدها بالعيش والحركة في واقع ديار الإسلام. وإنما معها «آخر» يزاحمها في الفكر والواقع الذي تعيش فيه. وهنا نلمح خللا في علاقة هذه الحركات الإسلامية بهذا «الآخر» ^(١). وعلى سبيل المثال: فإن هيمنة النموذج الحضاري الغربي على مؤسسات الفكر والتعليم والإعلام في بلاد الإسلام قد صنع من أبناء هذه الأمة تيارا متغربا، يتبنى مذاهب الغرب الوضعية، ويدعو إلى علمانيتها.. وهذا «الآخر» - العلماني ليس كل من فيه عميلا يسعى إلى إلحاد ديار الإسلام بالمركز الغربي ويعادي نهضة الأمة وقوتها واستقلالها .. إلى جانب قلة . من العملاء وإلى جانب قلة من العلمانيين الثوريين، الذين تطمح علمانيتهم إلى نقض الدين والتدين، وليس فقط إلى فصل الدين عن الدولة- والخلاف مع هؤلاء هو خلاف في الأصول وليس خلافا في الفروع، إلى جانب هذه القلة من «العملاء ومن الزنادقة وأعداء الدين والتدين هناك - يصفوف الآخر العلماني - كثرة سلكت سبيل التغرب والعلمانية لأسباب كثيرة، منها طبيعة النشأة والتكون الفكري. ومنها رجحان كفة الخيار الغربي عندما قارنوه بصورة «الخيار الإسلامي» على النحو الذي كان سائدا في عصر التراجع والجمود - ولقد حسبوه هو الإسلام، وظنوا أنه الخيار الإسلامي الوحيد ومنها ذلك الاجتهدان الخاطئ الذي اعتقاد أصحابه أن استعارة النموذج الغربي، هو السلاح لمواجهة الغرب، ولاستخلاص الوطن والأمة من استعماره. وهذا القطاع من العلمانيين المسلمين هو الذي نقول إن علاقة الحركات الإسلامية المعاصرة به يسودها خلل كبير وأكيد ^(٢) إن الأغلبية الساحقة من الحركات الإسلامية قد أسقطت هذا القطاع من العلمانيين من حساب الإمكانيات التي عليها أن تتعامل معها وأن تجذبها إلى صفوفها أو على الأقل الانتقال بهم من صفوف الأعداء» إلى

١. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، المرجع السابق، ص ١٣ .

٢. عمارة، محمد. في التنوير الإسلامي، المرجع السابق، ص ٤ .

صفوف الأصدقاء - المتفهمين أو المحايدين! لقد وقفت أغلب الحركات الإسلامية من هؤلاء العلمانيين القابضين على أغلب وسائل التأثير والتوجيه في الواقع الإسلامي - موقف الجهل بداعفهم إلى العلمانية، والتجاهل للإضافات الهامة التي يمكن أن يضيفوها إلى المشروع الإسلامي أنهم فهموا حقيقته، فكان الانصراف عن الجهد المطلوب لاكتشاف نقاط الاتفاق، وتنميتها محاصرة وتقليلها لنقاط الخلاف مع هذا الآخر - العلماني»^(١). كذلك يسود هذا الخلل في علاقة الذات - الفكرية لدى الحركات الإسلامية بـالذات الفكرية لـالآخرين. فعلاقة الأغلبية الساحقة من الحركات الإسلامية بنظرية الآخرين ومناهجهم في البحث والتفكير، يسودها خلل الجهل أو التجاهل، أو هما معاً. الأمر الذي يقف بهذه الحركات عند إطار وحدود النقيض» و رد الفعل للحركات العلمانية ونظرياتها ومناهجها على نحو يتسم بالعموم والإطلاق، تجاهل ما يعلمون، وتعلم ما يجهلون، الأمر الذي يكرس ويفيد هذا الانقسام الذي فرض على عقل الأمة وطاقاتها، والذي يجعل بأسها شديداً بين أبنائها، كما يهدد طاقاتها بالتبذل عندما يقف الفريقان عند وضع شد الجبل هذا، دون غالب أو مغلوب؟!^(٢).

والأمر الذي لا شك فيه هو وجوب خروج الحركات الإسلامية من وضع رد الفعل للحركات العلمانية إلى وضع «البديل»، الذي لا يقنع بالجهل والتجاهل لما لدى الآخر، وإنما يسعى جاهداً لامتلاك «الوعي» بما لدى الآخر، سواء منه ما يدخل في إطار النافع» الذي يستلهم، أو «الضار» الذي يُعين الإدراك له على فعالية التحصن من الواقع في حيائله، وعلى جدواه النقد له، ولنقده من آثاره الآخرين. كذلك تشهد علاقة الحركات الإسلامية بالآخر، الخارج عن عضوية تنظيماتها خللاً متفاوتاً الدرجات لدى هذه الحركات. فمنها المغالٰي الذي يرى في جماعته كل جماعة المسلمين ومنها المعتدل الذي يرى جماعته جماعة من المسلمين، لكنه ينظر بالتجاهل أو الإهمال إلى كل من هو خارج دائرة التنظيم.

١. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، المرجع السابق، ص ١٥.

٢. عمارة، محمد، ... آخرون، (مظاهر الخلل في الحركات الإسلامية المعاصر)، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي، المرجع السابق، ص ٣٣٦.

المبحث الثالث: الخلل في العلاقة بين المحلية القطرية والعالمية الإسلامية

إن الكثير من التصورات الفكرية لدى الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة قد خللت بين وحدة الإسلام الدين، كوضع إلهي في العقيدة والشريعة، لم ولن يعرف التعددية في الأصول والقواعد والمبادئ والأركان. خللت بين هذا الإسلام الواحد ، وبين تصورات الفكر الإسلامي، التي من الممكن، بل ومن الواجب الطبيعي أن تعدد المكونات والمنظلات التي تسهم -مع الإسلام الواحد- في صياغتها وتحديد معالمها.

فإلى جانب وحدة الإسلام، التي تثمر وحدة الفكر الإسلامي في العقيدة وفي الشريعة هناك الفكر الإسلامي الذي يدخل الواقع الإسلامي عاملًا من عوامل إفرازه وتحديد معالمه، وهو الفكر الذي تتميز تصوراته بتميز الواقع في ديار الإسلام، عبر الزمان والمكان. لكن الخلل الذي أصاب ويسرب تصورات كثير من الحركات الإسلامية للعلاقة بين هذين المستويين من مستويات النسق الفكري الإسلامي، قد جعلت وتجعل الكثير من هذه الحركات في الفكر» ت نحو نحو «تجريد نظري، يتصور _تبعًا لوحدة دين الإسلام_ عالم الإسلام وواقع دياره نسقا واحدا منسقا لا يعرف الفوارق في مستويات التطور ولا اختلاف في الأعراف والعادات والمذاهب والتصورات. أما في الممارسة والتطبيق فإن هذه الحركات تستغرق- إلى حد الغرق- في «المحلية»، التي تجعلها منكفة على واقعها المحلي دون سواه، حتى لتتفاوت بأغلب اهتماماتها عند خصوصيات الإقليم الضيق الذي تعيش فيه، إلى عالمنا المتشارب صورة القبائل التي لا ترى أبعد من عالم مضارب الخيام التي تعيش فيها؟! (١)

وإذا كانت الحركات الإسلامية -وهي كذلك- «طلائع أمة»، وليس طلائع طبقة، وإذا كانت هذه الأمة تعيش في وطن يمتد من «غانه» إلى فرغانه»، مشتملا على تميزات في الواقع والمواريث ومستويات التطور والمصالح والاهتمامات والطموحات والمشكلات والأعراف والعادات وطرائق العيش وأسبابه، بل والمناخات.. إلخ. فمن الطبيعي أن تكون هناك أهمية لعلاقة تبرأ من الخلل، وتقييم بين ما هو (واحد) وما هو متعدد في النسق الفكري

١. عمارة، محمد. في التنوير الإسلامي، المرجع السابق، ص ١٧.

لإسلام والمسلمين. وبذلك تتزامن «المحلية» والعالمية - الملية - الإسلامية، دونما خلل أو إهمال لأي منهما لحساب الآخر أو على حسابه، كما هو حادث الآن عند الكثير من هذه الحركات^(١).

المبحث الرابع: الخلل في علاقة التاريخ بالعصر وعلاقة الموروث بالإبداع

كثير من الحركات الإسلامية المعاصرة تسيطر على نظرتها إلى التطور التاريخي فكرة التراجع التاريخي، ونظرة التدني والهبوط الخط بيـان التطور والتقدم عبر هذا التاريخ. وبعض الباحثين يقف في تعليـل هذه النـظرـةـ الخـاطـئـةـ إلىـ خـطـ سـيرـ التـقـدـمـ التـارـيـخـ لـدىـ هـذـهـ الحـرـكـاتـ عـنـ التـفـسـيرـ الذـيـ تـقـدـمـهـ هـذـهـ الحـرـكـاتـ لـلـحـدـيـثـ النـبـوـيـ الشـرـيفـ الذـيـ قـالـ فـيـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: "خـيـرـكـمـ قـرـنـيـ، ثـمـ الـذـيـنـ يـلـوـنـهـمـ، ثـمـ الـذـيـنـ يـلـوـنـهـمـ" (٢). ورغم صدق هذا التعليـلـ، إلاـ أنـ هـذـاـ السـبـبـ لـيـسـ الـوـحـيدـ فـيـ تـكـوـيـنـ نـظـرـةـ هـذـهـ الحـرـكـاتـ التـيـ تـؤـمـنـ بـتـرـاجـعـ التـقـدـمـ والـخـيـرـيـةـ عـبـرـ التـارـيـخـ وـبـمـرـورـ قـرـونـهـ. فـمـعـ خـطـأـ هـذـهـ الحـرـكـاتـ فـيـ تـفـسـيرـ مـعـنـىـ هـذـاـ الحـدـيـثـ الشـرـيفـ، تـقـفـ وـتـزـامـلـ أـسـبـابـ أـخـرىـ مـنـهـاـ مـقـارـنـةـ التـيـ تـجـرـيـهـاـ هـذـهـ الحـرـكـاتـ بـيـنـ حـالـةـ وـبـيـنـ حـالـهـاـ فـيـ عـصـرـ صـدـرـ إـلـاسـلامـ، وـهـيـ مـقـارـنـةـ تـوـهـمـ بـصـدـقـ هـذـهـ الـأـمـةـ وـنـظـرـةـ التـيـ تـؤـمـنـ بـتـرـاجـعـ الـخـيـرـيـةـ وـالـتـقـدـمـ بـمـرـورـ الـزـمـنـ وـتـقـادـمـ التـارـيـخـ. وـفـيـ اـعـقـادـيـ أـنـ مـرـاجـعـهـ هـذـهـ النـظـرـةـ، لـكـشـفـ الـأـخـطـاءـ الـقـائـمـةـ فـيـ أـسـبـابـهـاـ وـمـنـطـلـقـاتـهـاـ، هـوـ الـكـفـيلـ بـتـصـحـيـحـ الـخـلـلـ السـائـدـ فـيـ فـكـرـ الـكـثـيرـ مـنـ حـرـكـاتـ إـلـاسـلامـيـةـ، التـيـ تـعـيـشـ فـيـ الـمـاضـيـ دـوـنـ الـحـاضـرـ، أـوـ أـكـثـرـ مـنـهـ، وـالـتـيـ تـسـتـفـتـيـ «ـالـأـمـوـاتـ»ـ فـيـ كـلـ شـئـوـنـ الـأـحـيـاءـ مـهـمـلـةـ التـمـيـزـ فـيـ الـقـضـاـيـاـ الـفـكـرـيـةـ بـيـنـ «ـالـثـوـابـ وـبـيـنـ الـمـتـغـيـرـاتـ»ـ، وـالـتـيـ تـقـدـسـ (ـالـمـورـوثـ عـلـىـ النـحـوـ الذـيـ يـقـلـلـ إـلـىـ حدـ الإـزـدـرـاءـ، مـنـ شـأـنـ إـلـاـبـاعـ)ـ بـلـ وـالـذـيـ يـخـلـطـ بـيـنـ الـبـدـعـةـ فـيـ الـدـيـنـ، وـبـيـنـ إـلـاـبـاعـ فـيـ الـحـضـارـةـ، فـيـرـفـضـهـمـ مـعـاـ!ـ إـنـ هـذـهـ الـمـرـاجـعـ ضـرـورـيـةـ لـتـصـحـيـحـ هـذـهـ الـخـلـلـ الـمـلـحـوظـ وـالـسـائـدـ لـدـىـ قـطـاعـاتـ كـبـيرـةـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ هـذـهـ

١. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، المرجع السابق، ص ١٨.

٢. البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه، أجزاء، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، بيـرـوـتـ، دار طـوـقـ النـجـاـةـ، ٤٢١ـهـ، روـاهـ عـنـ عمرـانـ بنـ حـصـينـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ، كتاب: الشـهـادـاتـ، بـابـ: لـاـ يـشـهـدـ عـلـىـ شـهـادـةـ جـوـرـ إـذـ أـشـهـدـ، رقمـ الـحـدـيـثـ (٢٥٠٨)ـ جـ ٢ـ، صـ ٩٣٨ـ.

الحركات. فبالنسبة لتدني المستوى الحضاري للأمة الإسلامية اليوم عن نظيرة في عصر ازدهارها الحضاري وهو أمر غير منكور – فإنه تدني قد نبع وارتبط بتحول شروط النهضة والازدهار الحضاري، أي أنه عارض يزول بزوال أسباب التخلف، وليس قدرًا تاريخيا ولا حتمية) من حتميات توالي القرون. أما عن الحديث النبوى الذى يقطع بأن خير أجيال الأمة هو جيل الرسول، عليه الصلاة والسلام.. فهذه الحقيقة التى تحدث عنها هذا الحديث، تحتاج إلى عرض وإلى تفسير، قد يفضيان بنا إلى فهم آخر غير الذى فهمته منه هذه الحركات المؤمنة بترابع الخيرية والتقدم بمرور التاريخ. وفي اعتقادى أن هذا الحديث النبوى يستأثر بالخيرية «المطلقة» لجيل الرسول، عليه الصلاة والسلام. وإنما هو يتحدث عن خيرية التأسيس لقواعد النموذج الإسلامي».. وهي خيرية للثوابت والقواعد، لا تنفي خيرية الفروع والأبنية التي يقيمها الخلف على هذه القواعد والأسس، مع بقاء خيرية الأسس متميزة، باعتبارها هي التي تمنع الفروع والأبنية التي يقيمها الخلف على هذه القواعد والأسس، مع بقاء خيرية الأسس متميزة، باعتبارها هي التي تمنع الفروع والمستجدات الروح والصبغة التي ميزت الأسس، فكأنما خيرية الجديد – وهي غير منفية – مستمدة من خيرية الأساس. ويشهد لهذا التفسير الذي تقدمه لهذا الحديث النبوى، ما نراه من شهادات أخرى تركيه وتدعمه، عندما تقول إن النظرة التقدمية» لخط سير التقدم عبر التاريخ – وليس النظرة التراجعية» – هي المعبرة عن حقيقة موقف الإسلام في هذا المقام^(١).

فنظرة الإسلام إلى خط سير التطور الإنساني، منذ آدم إلى محمد – وعبر رسالات الرسل ونبوات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام، تؤكد النظرة المتقدمة والمتصاعدة لخط سير الخيرية والتقدم عبر التاريخ، فالإنسانية قد بلغت برسالة محمد سن الرشد، بعد أن كانت خرافا ضالة في فترات سبقت ذلك التاريخ وموقف الإسلام المتميز من أدلة «العقل» و«الكون» شاهد على هذا الارتقاء الإنساني بمرور التاريخ، بل إن ختم الرسالات السماوية برسالة المصطفى والاعتماد في التجديد الديني وتطوير القانون الإسلامي على الاجتهاد

١. عمارة، محمد. في التأثير الإسلامي، المرجع السابق، ص ٢٢.

الإنساني هو أصدق الأدلة على أن هذه النظرة هي النظرة الإسلامية الحقة في هذا الموضوع. ثم إن الأبنية الحضارية التي تزهو به أمة الإسلام، وإن قامت على الأسس التي شهدتها عصر البعثة إلا أنها قد جاء تالية لجيل الرسول على الصلاة والسلام .. فعلوم الدين والدنيا، التي مثلت جماع إبداع الإنسان المسلم، متأثراً بالوحي ومسترشداً بمنهج النبوة، قد تبلورت جميعها بعد عصر صدر الإسلام. وكذلك الحال في الفتوحات الإسلامية التي نهض بها المسلمون. ومع تحقيق وتجسيد عالمية الإسلام ودعوته بنشر الإسلام في مشارف الأرض وغارتها. كل ذلك خير وخيرية ارتباطاً بتقدم و بتواли قرون التاريخ، وأيضاً أليس رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائل -أيضاً- في معرض الحديث عن تلقي فكرة النبوة: "رب مبلغ أوعى من سامع" ^(١) وهو حديث لا يحصر الخيرية في الصحابة والشهداء.

وأخيراً، فمن الحركات الإسلامية ينكر أن حال الصحوة الإسلامية اليوم خير منه في عقد الخمسينيات من هذا القرن العشرين؟.. وأن وضعها منذ ثلاثينيات هذا القرن هو خير منه يوم عموم بلوى الاحتواء الاستعماري وسيادة العلمانية والتغريب حتى لدى الأحزاب التي تقدمت لمقاومة الاستعمار في الحقبة التي شهدت زوال رمز الخلافة سنة ١٩٢٤م؟!. إذن، فالخيرية التي تحدث عنها الحديث النبوي هي خيرية الجيل المؤسس، خيرية القواعد والأسس والسوابق الدستورية، وفضلها لا ينكر حتى على الجديد الذي يرفعه الخلف فوق ما صنع الجيل المؤسس من قواعد وأركان. كما أن خيرية الجديد بل، وتعاظمها لا تناقض بينها وبين خيرية الأساس والمؤسسين، وإن من الذي ينكر علو مقام الخير فيهما أنجز عمر بن عبد العزيز من العدل الاجتماعي -وهو قد أنجزه بعد أن ساد الظلم والجور وعمت الأثرة- علو مقام الخير في هذا الإنجاز على نظيره في عهد الراشد الثاني العادل عمر بن الخطاب والذي كان عدله إستمرار لعدل النبي والصديق، وفي مناخ مواتي، يعين عليه الصحابة الأبرار؟!. إن التعارض غير قائم. وكل خير يقدر بقدرها، بصرف النظر عن الظرف التاريخي الذي أنجز فيه.

١. المرجع السابق نفسه، رواه بلفظ: "إِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يَلْعَنَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ" عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه رضي الله عنهما، كتاب: العلم، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (رب مبلغ أوعى من سامع)، رقم الحديث ٦٧ (١)، ص ٣٧.

ومن ثم فإن جهداً فكرياً يجب أن يبذل من قبل الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة لتصحيح هذا الخلل السائد في نظرتها إلى علاقة خط بيان التقدم بمرور الزمن وتوالي قرون التاريخ، وهو الخلل الذي جعلها و يجعلها تعيش في الماضي، مدمرة ظهرها، في أحيان كثيرة، للعصر، وتحكم الأموات في الأحياء، وتميل بالكفة لحساب الموروث على حساب الإبداع.

المبحث الخامس: الخلل في علاقة الحركة بالفكر

الحركات الإسلامية المعاصرة هي في جملتها، إنها تمثل فصائل الصورة المعاصرة للحركة وتيار دعوة الإحياء واليقظة والتجديد، التي عرفها الشرق الإسلامي منذ دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ^(١) والتي خطت خطوات نوعية في الوعي والتأثير والعموم والعقلانية) منذ تيار الجامعة الإسلامية الذي قاده الرائد جمال الدين الأفغاني ^(٢) ولذلك ، فلقد تراوحت وتفاوتت مواقف هذه الحركات من الفكر المجدد والعقلانية المجتهدة، فمال بعضها إلى نصوصية الوهابية، وزادت لدى بعضها جرعة العقلانية على نحو مما كان عليه الأمر في تيار جمال الدين ولقد لعبت البيئة، حضراً أو بادية والموروث المذهبية، طبيعة التحديات بعملها في تحديد موقع الحركة من النصوصية ومن العقلانية إلى حد كبير ^(٣). لكننا نلحظ - ضمن مظاهر الخلل الذي تعاني منه أغلب هذه الحركات المعاصرة- تزايد جمود النصوصيين، وتدني جرعة العقلانية لدى العقلانيين، وخاصة في العقود الأخيرة من هذا القرن العشرين. وفي اعتقادي أن عوامل عديدة تقف أمام ميل ظاهر الفكر-العقلاني إلى الذبول في هذه الحركات بوجه عام، فالعقلانية قد تألفت في حركة الإحياء الإسلامي يوم أن كانت حركة

١. محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ = ١٧٩٢ - ١٧٠٣ م): زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب. وله مصنفات أكثراها رسائل مطبوعة، منها (كتاب التوحيد) ورسالة (كشف الشبهات) و(تفسير الفاتحة) و (أصول الإيمان) و. انظر: الأعلام للزرکلي ج ٦/٢٥٧ ص.

٢. محمد بن صدر الحسيني، جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ - ١٨٩٧ م): فيلسوف الإسلام في عصره، وأحد الرجال الأفذاذ الذين قاموا على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة. ولد في أسد آباد بأفغانستان ونشأ بكمابل. وتلقى العلوم العقلية والنقلية، سافر إلى كثير من البلاد، كان عارفاً بكثير من اللغات، واسع الاطلاع على العلوم القديمة والحديثة، كريم الأخلاق كبير العقل، له من الكتب: تاريخ الأفغان، ورسالة الرد على الدهريين. انظر: الأعلام للزرکلي ج ٦/١٦٨ ص.

٣. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، المرجع السابق، ص ٢٤.

صفوة ونخبة على عهد جمال الدين الأفغاني. فلما استدعت ضرورات مواجهة التغريب والعلمانية والاستلاب الحضاري استنفار الجماهير وال العامة لتنخرط في موكب الداعين إلى شمول الإسلام للدولة والواقع وسائر مناحي الحياة، وذلك منذ مرحلة الشيخ حسن البنا^(١) وجماعة الإخوان المسلمين، هبطت هذه العقلانية في هذه الحركة للتناسب مع مستوى العامة والجماهير كذلك، كان في اشتداد خطر التغريب والاستلاب الحضاري، وفي تبني الأحزاب القومية للنموذج الحضاري الغربي تعاظماً للخطر على الهوية الإسلامية استدعي من هذه الحركات الإسلامية أن تقدم سبل وسائل الجمع والتأليف، على أسباب الجدل والافتراق فكان الحلول الوسط، والصياغات الفضفاضة، التي يتتجنب أصحابها، عادة التفكير العقلاني الذي يثير، بجرأته الكثير من المشكلات كما كان لزيادة التفسخ الاجتماعي والأخلاقي والتشوه المعرفي، والتي حدثت بفعل هيمنة النموذج الغربي على قطاعات واسعة من مصادر ومراكز التوجيه الفكري والثقافي والتعليمي والإعلامي، كان لزيادة هذا التفسخ دور الفعل الذي جعل بعض هذه الحركات الإسلامية تنفر من كل ما له شبه أو صلة بالحضارة الغربية – والتي تعلى من مقام العقل إلى حد المغالاة – فلم تميز هذه الحركات بين العقلانية الإسلامية، التي وعت «النقل» بالعقل، كما حكمت العقل بالنقل في المواطن والعالم التي لا تستقل بإدراكها العقول، لم تميز بين هذه العقلانية الإسلامية وبين عقلانية الغرب، المتحررة من ضوابط النقل الديني، منذ جاهليتها اليونانية وحتى نهضتها الأوروبية في العصر الحديث. فكان أن نفرت، إلى حد كبير، من العقل والعقلانية بإطلاق وتعيم^(٢).

ولقد انعكس هذا الموقف من العقل والعقلانية والذي تراوح بين الإهمال أو النفور أو العداء أو التحجيم انعكس في صور كثيرة، يهمنا أن نشير هنا إلى انعكاسها في صورة تقلص مساحة الفكر، إذا ما قيس بالحركة والنشاط العملي وصغر حجم الجهد المبذول في

١. الشيخ حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م): مؤسس جمعية (الإخوان المسلمين) بمصر، وصاحب دعوتهم، ومنضم جماعتهم. وكان خطيباً فياضاً، ينحو منحى الوعظ والإرشاد، في خطبه، وتدور آيات القرآن الكريم على لسانه، منظماً، يعمل في هدوء وينبئ في اطمئنان. له مذكرات نشرت بعد وفاته باسم (مذكرات الدعوة والداعية). انظر: الأعلام للزركلي ج ٢/١٨٤ ص.

٢. عمارة، محمد. في التنوير الإسلامي، المرجع السابق، ص ٢٦.

الاجتهد والتجدد إذا مقياس بحجم الجهد المبذول في المواقع ذات الأساليب الشعرية والخطابية. وتوارى مؤسسات الفكر وأعلامه، من كثير من هذه الحركات، لحساب الدعاة والحركتين. بل وضيق الكثير من الأوعية التنظيمية للكثير من هذه الحركات بجرأة الفكر وربادات المفكرين المجددين، حتى لقد رأينا، في العقود الأخيرة، أن كوكبة من المفكريّة المجددين المجتهدين لم يستطعوا أن ثبتت أقدامهم في هذا الميدان فيثبتوا وجودهم فيه إلا بعد أن تخلصوا من قيود رقابة الأوعية التنظيمية لهذه الحركات؟! وقد زاد من وضوح هذا الخلل، وضاعف من تأثيراته عجز الكثير من هذه الحركات، حتى الآن، عن إقامة العلاقة والخيوط التي تصنع وتقنن للتمايز بين مؤسسات الفكر وأعلامه وبين تنظيمات الحركة وجهودها، على النحو الذي يتاح لأهل الفكر المناخ المهيء لجرأة التجدد والإبداع، كما يتاح لأهل الحركة إمكانات الاستفادة الكاملة من ثمرات هذا التجدد والإبداع. نعم لقد وزنت بعض الحركات الإسلامية بين الحركة وبين الفكر فبرأت من هذا الخلل. لكنني أخشى أن يكون سبب نجاحها هذا هو تصادف أن زمام قيادتها قد كان بيد مفكر مبدع ومجدد، أكثر من أن يكون السبب هو الاهتداء إلى القواعد المنظمة للعلاقة الصحية بين الحركة وأهلها وبين الفكر وصناعه! لذلك أراه خلاً قائمًا يستدعي بذل الجهد لعلاجه ولاقتلاع الآثار القاتلة التي يفرخها بقاوئه في هذه الحركات^(١).

المبحث السادس: الخلل في علاقة التربية الروحية بالتربية السياسية

لأن هذه الحركات الإسلامية المعاصرة تؤمن بشمولية الإسلام لكل مناحي حياة الإنسان في البدء والمسيرة والمصير. ولأنها تدرك أن النهضة التي تتغایرها إنها تحتاج إلى إعادة صياغة هذا الإنسان صياغة إسلامية تنقذه من التشوه المعرفي والسلوكي اللذين أصاباه تحت هيمنة التغريب. كانت تلك السنة الحسنة التي استنثتها هذه الحركات عندما اهتمت بالتربية الروحية لهذا الإنسان. فهذه التربية الروحية تصاغ الكتاب المعدة للإعداد المناسب لما أمام أصحابها من معارك ومشكلات وتحديات.

١. عمارة، محمد، ... وآخرون، (ظواهر الخلل في الحركات الإسلامية المعاصر)، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي، المرجع السابق، ص ٣٤٣.

يقول الدكتور: "لكتني أعتقد أن قصوراً وتصصيراً قد حدثا في «التربية السياسية» لأغلب كوادر هذه الحركات، إما بدعوى تأجيل ذلك لحين الحاجة إليه يوم أن تكون الدولة والسلطة قاب قوسين أو أدنى من قبضة هذه الحركات وإما بسبب فقر هذه الحركات في الفكر وقلة بضاعتها من صناعته وصناعة. وإما لانغلاق هذه الحركات عن الفكر السياسي ونظرياته وخبراته لدى العلمانية والعلمانيين وهو مزدهر وغنى في هذا الميدان وإما لهذه الأسباب مجتمعة مع غيرها مما قد يكون أقل أهمية منها"^(١). لكن ثمرة هذا الخلل في علاقة التربية الروحية بال التربية السياسية قد ظهرت للعيان، فقعدت بكثير من كوادر هذه الحركات عن بلوغ مؤهلات وإمكانات البراعة في السياسة و Miyadinya. وإذا كان طراز السياسة والسياسة المجردين من قيم الدين وضوابطه الأخلاقية، هو مما لا يرضاه الإسلام، ولا يصح أن يوجد في الحركات الإسلامية. فإن صورة التدين الذي يفقد صاحبه الكياسة والمهارة والصدق والدهاء، هي الصورة غريبة عن التدين المطلوب لـ كوادر الحركات الإسلامية. فالتدين الذي لا تصاحبه تربية سياسة وصدق النظرياتها ومعرفة بتياراتها ودروبها وفنونها، قد يثير غفلة، إن ناسبت بعض طيبي القلب فإنها لا تناسب الذين يتحملون مسؤوليات مصائر الأمم في هذه الميادين وقد يبدأ حبذا كل تيارات الفكر السنوية إمامية وخلافة المفضول دينياً إذا كان أفضل في حذق شئون الدنيا وأبرع في الإمكhanات التي تعينه على أداء رسالة الخلافة والإمامية، وأقدر على مواجهة ما يفرضه عصره على أمته من تحديات. إن رهبان الليل في الحركات الإسلامية، لا بد وأن يكونوا بحق فرسان النهار، وأن يكونوا الساسة المهرة أيضاً!^(٢). وإذا كان طراز السياسة الميكافيلية - كما عرفته وارتضته الحضارة الغربية - طراز السياسة هي فن الممكن من الواقع، بصرف النظر عن الصلاح الديني والأخلاقيات الدينية - إذا كان هذا الطراز مرفوضاً إسلامياً. فإن تعريف الإمام ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ١٢٩٢ هـ ٧٥١ - ١٣٥٠ م) للسياسة الإسلامية باعتبارها الأعمال التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن

١. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٨ م، ص ٧٤.

٢. المرجع السابق نفسه، ص ٣٤٥.

الفساد ^(١) هو تعريف يتطلب في الساسة أن يجمعوا إلى فقه الواقع، والدرية على فنون القيادة، والخبرة بالتعامل مع التطورات والفرقاء الآخرين، أن يجمعوا إلى ذلك – بالتربيّة الروحية – أخلاقيات الإسلام.

والذين يدرّسون حركة الإحياء الإسلامي، كما تمثّلت في مدرسة الجامعة الإسلامية» وجمعية العروة الوثقى، يرون كيف تخلّق أعلامها بخلق الإسلام، حتى لقد استعاناً بلون من أساليب الصوفية وقدر من مجاهداتهم في تهذيب النّفوس .. والذّي يتّأمّلون الفكر السياسي في مقالات جريدة «العروة الوثقى»، التي عبرت عن فكر هذا التّيار يرون ذلك المستوى الرّاقي والعميق والّحصيف في فهم السياسة والدرية بمسالكها ومنعرجاتها ودروبها، محلية كانت تلك السياسة أمّ دولية، في تلك الحقبة التي تعقدت فيها شؤون تلك السياسة بتزايد مطامع المد الاستعماري الغربي وتعدد أطّرافه، وتنامي التّناقضات والمصادمات والمؤامرات بين هذه الأطّراف. إنه نموذج يستحق الدراسة من الحركات الإسلامية المعاصرة، لترى وتحدد السّبيل الكافلة لصناعة رجل السياسة المسلم، ذلك الذي لا يكون التّدين لديه مساوً أو مفضّياً الطيبة الغفلة .. ولا تكون السياسة لديه ميكافيلية مجردة من أخلاقيات الإسلام .. وحتى تتجاوز ذلك الانقسام البائس والشاذ الذي أشار إليه أبو العلاء المعرّي عندما قال: الناس صنفان: ذو عقل بلا دين، وآخر: دين لا عقل له؟!^(٢).

المبحث السابع: الخلل في علاقة الطاعة بالحرية

إن الكثيّر من الحركات الإسلامية المعاصرة قد بالغت في ترويّض أعضائها على طاعة القيادات، أكثر مما درّبّتهم على محاسبة ونقد وتقويم هذه القيادات. وليس يكفي أن يقال إنها طاعة في غير معصية، ذلك أن الخلل في علاقة «الطاعة» بـ«الحرية»، على النحو الذي لا ينمّي في الأعضاء ملكات النقد والفحص وشجاعة الاعتراض عند توفر دواعيه. إن

١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزي، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١م، ج ٤، ص ٢٨٣.

٢. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. معجم الأدباء = إرشاد الأرّبيب إلى معرفة الأديب، ٧ أجزاء، الطبعة الأولى، المحقق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ج ١، ص ٣٣٧.

هذا النمط في تربية أعضاء هذه الحركات هو بالقطع، معصية من معاصي التربية في هذه الحركات، لأنها تتمر - ولقد أثمرت - وحدانية الرأي، رأي المرشد والأمير والإمام، بل وأثمرت العديد من ألوان التفكك والقصور والتشرذم التي أصابت العديد من هذه الحركات عندما غاب المرشد فغاب عنها الرشد، لافتقارها إلى قيادات مدربة وحكيمة وحصيفة في صفوتها التي تقف وراء المرشد والأمير والإمام - الصفوف الثانية والمتوسطة والقاعدية. إن هذا الخلل الذي أصاب ويصيب الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة هو آفة شرقية قديمة جعلت العامة تعلق كل الأمال وتضع كل الأحمال على عاتق القطب والوتد، الذي يصبح هو المفكر الأوحد والزعيم الملهم والقائد الوحيد ^(١) و ليس غير تراث الإسلام في الشورى، وتراث المدرسة النبوية في تربية الرجال وصناعة القادة منبعا إسلاميا تستلهمه الحركات الإسلامية لعلاج هذا الخلل، وللبرأ من هذا المرض الفتاك. لقد كان المعصوم صلوات الله وسلامه عليه أكثر الناس مشاورة لأصحابه وأول الناس التزاما بالشورى، بل إنه هو القائل لأبي بكر وعمر: "لَوِ اجْتَمَعْتُمَا فِي مَسْوِرَةٍ مَا حَالَفْتُكُمَا" ^(٢) وهو الذي سن لأمته سنة الشورى في كل شئون الدولة وولايتها، حتى وإن كانت قيادتها بيد المعصوم، وذلك عندما قال: «لَوْ كُنْتُ مُؤْمِنًا أَحَدًا دُونَ مَسْوِرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، لَأَمْرَأْتُ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ» (يعني عبد الله بن مسعود) ^(٣). إن تراث الإسلام وتراث مدرسة النبوة في صناعة الرجال وتدريب القادة، معين لا ينضب، وهو الكافل بمعالجة هذا الخلل القاتل والمتفسحي في الحركات الإسلامية المعاصرة ^(٤).

١. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، المرجع السابق، ص ٣١.

٢. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن أسد، مسنن الإمام أحمد بن حنبل، المرجع السابق، مسنن الشاميين، ج ٢٩، ص ٥١٨، رقم الحديث ١٧٩٩٥، وقال الشيخ شعيب أرناؤوط وآخرون: إسناد ضعيف.

٣. المرجع السابق نفسه، مسنن الخلفاء الراشدين، ج ٢، ص ١٠، رقم الحديث ٥٦٦، وقال الشيخ شعيب أرناؤوط وآخرون: حسن لغيره.

٤. عمارة، محمد، ... وآخرون، (مظاهر الخلل في الحركات الإسلامية المعاصرة)، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي، المرجع السابق، ص ٣٤٨.

أما أن تظل هذه الحركات تروض أعضاءها على الطاعة دون الحرية، بدعوى أن بيعة هؤلاء الأعضاء للمرشد والأمير والإمام إنما تقتضي ذلك، انطلاقاً من حديث الرسول، الذي يقول فيه: "من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني^(١)". أو من حديثه الذي يقول فيه: من رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً، فماته، فميته جاهلية^(٢). أما أن تظل هذه الحركات تقتل في أعضائها ملكات الحرية والنقد والإبداع والقيادة، استناداً إلى مثل هذه الأحاديث، فإنه هو الآخر، لون من الخلل في تنزيل النصوص في غير منازلها. فالاستبدال بمثل هذه الأحاديث على طاعة أمراء الحركات الإسلامية أو أمراء الدول الإسلامية هو قسر للنصوص على أن تشهد فيما لم تنشأ للشهادة عليه وفيه، فأمراء الرسول، الذين طلب منهم هذه الطاعة، كانوا هم أمراء الجناد وقادة الحرب والقتال، وغير متصور عندما يحتمد القتال ويحمي وطيسه أن تخضع أوامر أمراء القتال للشوري، والأخذ والرد وعد أصوات المطيعين والمعترضين؟! هؤلاء هم الأمراء الذين ألحت الأحاديث على طاعتهم حتى وإن رأينا منهم كجند ما نكره . وتلك هي مواطن هذه الطاعة التي وجبت لهؤلاء النساء. أما أمراء قادة الدول والتنظيمات، فإن سنة الإسلام وسنة نبيه في الشوري وتربيه القيادات هي المنبع والأسوة لمن شاء الورود والاقتداء. إن هذا الخلل الذي يغلب الطاعة على الحرية، قد غدا، في الحركات الإسلامية المعاصرة، السبل إلى فقرها الشديد في القيادات المشاركة لأمرائها ومرشداتها، والمؤهلة لملء الفراغ الناشئ عن غيبة هؤلاء النساء والمرشدات.. كما غدا السبيل الذي يدفع رافضيه والمتمردين عليه إلى الانشقاق على هذه الحركات. الأمر الذي أشاع ظاهرة الانقسام والتشذب في كثير من هذه الحركات^(٣).

١. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري البصري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ٥ أجزاء، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٥م، كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، رقم الحديث (١٨٣٥) ج ٣ ص ١٤٦٥.

٢. البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه، المرجع السابق، رواه ابن عباس رضي الله عنهما، كتاب: الفتنة، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم الحديث (٦٦٤٦) ج ٦، ص ٢٥٨٨.

٣. عمارة، محمد. في التنوير الإسلامي، المرجع السابق، ص ٣٣

الملخص: تلك بعض من أهم مظاهر الخلل في الحركات الإسلامية المعاصرة، أشار الشيخ إلى معالمها ونبه على آثارها وفاء - كما أسلفت - لفرضية النصح والتناصح التي فرضها الله سبحانه وتعالى على المؤمنين، فرضية «كفاية - اجتماعية»، تبلغ في الأهمية والتأكيد المستوى الذي يعلو على فروض العين «العين الفردية». ذلك أن تخلف فرض العين إنما يقع إثمه على ذات الفرد دون سواه، أما تخلف الفرض - الكفائي - الاجتماعي، فإن إثمه واقع على الأمة جماء وهذه الفروض الكفائية إنها تتعين على أهل الاختصاص حتى تؤدي وتؤتي ما لها من ثمرات. فإذا أسهمت هذه الصفحات في الوفاء بشيء من ذلك، وإذا أسهمت في ترشيد مستقبل الحركات الإسلامية المعاصرة، ورفعت من كفاءة أدائها، كان ذلك فضلاً نحمد الله على التوفيق فيه. لقد علمنا رسول الله، أن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ولما كان خلاص هذه الأمة من التحديات التي تمسك بخناقها - تخلفاً موروثاً كانت هذه التحديات أو استلاباً حضارياً وافداً - إن خلاصها ونهضتها معلقة آماله على رشاد الحركات الإسلامية المعاصرة، وذلك حتى لا تصاب فصائلها بإحباط جديد، كما حدث لسابقين سبقوهم على ذات الطريق. من هذا المنطلق ولهذه الغاية وبهذه الروح كانت الإشارات التي قدمتها إلى هذه المظاهر لمواطن الخلل في عدد من هذه الحركات الإسلامية المعاصرة.

الفصل الثالث: أهم المشاكل الخارجية في ساحة الدعوة

المبحث الأول: الغزو الفكري الحضاري

المطلب الأول: الغزو الفكري والإلحاد الثقافي

لقد أدرك أعداء هذا الدين السمح الكريم في وقت مبكر، بأن الهيمنة العسكرية على البلاد الإسلامية لا تكفي لأنها لا تضمن تأييد التبعية والإلحاد أبداً ما يضمن لهم هذا الهدف، فهو التغيير الناعم، أي تغيير العقول والأفكار وإعادة تشكيلها وفق إرادة الغالب أو المهيمن بنموذجه الحضاري وعطائه العلمي والمدني، وقد سلكت تلك الدوائر عدة مسالك كي يؤتى الغزو الفكري والإلحاد الثقافي ثماره المرجوة والمرغوبة لديهم، أبرزها⁽¹⁾:

١- **توجيه وسائل الإعلام:** لم يكن تأثير وسائل الإعلام ليخفى على تلك الدوائر الحريصة على إضعاف الروح المعنوية للمسلمين، لذلك عملوا على شروة أن تكون وسائل الإعلام أداة فعالة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، والإساءة إلى معتقداتنا وشعائرنا ومناسكتنا التبعية، ونشر الشبهات والأباطيل والمعgalطات حول نبي الإسلام وحقائق الوحي وتعاليم الشريعة الإسلامية، ولم يسلم من ذلك أعلام الإسلام وتاريخ المسلمين ومنجزاتهم العلمية والحضارية. ولا شك أن كل متابع لوسائل الإعلام الغربية، يلحظ تلك المواد والبرامج الموجهة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين والإساءة إلى معتقداتنا وشعائرنا وأعلامنا وتاريخنا.. وكثيراً ما يتم توظيف المسرحيات والمسلسلات والأفلام، التي تدعو إلى الفجور والانحلال، والبعد عن الحياة المستقيمة، والتهكم المباشر بأحكام الإسلام وتعاليمه. لاسيما فيما يتعلق بأحكام المرأة والعلاقة بين الجنسين، والحريات الشخصية.. إلخ... وقد عقدت شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، وكذلك الفضائيات وغيرها من وسائل الاتصال المعاصرة، هذا التوجه بشكل ملحوظ لا يخفى على أي أحد من الناس.

٢- **توجيه الدراسات الاستشرافية:** إلى جانب توجيه وسائل الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة، تحرض الدوائر والمؤسسات المعنية بإضعاف المسلمين معنواً ب بواسطة وسائل التغيير الناعم، على الإفادة من الدراسات الاستشرافية وتوجيهها هيا الأخرى، لخدمة هذا

١. عمارة، محمد، الأصولية بين الغرب والاسلام، ط١، ١٤١٨ هـ— ١٩٩٨ م، بارالشروع، ص ١٢.

الغرض، وهي تدرك أن دراسات وأبحاث المستشرقين قد تؤثر في النخبة المثقفة، التي قد يكون لها شأن وحضور في صناعة القرار داخل بلدانها وضمن محیطها الاجتماعي والأكاديمي وغيره. والاستشراق كما هو معلوم هو دراسة بعض المتخصصين الغربيين لعلوم الشرق وتاريخه وأديانه ولغاته والتقاليد السائدة في أقطاره، لاسيما أقطار العالم الإسلامي، لأغراض وأهداف متباعدة، قد يأتي في طليعتها تشویه صورة الإسلام، والتشكيك في عقائده ومبادئه وتعاليمه. ولخدمة هذا الهدف قدم المستشرقون آلاف البحوث والدراسات والأطروحات والمجموعات ونحوها من الأوعية المعرفية، وكان من أشهر أعمالهم (دائرة المعارف الإسلامية) التي صدرت في البداية بثلاث لغات واسعة الانتشار هي الانجليزية والفرنسية والألمانية، ثم ترجمت بعد ذلك إلى لغات أخرى كثيرة منها اللغة العربية، وقد اشترك في تأليفها أكثر من أربعين باحث مستشرق، وقد احتوت على أكثر من ثلاثة آلاف مادة، وهي معلومات عن الإسلام وعن شعوب الشرق وحضاراته مع العلم أنه غالب على مواد هذه الموسوعة الضخمة، الترويج للشبهات والمطاعن حول القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية، والشريعة الإسلامية، وتاريخ المسلمين وأعلامهم ومنجزاتهم في العلم والحضارة.

المطلب الثاني: أنواع الغلبة للأمم

من أنواع الغلبة التي يمكن أن تتعرض لها الأمم نوعان: أحدهما: الغلبة المادية والسياسية والآخر: الغلبة المعنوية والخلقية. أما الغلبة من النوع الأول فهي أن تصبح أمة من شدة الصلوة والبلاء باعتبار القوى المادية بحيث لا تستطيع الأمم الأخرى أن تحافظ باستقلالها السياسي إزاءها فتستبدل هذه بجميع وسائل الثروة عند تلك الأمم وتسيطر على تدبير شؤونها كاملة أو إلى حد.

أما النوع الثاني من الغلبة فهو أن تتقدم أمة من حيث قواها الفكرية والعلمية تقدما يجعل سائر الأمم تؤمن بأفكارها فتغلب نظرياتها على الأذهان، وتستولي معتقداتها على المشاعر وتنطبع بطبعها العقليات، فتكون الحضارة حضارتها والعلوم علومها وهذا النوع من الغلبة أخطر بكثير من النوع الأول، كما أنهما غير مرتبطين بعض فقد يوجد أحدهما دون الآخر^(١). وتأثر كثير من المسلمين في هذا العصر بالنوع الثاني من الغلبة حقيقة لا شك

١. انظر: نحن والحضارة الغربية، ص(٧) للأستاذ أبي الأعلى المودودي، مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ.

فيها، حيث أشرب كثير منهم مفاهيم مستوردة من معين الحضارة الغربية، فتعلقوا بها ودافعوا عنها ودعوا إليها غيرهم، ووقوع ذلك ليس بمستغرب وقد أخبر النبي ﷺ أن أمته ستأخذ مأخذ القرون قبلها ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شيئاً بشير وذراعاً بذراع فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك؟»^(١) قال الحافظ ابن حجر^(٢): قال ابن بطال^(٣): أعلم أنّ أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء كما وقع للأمم من قبلهم، وقد أذن في أحاديث كثيرة بأن الآخر شر، وال الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس. قال ابن حجر: قلت: وقد وقع معظم ما أذن في سبب وساقع بقية ذلك^(٤)، وإنّ أخبار النبي ﷺ بوقوع ذلك في أمته تتضمن التحذير منه لينجو من هذه المشابهة من شاء الله له السلام، ولا شك أن المشابهة التي أخبر عنها النبي هي فيما يكون من أمور الدين الذي لا تجوز المشابهة فيه، لأنّ المنتسب للدين الإسلام لا يملك حق الاختيار في قبول بعض ما جاء به النبي ﷺ ورد بعضه، بل يتعين على كل مسلم أن يخضع خصوصاً تماماً وينقاد لكل ما جاء عن النبي، يقول تعالى: ﴿فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بِيَنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا﴾^(٥) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً ولهذا قال: ﴿ثُمَّ

١. رواه البخاري واللفظ له، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، رقم الحديث (٧٣١٩).

٢. ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ١٤٤٩ هـ = ١٣٧٢ - ٨٥٢ م) أحمد بن علي بن محمد الكتاني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاج وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاوي: (انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر) وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرین، صبيح الوجه. وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة. انظر: الأعلام للزرکلی ج ١/١٧٨ ص ١٧٨.

٣. ابن بطال (٤٤٩ - ١٠٥٧ هـ = ١٠٠٠ - ٠٠٠ م) علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن: عالم بالحديث، من أهل قرطبة. من شرّاح البخاري انظر: الأعلام للزرکلی ج ٤/٢٨٥ ص ٢٨٥.

٤. انظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر (ج ١٣ ص ٣١٤).

٥. سورة النساء: (٦٥).

لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت وسلموا تسليماً ﴿أَيْ إِذَا حَكَمْتُكُمْ يَطِيعُونَكُمْ فِي بُواطِنِهِمْ فَلَا يَجِدُونَ فِي أَنفُسِهِمْ حَرْجًا مَا حَكَمْتُهُمْ وَيَنْقَادُونَ لَهُ فِي الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ فَيَسْلِمُونَ لِذَلِكَ تَسْلِيمًا كُلِّيًّا مِنْ غَيْرِ مَمَانَةٍ وَلَا مَدَافِعَةٍ وَلَا مَنَازِعَةٍ﴾^(١). ويقول تعالى: ﴿وَمَا أَتَيْتُكُمْ رَسُولُنَا فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢)، قال ابن كثير: مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فانتهوا فإنه إنما هي أمر بخير وإنما ينهى عن شر^(٣). ولما كان هذا الدين كاملاً من جميع الجوانب لا خير إلا رغب فيه ولا شر إلا في عنه فإن المسلمين ليسوا بحاجة إلى أن يتغذوا على غيرهم من الأمم ويستوردوا شيئاً من مبادئهم لأن دينهم كامل، والكامل لا يحتاج إلى زيادة، يقول تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لِكُمْ دِيَنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا﴾^(٤). وقد يتadar سؤال إلى الذهن وهو: هل يعني ذلك أن يصد الباب أمام كل ما يأتي من الغرب أو الشرق؟ أم أن المسألة مسألة اختيار وتحديد لما يقبل وما يرد؟

ليس من الإنصاف القول: بأن كل ما تحويه الحضارة الغربية مرفوض، لأن هذه الحضارة قد اشتغلت على نواحٍ إيجابية، رفضها يعتبر جمود في الفكر، وذلك أن العقل الغربي قد حطم أغلال التقليد وانطلق في ميادين العلم التجريبي فقطع شوطاً هائلاً في هذا المضمار، جعل العالم الإسلامي عالة عليه في كثير من احتياجاته إن المرفوض من هذه الحضارة هو ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ومنهج الإسلام الشامل للحياة. يقول الأستاذ محمد قطب^(٥) وهو يذكر واقع الأمة الإسلامية في فترة القوة العسكرية والمعنوية، وكيف كان تصرفها أمام حضارة أعدائها التي احتاجت إلى أن تقتبس منها ما هي بحاجة إليه وكيف أنها أحسنت

١. انظر: *التفسير القرآن العظيم* لإبن كثير (ج ١/ ص ١٢٥).

٢. سورة الحشر: (٧).

٣. انظر: *تفسير القرآن العظيم* (ج ٤/ ص ٦٣٦).

٤. سورة المائدة: (٣).

٥. محمد قطب بن إبراهيم حسين شاذلي (١٩١٩-٢٠١٤م)، مفكر إسلامي وأستاذ جامعي مصري ألف عشرات الكتب في مجال الفكر الإسلامي، وعاش مع شقيقه ورفيق دربه سيد قطب مخاض تجربة فكرية اتسمت بوضوح الرؤى وقوة الحجة وصرامة المواقف. هاجر إلى السعودية وعمل مدرساً بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، وظل هناك حتى رحل إلى العالم الآخر.

الاختيار ولم يوجد من بين أبنائها من يتصور فضلاً عن أن يدعو إلى مقوله: إن الحضارة وحدة متكاملة لا تؤخذ إلا بشكل كامل، فيقول: لقد احتاجت الأمة من قبل إلى تنظيمات إدارية وأشكال من أشكال الحضارة المادية، لم تكن في رصيدها السابق من قبل، وكانت محتاجة إليها لتنظيم الدولة على مستوى الكفاءة اللازم لدولة متنامية القوة فأخذت تلك التنظيمات وتلك الأشكال من فارس وبيزنطة ولم تجد في نفسها حرجاً من ذلك، ولكن تم ذلك على قاعدتين مهمتين^(١):

١- أن الأمة لم تشعر بالصغر والانكسار وهي تأخذ ماهي محتاجة إليه، بل كانت تحس بالإستعلاء الناشئ من الإيمان.

٢- أن الأمة لم تأخذ إلا ما كانت بحاجة إليه، من التنظيمات والأشكال المادية من الحضارة، ولم تأخذ معها قط المبادئ والنظم التي كانت لاصقة بها عند الذين أخذت عنهم، فقد كانت تلك المبادئ والنظم قائمة على عقائد وتصورات جاهلية لا تصلح للمسلمين، وليس المسلمون بحاجة إليها. والمسلم لا يأخذ من البضاعة الحضارية إلا ما يكون محتاجاً إليه من الأمور التنظيمية أو الأشكال المادية التي لا تفرض بذاتها منهاجاً للتصور ولا منهاجاً للسلوك يخالف عقيدة المسلم ومنهجه الرباني للحياة، أما النظم السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، وأما القيم والمبادئ فهي الدين الذي يتلقاها المسلم من ربها ولا يتلقاها من مصدر سواه^(٢). أما حركة الأخذ الثانية التي يعني المسلمين ثمارها الآن والتي جرت في ظل الخواص الروحي والتخلف العقدي، فقد اشارت الحواجز ولم يفرق كثير من المسلمين بين ما ينبغي أخذه وما يجب تركه^(٣). وبعد فشل الأعداء في غزواتهم العسكرية، تواصلت جهودهم لغزو الأمة فكريًا فأدت جهودهم ثمارها ووجدت أفكارهم طريقها إلى عقول كثير من أبناء الأمة، ووُجد من بين أبناء الأمة فئات سعت إلى تبني هذه الأفكار والترويج لها، فكان منهم من خدعاً بأفكار مما يتصل بالتربيـة ومناهج التعليم، ومنهم من تأثر بأفكار تتصل بالأخلاق والعادات والتقاليد، ومنهم من خدعاً بنتائج أفكار المستشرقين فيما يتصل بالتاريخ الإسلامي

١. عمارة، محمد، الأصولية بين الغرب والاسلام، ط١، ١٤١٨هـ—١٩٩٨م، دارالشروق، ص ٢٣.

٢. انظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب، مكتبة دارالسلام، ط (٣) ١٤١٠هـ، ص (٣٤٢-٣٤١).

٣. المرجع السابق: ص (٣٦٢-٣٦)، بتصريف.

وسير أعلام الأمة، إلى غير ذلك من الأفكار. وما يبعث على الأمل أن هذا التأثر لم يكن شاملًا، فقد وجد من أبناء الأمة من تصدى له وبين خطره على عقيدة الأمة وقيمها وشخصيتها وقد يتبدّل هنا سؤال: ما علاقة الدعاة بهذا الموضوع؟ وهل يوجد من بينهم من هو متأثر لهذا الغزو؟!

إن الإجابة على هذا السؤال هي إن الأفكار المنحرفة قد تجد طريقها إلى العقول فتلوثها، وذلك لنقص في العلم، أو قلة في الفقه، أو اشتباه في الحق، والعقول تتفاوت في القدرة على رد الأفكار المنحرفة حسب ما أودع فيها من معرفة الحق. والدعاة ليسوا على درجة واحدة في العلم بحيث تتسرّي عندهم القدرة على رد أي انحراف فكري، فلا يمتنع عقلاً أن يوجد من بينهم من ناله شيء من آثار هذا الغزو فظهر ذلك في ثنايا كلامه أو فيما خطّه يده ولا يقصد من ذلك تصنيف من هذا حاله من الدعاة، في عداد دعاة الغزو الفكري المنسليخين من دين الأمة وقيمها ومبادئها، لكن الثوب الأبيض يبدو فيه الدنس واضحًا جليًا.

المبحث الثاني: الإلتباس المفهومي للمصطلحات

تمهيد: أهمية تحرير المصطلحات

إن قضية المصطلح ودراسته من أهم القضايا العلمية وأدق المسائل المعرفية؛ فبها تثبت المعاني وتتحدد المقصاد وتطهر الدلالات، فأي خلل في تأسيس مصطلح ما للدلالة على معنى معين، قد يؤدي إلى معانٍ مضطربة بعيدة عن مقصود المستخدم، لا سيما إذا كان المصطلح يتعلق بالدين والعقيدة، ففهم أي مصطلح من المصطلحات التي تناولها القرآن الكريم سواء المتعلقة بالعقيدة أو الحضارة أو السياسة يلزم بالضرورة الوقوف على معاني تلك المصطلحات في اللغة والقرآن الكريم وفي الثقافة الإنسانية سواء خارج المجتمع الإسلامي أو دخله على امتداد تاريخه، فالمجتمع الإسلامي مكون اجتماعي وسياسي استفاد من المجتمعات الأخرى وتتأثر بما في جوانب عديدة، وانتابه جراء ذلك عديد من التساؤلات وحاول العثور على إجاباتها في الكتاب الكريم، انطلاقاً من الإيمان بأن القرآن الكريم كتاب الوحي الإلهي المقرؤ فيه ذكر كل شيء، قال تعالى: ﴿ وَزَرَّنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ

تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً وَيُشَرِّي لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨١﴾^(١). ومع استيعاب أن الاختلاف في المضامين والمفاهيم - رغم اتحاد المصطلح أمر شائع في العديد من المصطلحات التي يتداولها العرب والمسلمون ويتداولها الغرب مع تغير مضمونها في كل حضارة، مما يحدث استعمالها دون الانتباه إلى المضامين العامة والخاصة لدى أهل كل حضارة وأهل كل مذهب أو عقيدة كثيرة من اللبس والخلط في حياتنا الثقافية والسياسية والإعلامية المعاصرة وقد أبدع محمد عمارة في ذلك المجال كثيرا فتتبع العديد في محاولة لتقديمها للقارئ المنصف والباحث عن الحق دون تأثر بطرف من أطراف النزاع في تلك من المصطلحات. ودائما ما يؤكد محمد عمارة أن أغلب حواراتنا هي ضحايا بائسة للفوضى الشائعة في مضمون المصطلحات؛ لذا علينا أن نبدأ بتحرير مضمون تلك المصطلحات التي نستخدمها في طرح أفكارنا وأحيانا تحاكم بها أطراف الحوار، ولا بد من تحديد مفاهيمها ليفهم كل منا الآخر ولتحدد مناطق الاتفاق ومناطق التمايز؛ لأن ذلك مهمة أساسية لتنظيم أي حوار موضوعي حادٍ يساعد في مقاومة الاستقطاب الناتج . عن الاختلافات الجذرية في الرؤية بين الغرب والشرق من ناحية وبين الإسلاميين والعلمانيين من ناحية أخرى^(٢). وذلك لا شك مدخل مهم لضبط حدود أي حوار داخل الأمة الإسلامية بين فصائلها المتعددة وعلى المستوى الخارجي في الحوار بينها وبين الأمم الأخرى.

ولهذا كان قاموس المصطلحات في أي فن من الفنون أو علم من العلوم مهما جدا، وأداة شديدة التأثير في تكوين الفكر والمذهب والرؤية والهوية، وتكوين الاتجاه الحضاري لمن يستخدمه وصيغه بفلسفة واضعيه؛ فالقاموس أحد وسائل توجيه العقل لا سيما في ميدان العلوم الإنسانية. ولن تتمكن الأمة من فهم التراث الإسلامي بواسطة القاموس ذي المنطقات والمفاهيم الغربية؛ لأن في ذلك عزلا للعقل المسلم عن تراثه الحضاري في المجالات المختلفة، فطوق النجاة لهذه الأمة هو في إدراكها حقيقة هويتها الحضارية وتفاعلها مع

١. التحلل: ٨٩

٢. محمد عمارة، الأصولية بين الغرب والإسلام القاهرة، مصر : دار الشروق د.ت ٥ محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية (القاهرة، مصر : دار الشروق ١٩٩٣). محمد عمارة، إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات (القاهرة، مصر : دارالسلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٩)، ص ٤٩. محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام القاهرة، مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٤، ص ٢٢.

الآخرين^(١). ويبدأ ذلك من فهمها للمصطلحات التي تنتشر على السنة المنظرين وفي كتاباتهم، وهذه دعوة إيجابية من محمد عمارة للبدء الصحيح لأي حوار كذلك للفهم الصحيح المدارات أي موضوع تناقش فيه؛ كي لا يكون مجرد حوار طرشان. فالله عز وجل قد خلق الناس شعوباً وقبائل ودعها إلى التعارف والعمل على عمران الأرض وتطوير الحياة؛ ولتحقيق ذلك لا بد من تعايش الأمم والشعوب ثقافة وحضارةً، ومع ما وضع الله فيهم من: تعدد اللغات واختلاف الألسنة، كان وجود المصطلحات في الحوار بينهم يحتاج إلى ضبط معانيها المتداولة في المناقشات وتحديدها، حيث إن لهذه المصطلحات في كل لغة من اللغات مصامين ومعانٍ مختلفة ومتميزة عن نظائرها في اللغات الأخرى. فالمصطلحات شائعة بين الجميع لكن تمام فهمها يغزوه تحديد دلالاتها والتمييز بين ما هو مشترك إنساني عام من المعارف والعلوم وما هو من الخصوصيات الثقافية والفلسفية والدينية^(٢). وقد اعنت الأمم كلها على تفاوت بينها بالمصطلحات، ووظفتها لصالحها في الغالب الأعم وكانت سلاحاً قوياً في معاركها مع غيرها من الأمم، ولا زالت الساحة الفكرية في العالم الإسلامي على وجه الخصوص تعاني من ذلك لوقوعها في مرحلة التبعية الفكرية للغرب في جوانب كثيرة من حياتها اليومية والفكرية. وإلى جانب ذلك فإن للمصطلحات دوراً مهما في الوصول إلى العلوم ولو لاها لتعذر علينا معرفة مسيرة العلوم في التاريخ الإنساني، فالتطور مستمر في شتى النواحي وهو كذلك في اللغة حين تضع ألفاظاً جديدة لمدلولات مستحدثة، أو تغير دلالات ألفاظ أخرى أو تخرجها من مصامينها الحقيقة إلى مصامين جديدة، فما دامت الأسباب موجودة فالتطور واقع لا محالة؛ لهذا فإن تحديد المصطلحات ورصد التطور الدلالي لها أمر في غاية الأهمية كي لا ندور في حلقة مفرغة لعجز فيها عن الوصول إلى الهدف. فالمصطلحات مؤشر للتفكير ومصامينه وعبر عن الواقع المعرفي في أي مجتمع، وهي تتطور من مصطلحات مجردة إلى مدارس ومذاهب وفرق، فتتشعب وتتنوع دليلاً على الثراء ولكن عدم التعرف عليها قد تحول إلى إشكالات وعقد فكرية^(٣) تدفع كل

١. عيسى، عبدالرازق، محمد عمارة داعية إلحياء والتّجديد، دار القلم دمشق، ص ١٥٦-١٥٧.

٢. محمد عمارة، إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات ص ٨.

٣. سه نكاوي، فاتح محمد، معجم مصطلحات الفكر الإسلامي المعاصر: دلالاتها وتطورها، ص ١٣.

المنشغلين بمجال الأفكار إلى إعادة اكتشافها وعدم التقليد الأعمى للشائع ولو كان في كتابات كثيرة؛ فالبحث الآن أكثر شمولية لا سيما إذا اجتهد الباحث في مجال المصطلحات كما فعل محمد عمارة من مقارنة المصطلحات في الثقافات المختلفة على نحو ما تدعو إليه الدراسات الأسلوبية الحديثة.

المطلب الأول: مكانة المصطلحات في مؤلفات الدكتور محمد عمارة

وقد أولى الدكتور محمد عمارة أهمية كبيرة لتحرير المصطلحات التي يستخدمها، ولذلك أورد عدداً عظيماً منها في مؤلفاته^(١)، فقد أفرد لهذا الجانب عدة مؤلفات على رأسها، "كتاب إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات" الذي يعد كتاباً جاماً لمعظم نتاج عمارة في جانب تحرير مصامين المصطلحات، وكتاب "قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية" وكتاب "معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام" و"كتاب في الطريق إلى اليقظة الإسلامية" وكتاب "الإسلام في مواجهة التحديات". كما عمل في مشروعه على تحرير المصطلحات، وقدم نتاجاً فكرياً كبيراً فيما يتعلق بها وبيان مصامينها التي لا مشاحة فيها ابتداءً لكن المشاحة تظهر عندما نقارن بين معانيها في ثقافتنا الإسلامية ونظائرها في الثقافة الغربية، واعتنى بإبراز المفاهيم الإسلامية التي تؤسس للتكامل بين دوائر الانتماء من الوطنية والقومية والإسلامية الإنسانية؛ من أجل ترشيد الفكر الإسلامي وتقديم النموذج المتميز بالإسلامية إلى العالم الذي ضل طريقه في تلك الميادين. وقد ساعد عمارة على ذلك تنوع ثقافيه واطلاعه على المنتج الثقافي الغربي ومتابعته لما : يصار ما يدور حول الإسلام وكتابه ورسوله الكريم إذ يقرأ عمارة ذلك بعناية ويرده بتجدد ويستخدم أسلوب الخصم كثيراً^(٢) في تناوله للمسألة موضوع النقاش. لا سيما وفي إطار اهتمامه الكبير بالمصطلحات أحياناً ما كان يشير إلى أن كثرة استخدام المصطلحات في التراث العربي الإسلامي كان سبباً في اضطراب مصامينها وصعوبة الوقوف على مقصود المتكلم؛ إذ كانت بعض المصطلحات تتضمن معنى خاصاً لدى فريق ما من الفرق الإسلامية وتحدها ذات معنى مفارق لدى فريق آخر، ونتيجة لذلك اختلفت مصامينها مع المصطلحات المستخدمة في الأبحاث المعاصرة

١. جاد، يحيى رضا، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة، دار مفكرون للنشر والتوزيع، ص ٤٢.

٢. محمد عمارة، مسيرة قلم (القاهرة، مصر: دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠١٦)، ص ٣٠-٣١.

مما زاد اللبس والغموض مما يدفع للقول بأنه أحياناً ما يكون البحث وراء المصطلحات ليس هو الطريق للتعرف على تراثنا الحي النافع، بل قد يكون ذلك ضاراً بنا. وقد دفع الخوض في مثل تلك المصطلحات واللبس والغموض اللذين أكتنافاها بعض الباحثين إلى إسقاط كل تراث المسلمين في بعض المسائل، وإنكار أن يكون في تراثنا ما يعتقد به في مثل تلك الميادين^(١). ولذلك يعد الخوض في ذلك المجال مغامرة لا يثبت فيها كثير من الناس، لكن محمد عمارة قد وضع فيها دعالم تساعد من يرغب في تكوين صورة أقرب إلى الصواب عن كثير من المصطلحات الدائرة في حياتنا الفكرية والتي أخرجت أنواعاً متعددة من التشدد والغلو.

المطلب الثاني: منهج الدكتور عمارة في دراسة المصطلحات

وكان محمد عمارة يقف أمام المصطلحات التي يعرضها مبيناً أصول النشأة التاريخية مكانها وزمانها ومحرراً للمعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي في الحضارتين الإسلامية والغربية وما ورد من خلاف في تحديد هذه المصطلحات^(٢)، ومن أمثلة ذلك عرضه لمصطلح النص، فيذكر أن تعريفه ومضمونه كان مثار خلاف واختلاف، بل موضع شبكات وأوهام جعلت وتجعل من جلاء معناه وتحديده مدخلاً طبيعياً وشرطياً ضرورياً لتجنب الاختلاف فتناول ما ورد في تعريف النص لدى خواص مفكري الإسلام الذين قصروا تعريف النص على ما هو قطعي الثبوت والدلالة في الثوابت التي لا يصيّبها التحول ولا تعرض عليها الاحتمالات لا من قريب ولا من بعيد. وذكر ما دخل مصطلح النص من مشتبهات عند من وصفهم بالعوام الذين علا صوتهم في حياتنا الفكرية مع ارتفاع التقليد وتراجع الاجتهاد والإبداع في حضارتنا الإسلامية، فإنهم لم يكتفوا بإطلاق لفظ النص على كل ألفاظ وتأثيرات وروايات الكتاب والسنّة بل أضافوا إلى المصطلح كل ما كتب الأقدمون في المذاهب الإسلامية^(٣). وهذا تحديد متميز من عمارة ينطلق من وضعه للأمور في نصابها إذ يجعل المقدس مقدساً والإنتاج البشري بشرياً ولكل منهما دوره الذي لا يمكن إغفاله في تاريخ الأمة الإسلامية والإنسانية كلها. وزاد

١. محمد عمارة، مفهوم الحرية في مذاهب الإسلاميين (القاهرة، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٩)، ص ١٦-١٨.

٢. عيسى، الدكتور عبدالرزاق، محمد عمارة داعية الإحياء والتجديد، دار القلم دمشق، ص ١٢١.

٣. محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامي (القاهرة، مصر: دار الشروق، ٢٠٠٩)، ص ٩٦-٩٨.

عمارة عند تعرضه لمصطلحي التراث والسلف في العيب على هؤلاء العوام الذين جعلوا التراث كلها في كفة واحدة، فوصفهم بأنهم اختصوا الموتى مهمة التفكير للأحياء، وأوجز كثيراً من النقاط حينما تحدث عن علاقة التراث بالتجديد والجمود، فذكر أن الأمر ليس مطلق الارتباط بالتراث وليس مطلق التراث ذاته إذا بحثنا عن معايير الجمود والتجديد، فلي sis هناك أي إنسان أو مذهب أو دعوة أو حركة دون سلف دون تراث، ولذلك فمعايير التمايز في هذا السياق تتمحور حول سؤالين هما: أي لون من التراث؟ وكيف تعامل مع هذا التراث⁽¹⁾ وقد صدق عمارة في ذلك الطرح وبأن أثره في حياته الفكرية وعرضه للمسائل المختلفة؛ إذ بحث في التراث ليس عن ألفاظ بل عما وراءها وسياقها التاريخي وكيفية اصطحابها في العصر الحديث، ولذلك لا يرد أي جزء من أجزاء التراث بل يستفيد من تراث عصر التراجع الفكري كما يستفيد من تراث عصر النهضة؛ إذ يبحث في الأول. أسباب التراجع لتجنبها الأمة الآن وفي الثاني عن أسباب النهضة لتكون مشعلاً في طريق النهضة المعاصرة.

ومن بين المصطلحات التي وجدتها شائعة دون تحرير مصطلحي العقل والنقل فتناولهما في عدد من كتبه، وكشف انتفاء التعارض المزعوم الذي يدعوه العلمانيون بين العقل والنقل، فالنقل داع للتعقل والتدبر، والعقل الإنساني في الإسلام أداة فقه الشرع، والنقل يتحقق في العقل لكنه بالطبع يرفض الغرور العقلاني حين يتصور امتلاكه القدرة على عقل كل شيء وأي شيء وأنه هو سبيل الوعي الوحيد، فالعقل في الإسلام مدعو للعمل في حدود ما وظفه الله⁽²⁾ وفي تناول عمارة للعقل بهذا المعنى الدقيق رد لكل ما اتهم به من أنه يقدم العقل على النقل، ويوضح العلاقة الوثيقة بين النقل والعقل لديه. وفي كل مرة يعرض فيها عمارة للمصطلحات يؤكد أن لها دور كبيراً في مخاطبة الخصوم؛ إذ من الضروري عند محاورتهم ألا تتجاهل ما يدعون ولا نتصادر ما يقولون، وإنما يكون الحوار بالمنطق والحججة، وتنجرد من منطق صاحب الحق الذي يخاطب ذاته، وتنتحدث بالمنطق الموضوعي الهدائى الذي يُفيد حجج الخصوم بمنطقهم، وبلغة العلم وعقلانية الفكر لا بالعواطف أو حتى بتأثيراتنا الدينية الخاصة

١. عمارة، الأصولية بين الغرب والإسلام، ص ٢٤

٢. عمارة، مقام العقل في الإسلام، ص ٣٧

التي لا يؤمن بها الآخرون^(١). وقد قدم مصطلحات عديدة كالاجتهد والجهاد والتجدد والسلفية والوسطية والتعددية والحرية وكذلك فكرة الاستشراق بياناً لها ورداً على أصحابها من الغربيين والشرقين المقلدين وهو مقام تميز فيه عمارة وقدم للمكتبة فيه كتبًا عديدة تشهد بتجده في المناقشة ورد الشبهات على أصحابها بل ومحاسبيهم بكلامهم الذي يعتمدون عليه في شبهائهم، ويوظف الأرقام والإحصاءات توظيفاً فعالاً في كل ذلك.

وقد أسس منهجه في تناوله للمصطلحات وشرحها انطلاقاً من إيمانه الكامل والعميق والخبر بالخصوصية الحضارية الإسلامية، وضرورتها في بيان خصوصية المصطلحات وتمايزها تبعاً لتمايز الحضارات التي تنتهي إليها وضعاً في الأصل أو اقتراضاً وتوظيفاً. وذلك من أجل الخروج بنتائج فعالة تفيد في فكرنا وينالنا لنموذج نهضوي محوره ومرجعيته الإسلام. ولذلك مثل التاريخ أهمية كبيرة في مشروع عمارة الفكر، فال التاريخ معين لا تنضب أحداشه وتطوراتها، فيقرأه عمارة ويستشهد به ويعلل وقائعه؛ لاستخراج المثل والنماذج الذي يمكن أن يكون وعي الأمة إذا أنشئت ذاكرتها بقراءة التاريخ في مراحله المختلفة وعرفت قدراتها الحقيقة من تلك الواقع التي تتكرر، وتؤكد ما لدى الأمة من قدرات تعينها على صراعات الحاضر وتقودها نحو المستقبل. فال التاريخ الإنساني عموماً والإسلامي على وجه الخصوص عند عمارة لا بد أن يكون نقطة انطلاقنا؛ إذ إنه بما فيه من إيجابيات وسلبيات له دور كبير في تحديد بوصلة الإنسانية كلها وخاصة الأمة الإسلامية في رؤيتها للمستقبل^(٢). ويؤكد محمد عمارة دائماً في رؤيته للمصطلحات أن الأمة بحاجة إلى فقه جديد، بالرغم من أن فقهنا القديم ثروة فكرية لا مثيل لها في العالم، ولكن ليس معنى هذا أن كله صالح، فقيه أفكار بنت عصرها، وليس هي الإسلام. لذلك هناك حاجة إلى فقه جديد معتمد على القديم، يُعلي من قيمة الماضي وينتقي منه ويضيف إليه ما يقتضيه الحاضر، دون مخالفته لنص ثابت فظروف العالم الجديدة تحتاج لفقه جديد في العلاقات الدولية، لا تلقي شيئاً مما كتب عن دار الإسلام ودار الحرب في كتب التراث، فهذه مصطلحات بنت ظروفها، يلزمها الفحص والإضافة إليها وتحديدها. فالعلاقة الوثيقة بين تراث الأمة ومستقبلها لا تعني

١. محمد عمارة القدس بين اليهودية والإسلام القاهرة، مصر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص ٣، ٢٤.

٢. محمد عمارة، الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ (القاهرة، مصر : دار الرشاد، ١٩٩٧، ص ٣٣-٣٩).

صب المستقبل في قوالب التراث حتى تصير تطبيقاتنا المستقبلية عين تجارب السلف، وتعيد حياتنا الفكرية مسائل الجدل التي شغلت حيزاً كبيراً في مخطوطات التراث. فقد تعلمنا من التراث أن التطور هو سنة من سنن الله في الكون، فالعلوم وتطبيقاتها تتطور دون فصل الأمة عن جذورها، فالجديد حامل لأصالة الماضي، يستمد منه الثبات والتواصل والتميز.

وقد سعى محمد عمارة إلى التمييز بفوارق مفصلية جادة بين العديد من المصطلحات المتدولة والمشتركة بين العالمين الشرقي الإسلامي والغربي، تلك التي تشكل خلطاً في استخدام المصطلح الواحد في غير ما وضع له من معانٍ مقصودة ومتباينة في كل من الحضارتين الشرقية الإسلامية والغربية وقصد من ذلك التمييز إلى توضيح الرؤية أمام القارئ، ومراعاته الدقة عند استخدام تلك المصطلحات والوقوف على الفرق في المعاني إسلامياً وغرياً، ومن أمثلة تلك المصطلحات العلمانية والأصولية والتشريع والحرية والحكم والاجتهد والعقلانية. وقد أكد على اضطراب مقوله لا مشاحة في الاصطلاح، وأثبت أن هناك مشاحة واختلافات بين مقاصد المصطلحات، وأنه لا بد من تثبيتها ومعرفتها بدقة لإزالة اللبس حين استدعاها واستخدامها في عرض الأفكار والمعتقدات. ويوضح رأيه في التعامل مع ما هو وافد غربي وما هو تراث إسلامي، فيضع منهجاً واضحاً في رؤيته لهذين المصادرين المتغايرين، يقوم على التمييز بين النصوص وبين مقاصدتها وأهم هذه المقاصد هو العدل، والتمييز بين نصوص الوحي القطعية الدلالة والثبوت وبين النصوص الأخرى لا سيما أحاديث الآحاد أو الموضعية أو الضعيفة أو التي لا يتسع منطقها عندما تعرض على روح الشريعة ومنطق القرآن الكريم. بالإضافة إلى التمييز بين الشريعة التي هي نهج ومقاصد وبين تطبيقات السلف واجتهادات الأقدمين فالشريعة ثوابت وتطبيقات السلف واجتهاداتهم ليست ديناً، وليس ثوابت ملزمة لمن يعيش واقعاً مغايراً للواقع الذي عاشوا فيه واجتهدوا له^(١). والتمييز بين الدين الذي وضعه الله وأوحى به وبين تطبيقات السلف لهذا الدين على واقع عصرهم الذي تغير وانقضى، هو تمييز بين النصوص المتعلقة بالعقائد والأصول والنهج والحدود والحلال والحرام، وبين النصوص التي جاءت تقنياً لواقع دنيوي متغير بالضرورة^(٢).

١. عمارة، الإسلام في مواجهة التحديات، ص ١٦٦، ١٦٦، وعلاقة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ص: ١٦٢-١٦٦.

٢. عمارة، الإسلام في مواجهة التحديات، ص ١٦٧.

المطلب الثالث: الإلتباس المفهومي للمصطلحات

من العبارات الشائعة على ألسنة المثقفين وفي كتابات المفكرين والعلماء، هي عبارة: "إنه لا مشاحة في الألفاظ والمصطلحات". تتردد هذه العبارة على الألسنة وفي الكتابات بمعنى: أنه لا حرج على أي باحث أو كاتب أو عالم في أن يستخدم المصطلح، أي مصطلح، وبصرف النظر عن البيئة الحضارية أو الإطار الفكري أو الملابسات المعرفية أو الفلسفية والعقدية التي ولد ونشأ وشاع فيه. فالمصطلحات والألفاظ ذات الدلالة الاصطلاحية هي ميراث لكل الحضارات، ولجميع ألوان المعرفة، ولكل بني الإنسان، وهذه العبارة —في تقديرنا— صادقة تماماً، لكنها، أيضاً تحتاج إلى ضبط لمفهومها، حتى لا يشيع منها الخلط، بل والخداع، كما هو حادث لها ومنها الآن لدى عديد من دوائر الفكر التي ترددوا، دون ضبط وتحديد لما يوحى به ظاهرها من مضمون. فنحن إذا نظرنا إلى أي مصطلح من المصطلحات باعتباره وعاء يوضع فيه مضمون من المضامين، وبحسبانه أداة تحمل رسالة المعنى، فسنجد صلاح وصلاحية الكثير من المصطلحات والألفاظ الاصطلاحية لأداء دور الأوعية والأدوات على امتداد الحضارات المختلفة والأنساق الفكرية المتعددة والعقائد والمذهبيات المتميزة، وهنا سنكون حقاً وصدقأً أمام المعنى الدقيق والصادق لهذه العبارة —عبارة: "أنه لا مشاحة في الألفاظ والمصطلحات". أما إذا نحن نظرنا إلى هذه الألفاظ والمصطلحات من زاوية المضامين التي توضع في أوعيتها، ومن حيث الرسائل الفكرية التي حملتها الأدوات: المصطلحات فسنكون بحاجة بل وحاجة ماسة، إلى ضبط معنى هذه العبارة، وتقدير إطلاقها وتحديد نطاق الصلاح والصلاحية التي يشيع عمومها من عموم ما تحمل من ألفاظ^(١). هنا، سنجد أنفسنا، عند الفحص والتدقيق، وفي كثير جداً من الحالات، وبإزاء العديد من المصطلحات، أمام أوعية عامة، وأدوات مشتركة بين الحضارات والأنساق الفكرية والعقدية والمذهبية، وفي ذات الوقت، أمام مضمومين خاصة، وسائل متميزة، تختلف فيها، وتتميز بها هذه الأوعية العامة والأدوات المشتركة، لدى أهل كل حضارة من الحضارات المتميزة، وعند كل نسق أو مذهب أو عقيدة من الأنساق الفكرية والمذاهب الاجتماعية والعقائد الدينية، وخاصة منها تلك التي امتلكت وتمتلك من السمات الخاصة والسمات المميزة ما جعلها

١. عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ٤٢٠٠٤ م. ص ٣.

ويجعلها ذات مذهبية خاصة وطابع خاص^(١). وليس كضرب الأمثال سبيلاً لجلاء هذا المعنى، وتأكيد صدق هذا المفهوم: فمن المصطلحات الشائعة في ميدان التشريع» القانوني مثلاً، مصطلح: «الشارع»، يوصف به من «يسشرع» القانون، فرداً كان أو جماعة -مؤسسة- ، فواضع القانون «شارع» و «مشروع له» وال المجالس النيابية التي تمثل سلطان الأمة في «تشريع القوانين»، هي هيئات تشريعية، «تشريع» القوانين. «فالشارع» -هنا- و «مصدر التشريع و واضع الشريعة»: هو إنسان، فرداً كان أو هيئة تشريعية. هذا هو حال مصطلح «الشارع» و «التشريع و الشريعة» في ميدان «القانون» فهل -حقاً- «لا مشاحة في هذا المصطلح الشائع، وفيما يحمل «وعاؤه» من مضمون»؟! إن الإجابة عن إطار كل الأساق الفكريّة، ومن قبل كل المعتقدين ب مختلف المذاهب والمعتقدات ومن ثم فإن هناك «مشاحة أكيدة في هذا المصطلح، مشاحة تامة في مضمونه، ومشاحة كبيرة فيه كوعاء صالح وكادحة دقيقة وصالحة لحمل الرسالة والمضمون. إن ابن الحضارة الغربية، الذي لا يؤمن بوجود شريعة إلهية تنظم الجانب المدني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي للدولة والمجتمع البشري والعمان الإنساني، يؤمن بأن الإنسان، فرداً كان أو طبقة أو أمة، هو المصدر الأول والأخير للشريعة والتشريع، فالإنسان هو الشارع سواءً كان ذلك في إطار أصول الشريعة -قواعد ومبادئ القانون الطبيعي - كما تسمى في الحضارة الغربية -أم في إطار فروع الشريعة. فهذا المصطلح «الشارع» بهذا المعنى طبيعي وصادق في هذا الإطار، إطار الحضارة التي لا تؤمن بوجود «شارع غير هذا الإنسان، وخارج هذا «الواقع المادي» سواءً كان السبب في ذلك هو الطابع المادي الإلحادي لهذه الحضارة، أم المنحى والتوجه العلماني الذي يرفض تحكيم «الإلهي» في شئون الدولة والمجتمع والعمان. ولما كان هذا الموقف، هو شأن غربي وسمة من سمات الحضارة الغربية، وقسمة من قسمات طابعها المادي ومنذهبها العلماني، فإنه ليس من المشترك الإنساني العام، حتى يصبح مصطلحها فيه ومضمون هذا المصطلح مما «لا مشاحة فيه في أية حضارة من الحضارات»^(٢).

١. انظر: المرجع السابق نفسه، ص ٤.

٢. عمارة، محمد. قاموس المصطلحات في الحضارة الإسلامية. الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، دار الشروق، ص ٧.

ففي الحضارة الإسلامية، التي مثلت العقيدة الإسلامية وتمثل أيديولوجيتها ومذهبية أمتها منذ أن أصبحت الروح السارية في كل علوم تمدنها المدني وإبداعها الإنساني في الحضارة - بما فيه من سياسة واجتماع واقتصاد ودولة وعمران -، في هذه الحضارة الإسلامية يدل مصطلح «الشارع على واضح أصول الشريعة»، ويختص به، وهذه الأصول ليست إبداعاً إنسانياً كالقانون الطبيعي - في الحضارة الغربية - وإنما هي «وضع إلهي نزل به الوحي»، ديناً يتدين به إنسان هذه الحضارة. ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ رُوحًا وَالَّذِي أَوحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾^(١). ولما كانت هذه الشريعة الإلهية، هي خاتمة الشرائع الإلهية لبني الإنسان، فلقد وقف «شارعها» - الله، سبحانه وتعالى - فيها وبها عند الأصول والمبادئ والقواعد التي حددت النهج فيما هو متغير ومتتطور من شئون الدنيا، مع التفصيل لما هو ديني، أو ما هو من الثوابت الدنيوية التي لا يلحقها تطور أو تغيير. «فالشارع» للشريعة هو الله: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنْ أَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾^(٢)، ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرَعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾^(٣). ومن ثم فإن إنسان هذه الحضارة الإسلامية لا يستطيع - وهو مؤمن بدينه - أن يعطي سلطة التشريع ووصف «الشارع» لغير الله. أما إبداع هذا الإنسان المسلم في القانون الإسلامي، وسنته القوانين التي تُفرَّغ عن أصول الشريعة، وتواكب المستحدثات والمتغيرات وتستجيب لكل ما لم تعرض له النصوص والحدود والأصول الإلهية. أما كل هذا الإبداع القانوني الإسلامي فهو «الفقه»، فقه المعاملات. ومن هنا كان تميز «الفقه» عن «الشريعة» في الحضارة الإسلامية، وكان الله هو «الشارع» لا الإنسان، وكان الإنسان هو «الفقيه»، وليس الله. هنا، نجد أنفسنا أمام نموذج من نماذج المشاحة في الألفاظ والمصطلحات، ليس في «المضمون» فقط ولا «الرسالة» فحسب، بل وفي اللفظ والوعاء والأداة أيضاً!^(٤).

١. الشوري: ١٣.

٢. الجانية: ١٨.

٣. المائدة: ٤٨.

٤. عمارة، محمد. قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص ٧.

وإذا كانت العزلة الحضارية -في عالمنا المعاصر وفي ظل ثورة وسائل الاتصال- هي وهم كبير، وإذا كانت المضامين الغربية والغربية لكثير من المصطلحات العربية الإسلامية قد أصبحت جزءا من واقعنا الفكري والثقافي الداخلي، نظرا لنجاحات التغريب في حياتنا الفكرية والثقافية والإعلامية وإذا كان الحوار بين حضارتنا والحضارات الأخرى، وكذلك الحوار بين تيارات الفكر في واقعنا الثقافي، هو طوق النجاة من الاستقطاب الفكري المدمر لمختلف الفرقاء، إذا كان الأمر كذلك، فإن تحرير مضامين المصطلحات، واكتشاف مناطق الاتفاق ومناطق التمايز في معاني ومفاهيم هذه المصطلحات -وخصوصا تلك المصطلحات الأكثر شيوعا، والأكثر إثارة للجدل بين تيارات الفكر في عصرنا وفي واقعنا- هو مهمة أساسية، وأولية بالنسبة لأى حوار فكري حقيقي وجاد ينقذ حياتنا الفكرية من خطر الاستقطاب الحاد، ويوجد «لغة فكرية واحدة» بين الفرقاء المتحاورين. وإذا كانت هذه هي الرسالة التي نطمح أن تحملها صفحات هذا الكتاب تحرير مضامين المصطلحات الأهم والأكثر شيوعا والأكثر إثارة للجدل والخلاف في حياتنا الفكرية المعاصرة، فإننا -للمزيد من التأكيد على أهمية هذه القضية نقدم -إلحاقاً بهذا التمهيد- صفحات تمثل نموذجاً على ضرورة تحرير مضامين المصطلحات، كشرط أولى وأساسي لأى حوار فكري مثمر وجاد.

صفحات من الحوار حول مقاصد الشريعة الإسلامية، تكشف عن ضرورة تحرير مضامين المصطلحات ومفاهيمها ونقدم نموذجاً تطبيقياً لهذه القضية. بعدها، نخلل بين القارئ وبين مفاهيم المصطلحات التي يدور العراك حولها بين الحضارة الغربية وبين حضارة الإسلام وبين العلمانيين والإسلاميين في حياتنا الفكرية المعاصرة^(١).

المطلب الرابع: أمثلة لتحرير مضامين المصطلحات

كتابات كثيرة في حياتنا الفكرية المعاصرة من حقيقة أننا نعاني من فوضى في مضامين المصطلحات، أحدثتها حقبة الاحتكاك بالحضارة الغربية. ففي المصطلح -الوعاء الواحد- أثناء الحوار بين أهل الموروث وأهل الوافد نجد أنفسنا أمام مفاهيم مختلفة، وأحياناً متناقضة، تساق وتقدم في المصطلح الوعاء الواحد الأمر الذي يجعل كثيراً من حواراتنا «حوارات طرشان» -دون أن ندري، بل ودون ذنب من المتحاورين. مما يفرض علينا جميعاً

١. عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق. ص ١٢.

أن نجعل الفريضة الأولى لإدارة الحوار فيما بيننا هي البدء بتحديد وتحرير مقاصدنا من المفاهيم والمضامين التي نعنيها ونحن نستخدم المصطلحات، التي تمثل مفاهيمها مناطق للحوارات، وأحياناً المنازعات^(١) وعلى سبيل المثال:

أولاً: العقلانية

يقترح الدكتور نصر حامد أبو زيد مبدأ "العقلانية" ليكون واحداً من المبادئ الكلية الثلاثة لمقاصد الشريعة، وليس هناك عاقل يعي إسلامه يختلف على ضرورة العقل والعقلانية. والقدماء الذين ينتقدتهم الدكتور نصر قد جعلوا «الحفاظ على العقل» من الضرورات والمبادئ والمقاصد الكلية للشريعة قبل أكثر من ألف عام. لكن .. أي عقل؟ وأية عقلانية؟ تلك هي القضية التي تحتاج - كي نتبين مواقعنا وانتماءاتنا - إلى تحرير مفاهيم ومقاصد المصطلحات. هل هو العقل: العضو المادي، الذي تفرز حركته الفكر» - كما رأى ويرى الماديون وبعض الوضعيين؟ هل هو «الجوهر المجرد، كما قال كثير من القدماء الفلاسفة؟ أم هو الغريزة والملكة واللطيفة الربانية المتعلقة بالقلب والجوهر واللب الإنساني؟. فعلى تحديد المراد من «العقل» يتحدد المراد من «العقلانية». إذ هناك عقلانية التنوير الغربي وشعارها: لا سلطان على العقل إلا للعقل وهي بذلك تنفي وتنكر - بل وتستنكر - سلطان الوحي على عقلانية الإنسان، وترى في «العقل» والتجربة سبيل المعرفة المؤتمنين على تحصيل المعرفات التي تستحق الاحترام. بينما هناك «العقلانية المؤمنة»، التي تبلورت في علم التوحيد - الكلام - الإسلامي، لتقرير الدين وليس لنقضه، وهي التي تقرن «النقل» بـ «العقل» وتحكم «العقل» بـ «النقل» إيماناً منها بأن العقل هو ملكة إنسان محدود الإدراك نسبياً المعرف، بينما «النقل» هو نبأ ذى العلم المطلق والمحيط، سبحانه وتعالى. ففيه ما لا يستقل العقل بإدراكه. وهذه «العقلانية المؤمنة» - بعد إضافتها «الوحي» إلى «الكون» في مصادر المعرفة تجعل سبل المعرفة أربع هدایات، هي: العقل، والنقل، والتجربة الحسية والوجودان. فلا تقف بسبيل المعرفة، فقط عند العقل، والتجربة - كما صنعت عقلانية التنوير الغربي - الوضعيية والمادية. فعن أي عقل وعن أية عقلانية يجري الحديث؟ عقلانية: استبعاد «الشرع»، و لا سلطان على العقل إلا للعقل؟ أم عقلانية المؤاخاة بين الشريعة والحكمة -

١٥. المرجع السابق نفسه، ص

بتعبير ابن رشد-، تلك التي بلغ الغرالي القمة عندما ميزها وحددها فقال: "إن أهل السنة قد تحققاً أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعمول، وعرفوا أن من ظن وجوب الجمود على التقليد، واتباع الظواهر، ما أتوا به إلا من ضعف العقول وقلة البصائر، وأن من تغلل في تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع، ما أتوا به إلا من خبث الضمائر. فمثيل أولئك إلى التفريط، وميل هؤلاء إلى الإفراط، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط. فمثال العقل: البصر السليم عن الآفات والأذاء، ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء، فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء المستغنى إذا استغنى بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء. فالمعرض عن العقل، مكتفياً بنور القرآن، مثاله: المترعرع لنور الشمس مغمضاً للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان . فالعقل مع الشرع نور على نور^(١). فعن أي عقل وعن أي عقلانية تتحدث؟ إن المطلوب، أولاً، هو تحرير مضمون المصطلح، حتى نعلم أ هذه العقلانية هي من مقاصد الفلسفات التي قامت على أنقاض الشرائع؟ أم هي من المقاصد والمبادئ الكلية للشريعة الإسلامية؟!^(٢).

ثانياً: الحرية

ومثل ذلك حديث الدكتور نصر عن «الحرية» - باعتبارها المبدأ الكلى الثاني في مقاصد الشريعة- فليس هناك خلاف على «المبدأ» - بل كما سبقت الإشارة. فلقد أضاف الشيخ الطاهر بن عاشور^(٣) إلى المقاصد الخمسة «مقصد الحرية». لكن تظل الحاجة قائمة ومامسة لتحرير مرادنا بمضمون ومفهوم «الحرية». إذا كانت الحرية هي نقيض «العبودية»، فلابد من تحديد: حرية من؟ وفي مواجهة العبودية لمن؟. فالمؤمن يرى في ذل العبودية لله

١. الاقتصاد في الاعتقاد، طبعة المطبعة المحمودية التجارية - القاهرة - بدون تاريخ، ص ٣، ٢.

٢. عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق. ص ١٦.

٣. ابن عاشور (١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٧٩ - ١٩٧٣ م) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢) شيخاً للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتبيير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، و (الوقف وآثاره في الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة) وما يعني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء. وكتب كثيرة في المجالات. انظر: الأعلام للزركي ج ٦/ص ١٧٤.

قمة الحرية، وهذه الحرية هي عكس ما يراه الماديون والوضعيون. والإنسانة المؤمنة لا ترى في حقوق الله في «العفة» قيودا تنتقص من حريتها. بينما غير المؤمنة ترى في «العفة» استعبادا، فترفع شعار الحرية الجنسية، قائلة –كما في بعض المجتمعات المعاصرة: "هذا جسدي .. أنا حرّة فيه". وبينما يرى المؤمن في الشهوات والغرائز المحرمة قيودا على الحرية واستعبادا لعقله وروحه، يرى فيها غير المؤمن تحقيقا لألوان من الحريات الإنسانية يقيم في سبيل الحصول عليها الأحزاب، ويفجر من أجلها الثورات. والمسلم يرى حريته حرية الإنسان الخليفة لله في استعمار الأرض. فهي حرية محاكمة ومحدودة بحدود الله وحقوق الإنسان في هذه الحرية محدودة بحقوق الله، التي تمثل بنود عقد وعهد الاستخلاف. بينما الإنسان المادى والوضعي يرى حريته حرية الإنسان: سيد الكون فلا حدود ولا قيود على حريته إلا حدود الحرية والاختيار، كما أنه لا سلطان على عقله إلا لعقله. بينما الإنسان المسلم – الخليفة لله – هو سيد في الكون، وليس سيد الكون» وبعبارة الإمام محمد عبده: «هو عبد الله وحده وسيد لكل شيء بعده»^(١). فالقضية ليست الاتفاق على تبني مصطلح «الحرية» ورفض مصطلح «العبودية» وإنما هي –كما رأينا– قضية تحرير وتحديد مضامين المصطلحات وذلك حتى لا نعيش في وهم «الأمة الواحدة ذات الثقافة الواحدة بينما نحن في الحقيقة –«أمتان» و «ثقافتان»». والملاحظة الثانية: هي على قول الدكتور نصر: إن «العقل هو مركز المشروع الإسلامي» والحق أن «العقل» في المشروع الإسلامي –هو واحد من الهدىات الأربع، التي تمثل سبل المعرفة في الإسلام: العقل والنقل والتجربة والوجودان وهذا هو الذي يجعله عقلاً مؤمناً، لأنّه غير منفرد بتحصيل المعرفة، وإنما هو جزء من كل، تتكون منه سبل المعرفة في نظرية المعرفة الإسلامية، أما مركز المشروع الإسلامي، فهو: التوحيد للذات الإلهية في الذات والصفات والخلق والأفعال والتدبير والرعاية والعناية. والاستخلاف الإلهي للإنسان في استعمار الأرض. فهذا هو التصور الإسلامي الجامع لفلسفة «المشروع الإسلامي» في العلاقة بين الله والعالم والإنسان. إله واحد وعالم مخلوق الله، تحكمه وتسيره أسباب، الأخرى مخلوقة لمسبب الأسباب. وإنسان، خليفة الله، قد سخرت له ظواهر العالم والطبيعة لتعيينه على أداء أمانة الاستخلاف في عمران الأرض، وفق

١. المرجع السابق نفسه، ص ١٧.

بنود عقد وعهد الاستخلاف، الأمر الذي يعطى كل مفاهيم المصطلحات - ومنها العقلانية والحرية والعدالة - خصوصيات إسلامية تميزها عن نظائرها في الفلسفات والأنساق الفكرية الأخرى. هذا "مركز المشروع الإسلامي" وجماع التصور الإسلامي والعقل فيه واحد من الهدىيات وليس هو مركز المشروع! أقول هذا وأنا من أكثر الذين خدموا فكر العقلانية الإسلامية - التراثي منه والمعاصر - حتى لقد صرت متهمًا من «الخصوصيين - المقلدين ومن «الظاهرة الجديدة» بأنني رائد التيار العقلاني» - وهو شرف لا أدعه و«اتهام» لا أنفيه. لكن الحق أحق بأن يقال وأجدر بالاتباع!

ثالثاً: السنن

يقول الدكتور عمارة: والملاحظة الأخرى: هي قول الدكتور نصر: "إن سنن التاريخ، هي السنن التي تمثل القوانين الكلية التي عبر عنها القرآن الكريم بسنة الله التي لن تجد لها تبديلاً"^(١). وأنا أتساءل: عندما يسمى القرآن الكريم السنن والقوانين بـ «سنن الله»، فلماذا نقول عنها: إنها «سنن التاريخ»؟! إنها في القرآن، مضافة إلى «فاعلها» ﴿سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ حَلَوْا مِنْ قَبْلٍ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾^(٢)، ﴿سُنَّتُ اللَّهِ الَّتِي قَدَّ حَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَيَرَ هُنَالِكَ الْكُفَّارُ﴾^(٣)، ﴿فَلَنْ يَجِدَ لِسُنْتِ اللَّهِ تَبَدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ لِسُنْتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(٤). فلماذا نضيفها إلى «التاريخ»؟ وهل فاعلها هو «التاريخ» وليس «الله»؟! إن التاريخ هو «ظرفها ومحملها وسياقها»، وليس هو الفاعل لهذه السنن والقوانين وتلك مشكلة في «التعبير» - الذي قد لا يكون مقصوداً - تثير قضية تسرب المفاهيم المادية والوضعية إلى ثقافتنا المؤمنة» وذلك من مثل مقولات: «المادة لا تفني، ولا تُسْتَحْدَث»! و«المصريون القدماء أبدعوا التوحيد قبل الديانات»! مع أن الإيمان يعلمنا أن الإنسانية قد بدأت بالنبوة والتوحيد - الخ.. الخ. إن الإنسان في الرؤية الإسلامية، يصنع التاريخ، وفق سنن الله، ولو

١. أبوزيد، نصر حامد. الخطاب والتأويل، الطبعة الأولى، القاهرة، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م، ص ٢٠٥.

٢. الأحزاب: ٦٢.

٣. غافر: ٨٥.

٤. فاطر: ٤٣.

كانت السنن التي لا تبديل لها، هي سنن التاريخ، لما كان بمقدور الإنسان صنع التاريخ، لأنه سيكون عبداً لسنن التاريخ التي لا يستطيع لها تبديلاً ولا تحويلها.

والملاحظة الأخرى: هي على قول الدكتور نصر: (إنه لا خوف على عقائدهنا وديننا من منهجيات العلوم الإنسانية المتطرفة وإنما الخوف من الجمود والتقليل، اللذين يمثلان حصون الدفاع في المؤسسات التقليدية). والرأي عندي وأنا الذي قدمت عشرات الكتب في نقد الجمود والتقليل والدعوة إلى الإحياء والتجدد - أن الخوف يجب أن يكون من شقى التقليد ولوئيه ومصدريه:

(أ) التقليد لتجارب سلفنا ومناهج قدمائنا، والجمود عليها، والوقوف عندها وحدها.

(ب) والتقليل لتجارب الآخر الحضاري، ومناهج العلوم الإنسانية والتصورات الفلسفية عند هذا الآخر، والجمود عليها، والوقوف عندها.

ونقطة البدء - التي لابد من الاتفاق عليها - أو جلاء الاختلاف فيها - مع الحوار حولها - هي:

١. أننا أبناء حضارة متميزة، مع تحديد نطاق التميز وسماته ومعالمه، أي نطاق ومعالم الثوابت الحضارية الإسلامية الممثلة للهوية»، التي تحفظ على الحضارة وحدتها وتواصل إسلاميتها عبر الزمان والمكان.

٢. وأن هذا التميز الحضاري هو معيار القبول والرفض من موروثنا الفكري ومن المواريث الفكرية للحضارات الأخرى.

٣. وأن «التجدد» سنة وقانون أبدى «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ مَّنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»^(١) وأن «الاجتهد فريضة أبدية وهمـا - التجدد والاجتهد - السبيل لتطوير النسق الفكري الإسلامي المتميز من داخله، وأن هذا اللون من التجدد - التطور من داخل النسق - مخالف ومختلف عن الجمود على موروثنا

١. أبو داود، سليمان بن الأشعث البستاني، سنن أبي داود، ٧ أجزاء، الطبعة الأولى، المحقق: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بلي، بيروت، دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩ م، رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب: الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المائة، رقم الحديث: ٤٢٩١ و قال الشيخ الألباني: صحيح، ج ٤ ص ٣٤٩.

والتقليد لسلفنا ومخالف ومختلف عن «الحداثة» التي تنكر «الثوابت»، والتي تقيم قطيعة معرفية» مع الأصول والمنابع والمبادئ والجذور.

أى أن ما نسميه "المعاصرة" ليست هي الحداثة الغربية التي إذا استعرضناها وأضفناها إلى أصالتنا، كنا قد جمعنا الحسينين، وأمسكنا بطرف المجد، وبلغنا غاية المراد من رب العباد، وإنما «المعاصرة» هي تفاعل مع عصرنا نحن، وإذا كانت لنا أصالة متميزة -وهي كذلك- فإن معاصرتنا -أى تفاعلنا مع عصرنا، لابد وأن تكون متميزة كذلك. ويزيد من أهمية هذه الملاحظة، ما حدهه الدكتور نصر لأمتنا من مهام، أوجزها في عبارة «اللحاق بركب التقدم والمدنية» وهو قول يثير تساؤلنا: -هل مهمتنا- حقا هى اللحاق بالركب؟! أم أنها هي النهوض لقيادة ركب متميز حضاريا؟!. إن اللحاق بالركب هو أمنية المهزوم نفسيا -اللحاق بركب المنتصر-، أما نحن، فإننا نجادل ونماري في أن «الآخر» -المنتصر ماديا- هو «المتقدم» بالمعنى الحقيقي والمتكامل والمتوازن «للتقدم». فللتقدم مفاهيم متعددة وللحضارات فيه مذاهب شتى، ومذهب الإسلام في التقدم، متميز عن المذهب الباطني - الذي يسعى إلى «فناء الخلق في الحق -وعن المذهب المادى والوضعى- الذى يضع الخلق على عرش الحق» ومن ثم فإن مهمة المشروع الإسلامي ليست «اللحاق بالركب»، وإنما النهوض لقيادة ركب حضارى متميز، يجسد نموذجا حضاريا متميزا يكون فيه الخلق خلفاء للحق. وإذا كانت مأساتنا هي الفقر في «الإبداع» ، والإفراط في «التقليد»، فإن الإبداع سيظل غائبا من حياتنا ما لم نتفق على أنها أصحاب نموذج حضارى متميز وإلا فما الحاجة للاختراع والإبداع إذا كانت «البضاعة - النموذج» جاهزة، ومعلبة، ومعروضة من قبل الآخرين؟!^(١)

والملاحظة الأخيرة - هي حول دعوى الدكتور نصر حامد أبو زيد أن المبادئ الثلاثة - التي يقترحها لتكون مقاصد للشريعة - وهي العقلانية والحرية والعدالة - هي برأية المبادئ الكلية، بينما المبادئ الخمسة التي حددتها القدماء مقاصد للشريعة - والتي بلغت ستة عند الطاهر بن عاشور وهي: الدين، والعقل، والنفس، والعرض، والمال، والحرية - هي برأى الدكتور

١. انظر: عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق. ص ١٩.

نصر - «مبادئ جزئية» وليس كلية وأنها يمكن أن تدرج تحت مبادئ الدكتور نصر. والسؤال هو: هل هذا صحيح أم أن العكس هو الصحيح؟!

ملخص: إننا إذا تأملنا المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية، كما استنبطها وحددها الأصوليون - وإذا أعطتها عقلنا المعاصر أبعادها الحقيقة - وهي أبعاد مفتوحة الأبواب والميادين أمام الاجتهاد الإسلامي، فسنجد أنفسنا أمام منظومة جامعة لأركان ومقومات وضرورات الاجتماع الإنساني، تلك التي بدونها لا يستقيم «العمران البشري على صراط الفطرة الإنسانية السوية». فالحفظ على «النفس» هو التعبير عن «الإنسان»: حامل أمانة إقامة العمران ومكانته السامية في العمران الإنساني. والحفظ على «العقل» هو التعبير عن جوهر إنسانية الإنسان، الذي تميز به عن سواه من المخلوقات، عندما انفرد بالتكليف الاختياري، الذي تأسست عليه «المسؤولية والحساب والجزاء» والحفظ على «الحرية» - وهو المقصود الذي أضافه الشيخ الطاهر بن عاشور - هو المعبر عن الأمانة التي حملها الإنسان في الاستخلاف، بعد ما أبى المخلوقات الأخرى حملها وفي نطاقها وحدودها تمثل المذهبية الإسلامية التي حددتها نظرية الخلافة والاستخلاف. والحفظ على العرض والنسب هو التعبير عن قوام وأسس بناء «الأسرة»، أولى لبناء المجتمع في كيان الشعب والأمة. والحفظ على «المال» هو التعبير عن قوام الرخاء الإنساني والعدالة الاجتماعية وزينة الحياة الدنيا بعمران الواقع المادي لهذه الحياة. والحفظ على «الدين» هو التعبير عن ضبط كل مقومات العمران الإنساني بالضوابط الإلهية، التي تحفظ لهذا العمران - مع التطور والارتقاء - الروح الإلهية والصبغة الدينية التي تضمن التواصل والوحدة في «الهوية»، رغم «متغيرات الزمان والمكان» وذلك على النحو الذي يجعل هذا العمران الإنساني: عمران الإنسان: الخليفة لله، وليس عمران الإنسان: المتمرد على مولاه! تلك هي مكانة مقاصد الشريعة من قضية العمران «البشري» وهي مكانة: المبادئ الكلية الحاكمة والمقومات والضرورات. وإذا كان التأمل - بادي الرأى - ومن الكافية، فضلا عن أهل الاختصاص - يقول إن المبادئ الثلاثة التي يقترحها الدكتور نصر هي موجودة بالفعل في الكليات الست التي حددها الأصوليون. فمن الذي يستوّع من؟! وأين الجديد الذي أثمرته القراءة الجديدة للنصوص الدينية، بالمناهج الجديدة التي غفل عنها الأصوليون، - عندما وقفوا فقط عند الدلالات اللغوية - كما ادعى

عليهم الدكتور أبو زيد؟! إن «العقلانية» -التي يقترحها الدكتور نصر- هي منهاج في النظر، مكانها الطبيعي في المبدأ الكلى - مقصود: الحفاظ على العقل _ كذلك العدالة_ كمنهاج في حل المشكلة الاجتماعية -مندرجة في المبدأ الكلى- مقصود: «الحفاظ على المال»، و«الحرية»: مقصود قائم بذاته -أضافه الشيخ الطاهر بن عاشور- فليس هناك -كما رأينا جديداً تضييفه القراءة «الجديدة» للدكتور نصر في هذا المجال. اللهم إلا إذا كان الجديد هو الخوف والاستبعاد، وليس الإضافة والاستيعاب. وإذا كان من غير المتصور أن يدعو الدكتور نصر إلى الحذف والاستبعاد لمبدأ «الحفاظ على النفس _أى الإنسان والحياة_ فإن النتيجة الوحيدة لهذه القراءة «الجديدة»، والمقترنات الجديدة ستكون استبعاد مبدأ «الحفاظ على العرض» و «الحفاظ على الدين» من مقاصد الشريعة الإسلامية، وهي نتيجة أستبعد يسعى إلى تقريرها وتحقيقها الدكتور نصر حامد أبو زيد، بل وأعيذه من أن تكون هذه هي المقاصد الكلية لقراءته الجديدة للنصوص الدينية. ثم من الذى يقول إن مبدأ الحفاظ على الدين هو «مبدأ جزئي»، وليس من «المبادئ الكلية»؟!، فأين تكون الكلية إذا لم تكن في «الإطلاق والخلود والشمول» الذى يختص به الدين، والدين الإسلامي على وجه الخصوص؟! إن أغلب حواراتنا هي ضحايا بائسة للفوضى الشائعة في مصامين المصطلحات. وعلينا -كى يفهم كل منا الآخر، وتحديد مناطق الاتفاق، ومناطق الاختلاف، وتنظيم حوار موضوعى وجاد وبناء، أن نبدأ بتحرير وتحديد مصامين ومفاهيم المصطلحات^(١).

المبحث الثالث: العلمانية الملحدة

المطلب الأول: المصطلح وملابسات النشأة

مصطلح «العلمانية»، هو الترجمة التي شاعت - مصر والشرق العربي - للكلمة الإنجليزية "SECULARISM" بمعنى الدنوي والعالمي والواقعي - من الدنيا والعالم والواقع - المقابل للمقدس أي الديني الكهنوتي النائب عن السماء، والمحتكر لسلطتها، والمالك لمفاتيحة، والخارق للطبيعة وسنته، والذي قدس الدنيا قداسة الدين، وثبت متغيراتها -

١. انظر: المرجع السابق نفسه، ص ٢٠.

العلمية والقانونية والاجتماعية— ثبات الدين^(١). ولأن هذا هو معنى المصطلح، في نشأته وملابساته الأوربية — النزعة الدنيوية والمذهب الواقعي في تدبير العالم من داخله، وليس بشرعية من ورائه— فلقد كان قياس المصدر هو «العلمية» أو «العلمانية». لكن صورته غير القياسية — «العلمانية»— هي التي قدر لها الشيوع والانتشار، والعلمانية، كنزعه في تدبير العالم، وكمنه في المرجعية الدنيوية لشئون الإنسان، لا يمكن فهمها — ومن ثم فهم الموقف الإسلامي منها— بمعزل عن الملابسات الأوربية، لنشأتها في إطار الحضارة الغربية المسيحية، بجذورها الإغريقية الفلسفية، وتراثها الروماني القانوني، والإضافة المسيحية لهذه الجذور وذلك التراث، وإذا كان التفصيل في هذه القضايا هو مما يخرج هذه الدراسة عن آفاقها ومقاصدها، فإننا نكتفى بالإشارة إلى بعض القضايا في شيء من الإيجاز:

لقد ظلت المسيحية، منذ نشأتها وعبر قرون طويلة من حياتها في المجتمعات الأوربية: دينا لا دولة، وشريعة محبة لا تقدم للمجتمع مرجعية قانونية ولا نظاماً ولقد عرفت العلمانية الأوربية — غير التيار المادى الملحد— تياراً مؤمناً بالله استطاع فلاسفته— من أمثال هوبيز (٢) ولوك (٣) وروسو (٤) — التوفيق بين الإيمان بوجود الله خالق للعالم وبين العلمانية التي ترى العالم مكتفياً بذاته، فتحصر تدبير الاجتماع البشري في سلطة البشر المتحركة من شريعة الله، وكان هذا التوفيق مؤسساً على التصور الأرسطي لنطاق

١. انظر: البهى، محمد. العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق، القاهرة، هدية مجلة الأزهر، ١٤٤٠هـ، ص ١٦. وانظر: الحوالى، سفر بن عبد الرحمن. العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، المرجع السابق، ص ٢٠-٢٤.

٢. توماسا هوبيز (١٥٨٨-١٦٧٩م) أبو الفلسفة التحليلية، إنجليزي، اشتهر بأعماله في الفلسفة السياسية. نشره كتابه لوياتان عام ١٦٥١م والذي كان الأساس لمعظم الفلسفة السياسية الغربية من منظور نظرية العقد الاجتماعي. انظر: د. عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص ٥٠٥.

٣. لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤م) يوحنا لوك، يدعى بحق زعيم المذهب الحسى، وأحد كبار ممثلي النزعة التجريبية في إنجلترا، ولقد كان لآراء لوك في السياسة والدين والتربية والفلسفة آثار تجاوزت إنجلترا إلى كل العالم المتحضر، ووضع أساساً تجريبياً جديدة. انظر: د. عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص ٤٠٢.

٤. جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨م) هو كاتب وأديب وفيلسوف وعالم نبات جنيفي، يعد من أهم كتاب عصر التنوير، ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية. حيث أثرت أعماله في التعليم والأدب والسياسة. يُعتبر كتابه: العقد الاجتماعي حجر الزاوية في الفكر السياسي والاجتماعي الحديث. انظر: د. عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص ٢١٦.

عمل الذات الإلهية. فالله في التصور الأرسطي، واحد مفارق للعالم، وحالق له، لكنه قد أودع في العالم والطبيعة الأسباب التي تدبّرها ذاتياً، دونما حاجة إلى تدخل إلهي، أو رعاية إلهية فيما بعد مرحلة الخلق، فالحركة توجد في الشيء بذاته ولذاته لا من حيث أن شيئاً خارجياً هو الذي يحدث فيه هذه الحركة، وعناية الله موقوفة على ذاته، ولا تدخل له في الأحداث الجزئية في العالم والطبيعة^(١)، فالعالم مكتف بذاته، تدبّر الأسباب المودعة فيه، وهو وحده مصدر المعرفة الحقة، القابلة للبرهنة والتعليل، وتدبّر الدنيا مرجعيته الإنسان – بالعقل والتجربة – دون رعاية أو تدبّر أو تدخل من السماء. هكذا استندت العلمانية في تأسيس «دنيوتها» على التصور الأرسطي لنطاق عمل الذات الإلهية – فهو مجرد خالق، فرغ من الخلق وانحصرت عنایته بذاته، دونما رعاية أو تدبّر للمخلوقات – كصانع الساعة الذي أودع فيها أسباب عملها، دون حاجة لوجوده معها وهي تدور! وساعدت العلمانية على الانتصار لهذه النزعة، التصور المسيحي لعلاقة الدين بالدولة، فهو تصور يدع ما لقيصر لقيصر، ويقف بالدين عند خلاص الروح ومملكة السماء، دون أن يقدم شريعة للمجتمع والدولة، الأمر الذي جعل «سجن» الدين في الكنيسة وفي الضمير الفردي «ثورة تصحيح ديني» وليس عدواً على الدين. وساعدتها على ذلك أيضاً، أن التراث الروماني في فلسفة التشريع والتقنين، قد جعل «المنفعة»، غير المضبوطة بالدين وأخلاقياته وشريعته السماوية هي المعيار. فكان الطريق إلى القانون الوضعي مفتوحاً أمام العلمانية، يزكيه هذا التراث. هكذا نشأت العلمانية، في سياق التنوير الوضعي الغربي، لتمثل عزلاً للسماء عن الأرض، وتحريراً للاحتمام البشري من ضوابط وحدود الشريعة الإلهية، وحصرها المرجعية تدبّر العالم في الإنسان، باعتباره «السيد» في تدبّر عالمه ودنياه. فهي ثمرة عقلانية التنوير الوضعي، الذي أحل العقل والتجربة محل الله والدين، وهي قد أقامت مع الدين – في تدبّر العالم – قطيعة معرفية – وبعبارة واحد من دعاة التنوير الغربي – فلم يعد الإنسان يخضع إلا لعقله، في أيديولوجيا التنوير التي أقامت القطيعة الأستنولوجية – (المعرفة) – الكبرى التي تفصل بين عصرين من الروح البشرية: عصر الخلاصة اللاهوتية للقديس توما الأكويني، وعصر الموسوعة لفلسفه التنوير. فراح الأمل بملكه الله ينزاح لكي يخلّي المكان لتقدم عصر العقل

١. د. عبد الرحمن بدوى (موسوعة الفلسفة) – مادة أرسطو طاليس – ص ١٠٤ – ١٠٦ .

وهيمته، وراح نظام النعمة الإلهية ينمحى ويتلاشى أمام نظام الطبيعة وأصبح حكم الله خاضعاً لحكم الوعي البشري، الذي يطلق الحكم الأخير باسم الحرية. إنها عزل السماء عن الأرض، والدين عن الدنيا، وإحلال الإنسان —في تدبير العمران البشري— محل الله! ^(١)

المطلب الثاني: الأصول الإسلامية لرفض العلمانية

يقول الدكتور محمد عماره: إذا كان التصور الأرسطي ل نطاق عمل الذات الإلهية وهو «الخلق» دون «الرعاية والتدبیر للعالم والطبيعة وال عمران الإنساني» وهو التصور الذي لم ينافسه التصور النصراني الذي ترك ما لقيصر لقيصر، دون تدخل من الله في ما لقيصر والذي دعمته فلسفة التشريع الرومانية التي جعلت مقاصد التشريع تحقيق المنافع والمصالح الدنيوية، دونما ربط لها بالأخلاقيات الدينية أو القيم الإيمانية أو السعادة الأخروية، إذا كانت هذه التصورات والمنطلقات في الموروث الحضاري الغربي، قد فتحت الطريق أمام رد الفعل العلماني على استبداد الكنيسة واحتکار الالهوت للدنيا والدولة والمجتمع والمعارف والعلوم، بحسبان العلمانية، التي تعزل السماء عن الأرض، وتحرر العمران الإنساني من الضوابط الدينية، وتطلق الحرية للإنسان في سياسة المجتمع كسيد للكون، بحسبان هذه العلمانية هي الأقرب للتصور الأرسطي ل نطاق عمل الذات الإلهية، ولدعوة النصرانية أن ترك ما لقيصر لقيصر، ولفلسفة التشريع الرومانى في تحرير القانون من القيم الإيمانية والمقاصد الشرعية. فالتصور الإسلامي ل نطاق عمل الذات الإلهية يتعدى حدود الخلق للمخلوقات إلى حيث يكون الله سبحانه وتعالى، أيضاً الراعي والمدبر لكل عوالم وأمم وعمران المخلوقات. لقد سفّه القرآن الكريم تصور الوثنية الجاهلية -وهو ذاته التصور الأرسطي- ل نطاق عمل الذات الإلهية فهو في التصورين مجرد خالق، بينما التدبیر للدنيا وال عمران موكول -في الأرسطية- إلى الإنسان والأسباب المودعة في الطبيعة وظواهرها -وهو- في الوثنية الجاهلية موكول إلى الشركاء والأصنام والطواغيت ^(٢).

١. انظر: عماره، محمد. علمانية المدفع والإنجيل التحالف غير المقدس بين المدفع العلماني وإنجيل المنصرين، الإسماعيلية، مكتبة الإمام البخاري، ٢٠٠٧ م، ص ٥٠.

٢. عماره، محمد. العلمانية بين الغرب والإسلام، الكويت، دار الدعوة للنشر والتوزيع، ١٩٩٦ م، ص ١٨.

لقد سفه القرآن الكريم هذا التصور عندما قال: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَوْيَثُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَائِنُوا ۝ أَسْفَلُتُ صُرُّهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكُوْ رَحْمَتِي ۝ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝ ۲۸﴾^(١). فجعلُ الخلق لله، والتدبیر لغير الله تصور جاهلي مرفوض ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَّ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَعْنَمِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَزْعَمِهِمْ وَهَذَا لِشَرِكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشَرِكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُّ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُّ إِلَى شُرِكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ ۲۹﴾^(٢). فهذه القسمة —الشبيهة بالمفهوم العلماني لشعار: «الدين لله والوطن للجميع». هي سوء حكم للجاهليين يسفهها القرآن ويرفضها التصور الإسلامي لنطاق عمل الذات الإلهية وفي مقابل ذلك يقدم الإسلام تصورها ره لنطاق عمل الذات الإلهية: خالق كل شيء، ومدبِّر كل أمر. حتى ما هو مقدور للإنسان، وداخل في نطاق قدرته وإرادته وفعله، هو فيه خليفة الله سبحانه، يدبِّر الإنسان، بإرادة إلهية، وتکلیف شرعی، ك الخليفة لله، ملتزم بشرعیته، التي تمثل عقد وعهد الاستخلاف، وكعبد لسید الوجود، وليس کسید لهذا الوجود! فله —في التصور الإسلامي— «الخلق» و «التدبیر» جميعا!. قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدْبِرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُهُو أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ ۳﴾^(٣)، ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ ۴﴾^(٤)، ﴿ قَالَ فَنَّ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ۝ ۵﴾^(٥) فَقَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَنِي كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَلَهُ هَدَى ۝^(٦). فليس التصور الإسلامي لنطاق عمل الذات الإلهية بالذى يحدد نطاق عمل الله في الخلق وحده، محراها الطبيعة والعالم والمجتمع والإنسان من معالم وضوابط التدبیر الإلهي والرعاية الإلهية لعوالم

١. الرمز: ٣٨

٢. الأنعام: ١٣٦

٣. يوئس: ٥٣

٤. الاعراف: ٥٤٠

٥. طه: ٤٩، ٥٠

المخلوقات. فكل شيء في هذا التصور الإسلامي، هو لله، حتى ما هو للإنسان فهو له بحکم الاستخلاف والوکالة والنيابة لله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَسُكْنِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) لَا شَرِيكَ لَهُوَ وَيَدِلَّكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(٢) . كفى بهذه الآية وحدها معبرة عن إيمان المسلم بالحضور والتدبیر الإلهي في كل شيء، حتى لتبلغ الحرية الإنسانية ذروتها إذا بلغ المؤمن ذروة العبودية لله؟^(٣) . لقد استأثر، سبحانه، بالخلق والأمر -أى بالإيجاد والتدبیر جميعاً- واستخلفنا في استعمار الأرض، فجعل لنا الشورى في الأمر والتدبیر للعمران والإرادة والقدرة والاستطاعة لإقامة الدين وصناعة العمران وصياغة الحياة وتحديد مسارات التواریخ، كخلفاء الله: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾^(٤) ، ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾^(٥) ، ﴿ يَأْتِيهَا الْذِينَ ءاْمَنُوا أَطْبَعُوا اللَّهَ وَأَطْبَعُوا الرَّسُولَ وَأَوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(٦) ، ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْحَوْفِ أَذَّاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلَّهُمْ لَعِلَّهُمْ الَّذِينَ يَسْتَنْطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَلَا تَبَعِّثُمُ الْشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٧) . هكذا يقطع التصور الإسلامي لنطاق عمل الذات الإلهية على العلمانية، فمحال أن يجتمع ويتوافق في قلب المسلم تصور الله مدبراً لكل شيء ورعايا لكل أمر، مع تصور عزل السماء عن الأرض، وتحرير العمران الإنساني من ضوابط وحدود تدبیر الله وكما تميز ميراثنا الحضاري عن الميراث الحضاري الغربي، في تصور عمل الذات الإلهية، ومن ثم في مكانة الإنسان في هذا الوجود. كذلك تميزت فلسفة التشريع في النسق القانوني الإسلامي -سواء في مبادئ الشريعة الإسلامية وقواعدها ومقاصدها- والتي

١. الانعام: ١٦٢، ١٦٣.

٢. عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص ٣٣.

٣. آل عمران: ١٥٩.

٤. الشورى: ٣٨.

٥. النساء: ٥٩.

٦. النساء: ٨٣.

هي وضع إلهي أم في فقه معاملاتها الذي هو إبداع الفقهاء المسلمين المحكم بمبادئ الشريعة وقواعدها وحدودها ومقاصدها ^(١).

لقد تميزت فلسفة الإسلام في التشريع عندما ربطت المنفعة بالأخلاق و المصلحة بالمقاصد الشرعية و سعادة الدنيا بالنجاة يوم الدين. فأغلقت هذه الفلسفة التشريعية الإسلامية الطريق أمام القانون الوضعي—العلمي مانعة إمكان تعايشه مع النسق التشريعي الذي يحكم سلطات الأمة في التقنين بسيادة حاكمة الوضع الإلهي لحدود الشريعة ومبادئها وقواعدها ومقاصدها. فالمصلحة التي يتغىها القانون الإسلامي هي المصلحة الشرعية المعتبرة وليس مطلق «المصلحة» و «المنفعة» التي يريد الفقه الإسلامي جلبها ليست اللذة أو الشهوة أو مطلق المنفعة بالمعايير الدنيوية الخالصة للدنيا، ذلك لأن المسلم لا يمحض ربه «صلاته» و «نسكه» فقط، وإنما يمحضه، مع الصلاة والنسك، جماع المحيا والممات ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَسُكْنِي وَمَحْيَاتِي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢). تلك هي «العلمانية»: التوجه والنشأة والملابسات وهذا هو موقف الإسلام والفكر الإسلامي منها، سواء في اجتهدات تيار الإحياء والتجديد الحديث، أم في الأصول والمنطلقات الإسلامية أم في إبداع فكرنا الإسلامي الوسيط.

المطلب الثالث: إنبهار بعض المثقفين المسلمين بالعلمانية الغربية

أما الذين انبهروا -من مثقفينا المحدثين- بالعلمانية الغربية، فتبينوا، ودعوا إلى سلوك طريقها في نهضتنا، كما حدث للغربيين في نهضتهم وقالوا عن علاقة الدين بتدبير الدولة والمجتمع والعمان: يا بُعد ما بين السياسة والدين^(٣). "إن السياسة شيء والدين شيء آخر" و"إن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ولا قواماً لتكوين الأوطان"^(٤).

١. انظر: عمارة، محمد. علمانية المدفع والإنجيل التحالف غير المقدس بين المدفع العلماني وإنجيل المنصرين، الإسماعيلية، مكتبة الإمام البخاري، ٢٠٠٧م، ص ٦٧.

٢. الانعام: ١٦٤.

٣. علي، عبد الرزق، الإسلام وأصول الحكم بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، الطبعة الثالثة، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٢٦م، ص ٦٩.

٤. طه، حسين. مستقبل الثقافة في مصر، القاهرة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م، ص ٢٣-٢٤.

فلقد كانوا هم الذين نظروا إلى إسلامنا بمنظار نصراني —فسووا— في علاقة الدين بالدولة والسياسة بين الإسلام والنصرانية، كما نظروا إلى تراثنا وحضارتنا، وإلى «العقل الشرقي» المسلم الذي أبدع هذا التراث وصنع الحضارة، بمنظار غربي.. فرأوا الخلافة الإسلامية كهانة مستبدة تحكم بالحق الإلهي المقدس ورأوا في العقل المسلم عقلاً يونانياً، منذ القدم، وبعد التدين بالإسلام. لأن القرآن —عندهم— كالإنجيل، والإسلام —عندهم— كالنصرانية، ومحمد —عندهم— كان كالآخرين من الرسل، لا شأن له بسياسة الدولة أو تدبير الاجتماع أو بناء العمران؟!. لقد ضربت عقولهم في مصانع الفكر الغربي، فقالوا: إن العقل الشرقي هو —العقل الأوروبي— مرده إلى عناصر ثلاثة: حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن، وحضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه، والمسيحية وما فيها من دعوة إلى الخير وحث على الإحسان». وكما لم يغير الإنجيل من الطابع اليوناني للعقل الأوروبي. فكذلك القرآن، لم يغير من الطابع اليوناني للعقل الشرقي، لأن القرآن إنما جاء متمماً ومصدقاً لما في الإنجيل^(١). وإن الحضارة العربية والحضارة الفرنسية يقومان على أساس واحد، هو في نهاية الأمر الحضارة اليونانية اللاتينية^(٢).

لقد شوهدت المناهج الغربية رؤاهم، وزيفت وعيهم، فرأوا إسلامنا نصرانية وخلافتنا كهانة وقرأنا إنجلترا وشريعتنا قانوناً رومانياً، ومن ثم رأوا «الحل العلماني» هو طريقنا إلى النهوض، كما كان حاله في سياق النهضة الأوروبية الحديثة. وإذا كان هذا «التغرب» أمراً قابلاً للتفسير دون التبرير، فإن الأمر الذي يبلغ في الغرابة حد «الكارثة» هو الموضع الذي قادت إليه العلمانية بعضاً من مثقفينا الذين تمذهباً بمذهبهما، موقع التبعية للحضارة الغربية الغازية، والولاء للمركزية الغربية العنصرية. بل وإعلان التسليم والاستسلام لإرادة الغرب في استلابنا واحتوائنا وإلهاقنا بنموذجه الحضاري في الإدارة والحكم والتشريع، وإلا فماذا تعنيه كلمات الدكتور طه حسين (١٣٠٦ - ١٣٩٣ هـ ١٨٨٩ - ١٩٧٣ م): لقد «التزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهباً في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع. التزمنا هذا كله أمام أوروبا.

١. انظر: المرجع السابق نفسه، ص ٢٧.

٢. طه، حسين. من الشاطئ الآخر، كتابات طه حسين الفرنسية التي جمعت وترجمت بعد وفاته، جمعها وترجمها: عبد الرشيد صادق، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الهلال، ١٩٩٧م، ص ٢٥٨.

وهل كان إمضاء معايدة الاستقلال - (١٩٣٦م) - ومعاهدة إلغاء الامتيازات - (١٩٣٨م) - إلا التزاما صريحا قاطعا أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوربيين في الحكم والإدارة والتشريع؟^(١) إن هذا «الاعتراف» العلماني بالالتزام بما أرمنا به الغرب، من أن «نسير سيرة الأوربيين في الحكم والإدارة والتشريع، ينقل قضية تبني العلمانية في بلادنا إلى مستوى آخر. فالقضية تتجاوز أحيانا دائرة الاختلاف في الفكر، لتصب - بوعى أو بغير وعي - في خانة التفريط في الاستقلال؟! وإذا كان الدكتور طه حسين قد تجاوز هذا الإنبهار بالغرب، والالتزام بما سعت أوربا إلى إرثه^(٢) فإن كلماته هذه تذكرنا بكلمات موقف الشرق وفيلسوف الإسلام جمال الدين الأفغاني، التي قال فيها: «لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة، المنتهلين أطوار غيرها، يكونون فيها منافذ لطرق الأعداء إليها وطلائع الجيوش الغالبين وأرباب الغارات يمهدون لهم السبيل، ويفتحون الأبواب، ثم يثبتون أقدامهم^(٣)!؟» فإسلامية الدولة وإسلامية القانون، فضلا عن أنهما من فرائض الإسلام، فإنهما من معالم الاستقلال الحضاري للأمة الإسلامية ولديار الإسلام.

المبحث الرابع: إستراتيجية التنصير

المطلب الأول: التعريف

التنصير: هو الدعوة إلى النصرانية بين أبناء الديانات الأخرى، أو في أواسط الوثنين واللادينيين، وتسمى هذه الدعوة، أحيانا: «التبشير»، باعتبارها دعوة إلى «الإنجيل»، والإنجيل معناه-باليونانية: «البشارة»، لكن الأدق في التعبير عن الدعوة إلى النصرانية هو مصطلح «التنصير». ولقد ارتبطت دعوات التنصير وحركاته في العالم الإسلامي بمراحل وحقب الاحتكاك الحضاري بين الغرب النصراني والشرق الإسلامي، إذ لم تكن الكنائس

١. طه، حسين. مستقبل الثقافة في مصر، المرجع السابق، ص ٣٧.

٢. انظر: عمارة، محمد. العلمانية بين الغرب والإسلام، الكويت، المرجع السابق، ص ٣٠.

٣. انظر: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة القاهرة، سنة ١٩٦٨م، ص ١٩٦.

الشرقية، منذ الفتح الإسلامي، في الحالات التي تجعل التنصير للمسلمين هدفاً بارزاً من أهدافها، إذ كان همها الأكبر الحفاظ على ما تبقى من رعيتها على نصرانيتهم^(١).

المطلب الثاني: التطور التاريخي للتنصير

وفي حقبة الحروب الصليبية^(٢) لم تمارس الكنائس الغربية في الشرق الإسلامي نشاطاً ملحوظاً في التنصير، فالخلاف الحضاري للغرب، بالمقارنة مع الشرق الإسلامي، وغلبة طابع الصراعات المسلحة، لم تفتح للنصرانية الغربية أبواباً للتنصير في الشرق، باستثناء محاولات فشل أغلبها لاستمالة المسيحيين الشرقيين إلى مذاهب الغرب وكنائسه أما في العصر الحديث وفي ظل الزحف الغربي على الشرق، والذي صادف ضعف الشرق، وتراجعه الحضاري، فلقد اقتربت هيمنة الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة على أقطار الشرق بوفود الإرساليات الغربية التنصيرية إلى بلادنا، سافرة حيناً، ومن خلال المدارس والجامعات والمؤسسات الدينية والثقافية في كثير من الأحيان وإذا كانت حملة بونابرت على مصر (١٢١٣ هـ_١٧٩٨ م) قد مثلت بداية غزو الغرب لقلب العالم الإسلامي، بعد أن التف حوله في العقود الأولى للقرن الخامس عشر الميلادي-فلقد مثلت فترة الوفاق بين محمد على باشا الكبير (١١٨٤ - ١٣٦٥ هـ_١٧٧٠ - ١٨٤٨ م) وبين فرنسا أول اختراق كاثوليكي وهو مذهب النصرانية في فرنسا- للمجتمع المصري، وبالطبع فلم يكن هذا الاختراق على حساب المسلمين في مصر، وإنما كان اقتطاعاً لشريحة من أقباط مصر الأرثوذكس ليتمذهبوها بمذهب الكاثوليك ولقد كان ذلك هو دأب طلائع التنصير الغربي، في محاولاته إقامة قواعد ومواطئ أقدام لمذاهبه وكنائسه في الشرق، إذ كان الأسهل والأمن له تحويل بعض نصارى الشرق عن مذاهبيهم إلى مذاهبه، تمهيداً -بعد إقامة ركائزه في بلادنا- لممارسة الهدف الأول لدعواته وحركاته ، وهو تنصير المسلمين. وبعد تراجع مشروع محمد على باشا، وحصار

١. انظر: عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص ٦٠.

٢. الحملات الصليبية أو الحروب الصليبية بصفة عامة مصطلح يطلق حالياً على مجموعة من الحملات والحروب التي قام بها الأوروبيون من أواخر القرن الحادي عشر حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (١٢٩١ - ١٠٩٦)، كانت بشكل رئيسي حروب فرسان، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الذين اشتركوا فيه وكانت حملات دينية وتحت شعار الصليب من أجل الدفاع عنه وذلك لتحقيق هدفهم الرئيسي وهو السيطرة على الأرض المقدسة كبيت المقدس، ولذلك كانوا يخيطون على ألبستهم على الصدر والكتف علامة الصليب من قماش أحمر.

الغرب لتجربته، وتفكيك عناصر قوتها -والذى بدأ بمعاهدة لندن (١٢٥٦ هـ ١٨٤٠ م)- أخذ تسلل النفوذ الغربي إلى المجتمع المصرى والمجتمعات الشرقية فى الازدياد، وكان التنصير واحدا من آليات الهيمنة الغربية الراحفة على بلادنا، تمهيدا للاستعمار السافر، ودعما لسلطات الاحتلال بعد قيامها. ولأن نصرانية إنجلترا -التي علت كفة نفوذها بمصر- ثم توج هذا النفوذ بالاحتلال، لأن نصرانية إنجلترا بروتستانتية، وهو مذهب الكنيسة المشيخية فى أمريكا. كان التنصير البروتستانتي، بواسطة الإرساليات الأمريكية سباقا إلى العمل التنصيرى فى مصر، على حين استأثرت فرنسا بالشام بل لعل وحدة المذهب فى إنجلترا وأمريكا قد أتاحت للاستعمار أن يدع التنصير المذهبى، لكن بواسطة إرساليات أمريكية إنجليزية فى مصر حتى يكسب من إقامة ركائز النصرانية، دون أن يتحمل أوزار ردود الفعل المحلية لهذا التنصير، الذى بدأت إرسالياته باقطاع نفر من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، الأمر الذى وحد موقف المسلمين والأرثوذكس ضد نشاطات إرساليات التنصير. أما أول تشكيل لأول مجمع للكنيسة المشيخية -البروتستانتية- في مصر، فقد حدث في ١٣ إبريل سنة ١٨٦٠ م، من سبعة أعضاء، لم يكن من بينهم مصرى واحد! ^(١).

المطلب الثالث: ألوان التبشير في أقطار الإسلام

ومن التحديات أيضا في طريق الدعوة في الوقت الراهن، التنصير أو التبشير بالنصرانية بين أوساط المسلمين، خاصة بين العوام والدهماء ومن لاحظ لهم من الثقافة الإسلامية الضامنة للحصانة العقدية والمعرفية. علما أن التبشير المسيحي ليس لونا واحدا بل هو يتعدد حسب نوع الجمهور الذي يراد تعديل أفكاره وتصوراته العقدية والفكريّة، فهناك ما يأخذ صورة النقاش العلمي الجدلّي، وهذا النوع من التبشير ليست له نتيجة إيجابية واضحة، لأن الإسلام أصوله ثابتة لا تتزعزع، مؤسسة على المنطق الذي تنسجم معه كل فطرة سليمة، كما يتماشى معه كل تفكير حر نزيه. وهناك تبشير سوفسطائي يلتجأ إلى التشكيل في أصول الإسلام، وقلب الحقائق، وتحقيق الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، ومحاولة البرهنة على رد القرآن إلى الجذور المسيحية. وهناك أيضا التبشير الذي يتحفى وراء أساليب الرحمة والعمل الخيري، كإقامة المستشفيات وبناء المدارس ورعاية الأيتام وتقديم المعونات العينية في

١. انظر: عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص ٦١.

حالات النوازل والجوانح كالجفاف والمجاعة والفيضانات والحروب.. إلخ. وذلك بهدف القرصنة بعوائد هؤلاء البسطاء وخطفهم من وسطهم الاجتماعي الطبيعي. منطلق أن النفس البشرية مجبولة على التعليق بمن أحسن إليها ^(١).

حتى آلام البشر لم تسلم من استغلالهم، بل إنهم يعتبرونها مشروعًا مسيحيًا ناجعًا!! وفي ذلك يقول مؤلفًا كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية) وأنت إذا أردت أن تعرف مبلغ اهتمام هؤلاء الأطباء بالتبشير لا بالتطبيه فاعلم أن نفراً منهم أنشأوا مستوصفًا في بلدة (الناصر) في السودان، وكانوا لا يعالجون المريض أبدًا، إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح. ولم ينس المبشرون دور المرأة ومقامها وتأثيرها في الأسرة، فوجهوا اهتمامهم إلى التأثير عليها، فأخذوا يبشرون في مستشفيات النساء. كما أرسلوا الطبيبات المبشرات إلى البيوت والقرى النائية بهدف الاتصال مباشرة بالنساء واستخدام نفوذ المرأة في الوصول إلى أهدافهم التي يزعمون بأنها نبيلة، لكنها في الواقع الأمر شرك لخطف عقائد البسطاء من المسلمين بسبب المرض والجهل والفقير ^(٢). وهؤلاء المبشرون يعلمون علم اليقين بأن أعدائهم هم المصلحون المسلمين، لأنهم يدعون إلى الإسلام النقى، والإسلام النقى لا مطعم للتبشير في طرق حماه. يقول المستر بلاس البروتستانتي في كتابه (ملخص تاريخ التبشير): إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق التبشير بال المسيحية في أفريقيا. والمسلم هو العدو اللدود لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضًا إلا من الإسلام ^(٣).

فهذه المشكلة من التحديات الواضحة أمام مسار الدعوة الإسلامية، خاصة في البيئات الفقيرة؛ لأن الدعاة يقع عليهم واجب تعقب هؤلاء المبشرين، ومسح ما نفشو في الأذهان وما أذاعوه من بهتان. غير أن هذا التحدي لا يواجه بالأقوال وحدها. فإن الأقوال «ليست هي السلاح الذي يحارب به التبشير مهما كانت حارة بلغة متينة الحجة، فالآقوال قصارها التحذير من الواقع في أشراف المبشرين. وإنما السلاح الماضي الفتاك في هذا الميدان هو

١. محمد منير حجاب الدعوة الإسلامية التحديات والمواجهة دار الفجر للنشر والتوزيع القاهرة ط١، ٢٠٠٤ م، ص ٧٤.

٢. مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية، صيدا، ص ٦٢.

٣. محمد علي العويني، الإعلام الإسلامي بين النظرية والتطبيق، دار عالم الكتب القاهرة، ط٢، ١٩٨٧ م، ص ٤٧.

المال. ولعمري كيف تستطيع أن تقاوم جمعيات منظمة من ورائها أمم غنية تغدق عليها المال، مجهزة بالجيوش الوفيرة من الرهبان والراهبات والأطباء والممرضات يوحد الجميع أخلاق ممتازة من الصبر والثبات والإيمان الجازم بحسن عاقبة ما وقفوا أنفسهم عليه من ريب أن هذه الصرخة المدوية التي أطلقها الشيخ الإبراهيمي قمينة بأن تنبه القائمين على شؤون الدعوة والإصلاح في العالم الإسلامي، بمدى آثار هذا التحدي، وتداعياته المستقبلية، إذا ترك التبشير يمرح ويختطف العقائد ويشوه الحقائق، في غفلة الذائدين عن حمى الإصلاح والدعوة.

المطلب الرابع: التخطيط وسرعة العمل

ومن خلال المدارس التي أقامتها إرساليات التنصير والكليات الجامعية -من مثل كلية روبرت في استانبول و «الجامعة» «الأمريكية» في بيروت -والتي افتتحت سنة ١٨٦٦ م والجامعة الأمريكية بالقاهرة، والتي افتتحت باسم مدرسة لنكولن للدراسات الشرقية سنة ١٩٢٠ م - من خلال هذه المؤسسات التعليمية بدأ التنصير عمله في بلادنا، فلما تأسست الكنائس البروتستانتية في أغلب البلاد الشرقية، تأسس مجلس كنائس الشرق الأوسط سنة ١٩٢٧ م، وعقد اجتماعه التأسيسي في «حلوان» بمصر وبعد تأسيس الكنائس، التي هي فروع للنصرانية الغربية، بدأت مرحلة العمل على تنصير المسلمين، وشهدت القاهرة سنة ١٩٠٦ م أول المؤتمرات التنصيرية التي تكرست لهذا الهدف، وهو المؤتمر الذي حضره ستون ممثلاً لثلاثين كنيسة وإرسالية، وقاده أبرز المنصرين الغربيين العاملين في الشرق الإسلامي صموئيل زويمر Zwemer (١٨٦٧-١٩٥٢ م) وبعد مؤتمر القاهرة عقد مؤتمر «أدنبرة» ١٩١٠ م، ومؤتمر «لكتاو» بالهند- سنة ١٩١١ م لوضع وتنفيذ ومتابعة خطط التنصير في صفوف المسلمين. وفي الربع قرن الأخير، وبسبب تعاظم مد اليقظة الإسلامية وإدراك إرساليات التنصير ضالة حصادها رغم وفرة الإمكانيات وكثرة الجهد المبذولة للتنصير في صفوف المسلمين، كثر الحديث عن ضرورة مراجعة أساليب التنصير بين المسلمين، وضرورة تكثيف الجهود لمعالجة الصحوة الإسلامية قبل أن تتمكن من إنهاض عالم الإسلام فيفلت نهائياً من قبضة الهيمنة الغربية، وتنجو عقائد أبنائه من مطامع المنصرين. فبدأت سلسلة من المؤتمرات

١. محمد البشير الإبراهيمي، سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (مرجع سابق)، ص ٧٤.

التنصيرية لهذا المستوى الجديد من التخطيط والتنفيذ. «المؤتمر الإنجيلي الأول حول تنصير العالم - في برلين - سنة ١٩٦٦ م، و المؤتمر العالمي الثاني حول تنصير العالم في لوزان - بسويسرا - سنة ١٩٧٤ م، ثم توجت هذه المؤتمرات بأخطر مؤتمرات التنصير، على الإطلاق، مؤتمر «كولورادو» في أمريكا الذي انعقد بمدينة «جلين آيري» في ١٥ مايو سنة ١٩٧٨ م، والذي قرر رفع مستوى طموح التنصير من «التنصير بين المسلمين إلى تنصير كل المسلمين» والذي انتقد تاريخ التنصير وأساليبه ودعا إلى اختراق الإسلام وعالمه_قرآن وثقافته وأنماط وأشكال شعائره وعاداته أهله وتقاليدهم، لوضع المضامين النصرانية في «أوعية إسلامية»، وذلك حتى لا تبدو النصرانية ديانة غريبة، بسبب علاقتها بالثقافة الغربية وتقاليد الكنائس والمنصرين الغربيين، وسلطات الاستعمار الغربي! ^(١)

المطلب الخامس: الجهود والإمكانات

بعد مؤتمر «كولورادو» أقاموا المؤسسة الأم -«معهد زويمر»- ليكون بمثابة «المخ» لكل جهود إرساليات التنصير. هذه الجهود التي تحدثت عنها "النشرة الدولية للبحوث الإرسالية النصرانية" فذكرت من الإمكانيات المتوفرة لديها -حسب إحصاء سنة ١٩٩١ م، ١٢٠,٨٨٠ مؤسسة مخصصة لتنصير المسلمين، تمتلك ٩٩٢٠٠ معهداً لتأهيل المنصرين، و ٤,٢٠٨,٢٥٠ منصراً محترفاً، و ٨٢,٠٠٠,٠٠٠ حاسباً آلياً (كمبيوتر) و ٢٤,٠٠٠ مجلة، و ٢,٣٤٠ محطة إذاعة -مسموعة ومرئية-، و ١٠,٦٧٧ مدرسة، يدرس فيها ٩,٠٠٠,٠٠٠ طالب، و ١٠,٦٠٠ مستشفى، ٦٨٠ داراً للعجزة والمسنين، ١٠,٠٥٠ صيدلية. أما ميزانية إرساليات التنصير -في سنة ١١٩٩١ م- فهى ١٦٣,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ مليارات من الدولارات ولقد اختصت إفريقياً من هذه الإمكانيات التنصيرية بـ ١٤,٠٠٠ منصراً و ١٦,٠٠٠ معهداً لتنصير، و ٥٠٠ مدرسة لاهوتية، ٦٠٠ مستشفى! أما الدخل السنوى للكنائس العاملة في التنصير فهو ٩,٠٠٠,٠٠٠ دولاراً .. على حين يبلغ الدخل السنوى للإرساليات التنصيرية ٨,٩٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولاراً ^(٢).

١. المرجع السابق نفسه، ص ٦٢.

٢. انظر: عمارة، محمد. استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، طبعة مالطا، سنة ١٩٩٢ م.

المبحث الخامس: التنوير والتزوير

المطلب الأول: شرح المصطلح وتطوره

التنوير - كمصطلح شائع في الحياة الفكرية- هو مصطلح أوربي النشأة والمضمون والإيحاءات، بل إنه عنوان على نسق فكري ساد في مرحلة تاريخية من مراحل الفكر الأوروبي الحديث. حتى ليقال كثيرا في تقسيم مراحل هذا الفكر: «عصر التنوير» أو "هذا المفكر من عصر التنوير" أو "هذا الفكر من أفكار «عصر التنوير» أو ضد أفكار ذلك العصر وفي تعريف مجمع اللغة العربية للمصطلح -تنوير- Enlightenment يقول عنه: إنه «حركة فلسفية، في القرن الثامن عشر، تعتمد بالعقل والاستقلال بالرأي وتومن بأثر الأخلاق، وتقوم على فكرة التقدم والتحرر من السلطة والتقاليد. ولما كانت السلطة والتقاليد، التي كانت متحكمة وسائلة في أوروبا قبل هذا التاريخ -القرن الثامن عشر الميلادي- هي السلطة الدينية الكهنوتية الكنسية، وتقاليدها التي جمدت واقع الحياة ونظريات العلوم. فإن الاستقلال بالرأي الذي مثله «التنوير الأوروبي» كان استقلالا عن هيمنة الفكر الكنسي وعقلانية رافضة للكهنوت وتحررا من صورة المسيحية التي كانت سائدة يومئذ وتقديما عن الفكرية التي فرضها رجال الدين على أوروبا قبل عصر التنوير. ففي مواجهة (ال فعل) -الذى تمثل في تحالف الكنيسة والإقطاع- كان رد الفعل التنويرى، والذى أعلن رفضه لسلطان الدين، ورفع شعاره القائل: "لا سلطان على العقل إلا للعقل" وإذا كانت جذور التنوير -بهذا المعنى- يمكن أن تعود إلى «فرنسيس بيكون»^(١)-في القرن السابع عشر- الذي رفض تدخل الدين في المعرفة، لأن الدين يحد من كل ألوان المعرفة. فإن هذه الجذور قد تميزت، منذ بزوغ فجرها بتعليق الأمال على العقل والعلم والفلسفة، جاعلة منها -بدليلا عن الدين والتدين- بل وبدلا من الله - «آلهة التنوير»^(٢). أما القرن الثامن عشر الميلادي، فهو الذي شهد صعود موجة الفكر التنويري، وتوالى أعلام التنوير، من مثل فولتير» (١٧٣٤ - ١٧٧٨) و

١. فرنسيس بيكون (بالإنجليزية Francis Bacon) (٢٢ يناير ١٥٦١ - ١٥٦٦ م) فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي، معروف بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على «الملاحظة والتجربة». من الرواد الذين انتبهوا إلى عدم جدوا المنطق الأرسطي الذي يعتمد على القياس. انظر: د. عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص ١٢٨.

٢. عمارة، محمد. الإسلام بين التنوير والتزوير. الطبعة الثانية، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٢م، ص ٢٢.

«روسو» (١٧١٢-١٧٧٨م) و «مونتسكيو» (١٦٨٩ - ١٧٥٥م) و «هيردر» و «ليسنجر» (١٧٢٩ - ١٧٨١م) و «شيلر» (١٧٥٩ - ١٨٠٥م) و «جوتة» (١٧٤٩ - ١٨٣٢م) وكانت^(١) (١٧٢٤ - ١٨٠٤م) الخ.. حتى لقد سمي هذا القرن بعصر التنوير. وإذا كان القرن الثامن عشر هو عصر التنوير الأوروبي، فلقد كان «فولتير» أبرز فلاسفة ومفكري هذا التنوير فلقد دعا إلى تمجيد العقل، بدليلاً عن قداسه الدين، وشن حملة شعواء ضد الدين والكنيسة، وأنكر عالم الغيب، والبعث، والجزاء الأخرى، وقال إن النفس ليست إلا حياة الجسم، وأنها تفني بفنائه وليس مقدس سوى الطبيعة نفسها، وكتب كثيراً في نقد الدين، الذي اتخذه رجال الكنيسة وسيلة لإرباك أذهان الناس، واستخدمه الملوك لسلب أموالهم، وجعل مقاييس الفضيلة في مدى ما تتحققه من الخير الاجتماعي، قاطعاً العلاقة بينها وبين طاعة الله، أو الثواب والعقاب بعد الموت. وحتى في قضية وجود إله في هذا الكون، فإن تذبذب «فولتير» - عبر مراحل تطوره الفكري - إزاء الإيمان بـإله، قد ظل في دائرة الإنكار الكامل والإلحاد التام أو في دائرة الاعتراف بوجوهه من باب الضرورة لضبط سلوك «العامة». فالدين مجرد منفعة عامة و إذا كان لديك قرية واحدة، تحكمها فينبغي أن يكون لها دين»! و إذا لم يكن الإله موجوداً، فيجب علينا أن نبتدعه! و «قد يكون ثمة بعض النفع في الدين، ولكن الرجل الأريب لا يحتاج إليه لتعزيز الفضيلة ولما مال في أخرىات حياته إلى التسليم بوجود إله، رأه مختلفاً كل الاختلاف عن إله النصرانية. فدعا إلى دين: الله والتسامح. لأن الطبيعة بأسها تصيح فيما أنه موجود فعلاً، أما بالنسبة للسيد الإبن (المسيح) والسيدة أمه (مريم العذراء) فتلك مسألة أخرى»؟! على حد تعبيره.

ولقد انتشر فكر التنوير بهذا المعنى: تمجيد العقل وحده، بل وعبادته في إنجلترا وفرنسا، ناشراً معه الكفر والإلحاد والنزعة المادية. فقال «هوبز»^(٢): ليس في الوجود إلا ذرات في

١. أوجست كونت (١٧٩٨/١٨٥٧م): فيلسوف فرنسي، مؤسس الفلسفة الوضعية التي ترفض الميتافيزيقيا وتعتمد على نتائج العلوم الطبيعية الحديثة، ومذهبه مبسط في كتابه: «محاضرات في الفلسفة الوضعية». انظر: الموسوعة العالمية ٢٠/٢٨٨.

٢. توماس هوبز (١٦٧٩-١٥٨٨م) أبو الفلسفة التحليلية، إنجليزي، اشتهر بأعماله في الفلسفة السياسية. نشره كتابه لوياثان عام ١٦٥١م والذي كان الأساس لمعظم الفلسفة السياسية الغربية من منظور نظرية العقد الاجتماعي. انظر: د. عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص ٥٠٥.

فراغ، وبلغ هذا المعنى للتنوير ذروته إبان الثورة الفرنسية - (١٧٨٩م) - عندما اتخد الباريسيون معبودة حسناء أطلقوا عليها: «إله العقل»، وقالوا: إنهم أنزلوا الله من ملكته، مع إنزالهم أسرة البوربون عن عرشها! وحتى نفهم هذا المعنى للتنوير الأوروبي، لابد من فهم الواقع الفكري الذي جاء هذا التنوير رفضا له وثورة عليه. كانت الكنيسة قد غرقت في الفساد والاستبداد، وجمدت الحياة الدنيا والمعارف والعلوم عندما قدستها وثبتتها بوضعها في قوالب الالهوت المقدس والثابت، وساد الاضطهاد، لا للملاحدة أو المخالفين في الدين فحسب، بل وللمخالفين في المذهب وللعلماء حتى لقد كانت العقوبة على إقامة قداس بروتستانتي، في مجتمع كاثوليكي: سجن النساء مدى الحياة، وإرسال الرجال للتجديف حتى الموت، وإعدام الكهنة! وكانت المواكب تسير في ذكرى المذابح الدينية شاكرا لله؟! وكانت القوانين تبيح للآباء إعدام أبنائهم العاقين استناداً إلى سفر التثنية (الإصحاح ٢١ - الآيات ١٧ - ٢١) وإلى إنجيل متى (الإصحاح ١٥ - الآيات ٤ - ٦). تلك كانت الملابسات الأوروبية، التي أفرزت هذا المعنى الخاص للتنوير في أوروبا ^(١).

المطلب الثاني: معنى التنوير عندنا

أما في المصطلح العربي، فإن «التنوير» هو: وقت بزوع أشعة نور الصباح - وقت إسفار الصبح، والقرآن الكريم «نور»: ﴿فَإِذَا أَنْشَأْنَا نُورًا فَنَّمِيَ الْمَلَائِكَةُ إِذَا يَرَوْنَ نُورًا﴾ ^(٢) والإسلام «نور»: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَكْبَرُ مِنْ أُولَئِكَ الظَّالِمِينَ إِنَّ اللَّهَ نَّارٌ﴾ ^(٣) والرسول «نور»: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ^(٤) والحكمة «نور» كما قال لقمان الحكيم لإبنه: «فَإِنَّ اللَّهَ يُحِيِّ الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ وَالصَّلَاةِ نُورُ الْمُؤْمِنِ»، فالمؤمن بذلك كله مستنير وله تنويره الإسلامي الخاص. وإذا كان هذا «التنوير الإسلامي» هو التنوير بـ «الإسلام» أى النظر بعقل مؤمن في المنابع الجوهرية والنقية للإسلام، لفقه أحكامه، واستلهام إجاباتها على

١. انظر: عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص ٥٦.

٢. التغابن: (٨).

٣. البقرة: (٢٥٧).

٤. المائدة: (١٥).

علمات استفهام الواقع المعاصر. بعد فقه هذا الواقع -عقد القرآن بين «فقه الواقع» و فقه الأحكام، فإن التنوير الغربي -الوضعى-العلماني- قد أقام ويقيم قطيعة الموروث الدينى، رافضا استلهامه أو التزامه أو الانطلاق منه. لقد مثل ويمثل طورا جديدا تجاوز ويتجاوز الإصلاح الدينى الغربى، فهذا الإصلاح البروتستانتي قد حرر العقل من الكهانة دون أن يحرره من الدين، أما التنوير الغربى فإنه يحرر العقل من الدين، ويقيم قطيعة معرفية كبرى مع الموروث الدينى، وذلك بإقامته التناقض والتضاد بين «العقل وبين «النقل» ورفضه أن يكون هناك سلطان على العقل إلا لهذا العقل وحده .وفي شهادة تنويرية على حقيقة هذه القطيعة المعرفية الكبرى، نقرأ لواحد من دعاة هذا التنوير: «كان المسيحي الناتج (أو المتأول) عن حركة الإصلاح البروتستانتي حريصا -على المستوى الدينى - على عدم تقديم الطاعة إلا لله وكتابه، لا لكتبه ولا لخليفة أى البابا.

وأما الآن -أى مع التنوير- فقد تم اجتياز عتبة ثانية: فلم يعد الإنسان يخضع إلا لعقله الذى يستطيع أن يحاكم الأشياء بذاتها إن هذه الأيديولوجيا الأم، التي اكتشفها عصر التنوير للعالم والتي تضاد المسيحية عن طريق الخروج منها تحمل اسم رمزا، كان مثلاً بالمعنى ومشحونا بدلالة الواقع في القرن الماضي: إنه الليبرالية. وكانت جدتها من القوة حيث أنها قاومت كل محاولات الكاثوليكية للقضاء عليها أو على معارضتها. وكانت سلالتها التالية خصبة وصراعية داخلية، لأنها من رحمها خرجت الاشتراكية. إن هذه الأيديولوجيا -التنوير- هي الأم، بمعنى أن كل ما يتفرع عنها يتولد عن تطويراتها وتناقضاتها، دون أن ينقض القطيعة الأبوسٹمولوجية (المعرفية) الكبرى التي تفصل بين عصرين من الروح البشرية: عصر الخلاصية اللاهوتية للقديس توما الأكويني، وعصر الموسوعة لفلاسفة التنوير. فمنذ الآن فصاعدا راح الأمل بملكية الله ينراح لكي يخلع المكان لتقدم عصر العقل وهيمنته. وهكذا راح نظام النعمة الإلهية ينمحى ويتلاشى أمام نظام الطبيعة، لقد أصبح الإنسان وحده مقياسا للإنسان⁽¹⁾. ففارق شاسع بين تنوير إسلامي، ينطلق من الدين وبين تنوير غربى- وضعى -

١. انظر : هشام صالح . مجلة (الوحدة) - التي تصدر بالمغرب عدد: فبراير - مارس سنة ١٩٩٣ م، ص ٢٠، ٢١، والنص لأميل بولا، في كتابه (الحرية العلمنة : حرب شطري فرنسا وبدأ الحداثة) - منشورات سيرف . باريس سنة ١٩٨٧ م.

علماني-لا ديني - يقيم قطيعة معرفية كبرى مع الدين .. ويمحو نظام النعمة الإلهية لحساب نظام الطبيعة: ومن هذا التنوير الغربي ولدت في الغرب - الليبرالية والاشراكية كليهما! (١).

المطلب الثالث: إيجاز مقولات التنوير الغربي

وإذا نحن شئنا إيجاز مقولات التنوير الغربي، فلن نجد أفضل من ذلك الذي صنعه واحد من أكثر أنصاره والمروجين لمقولاته في واقعنا الفكري المعاصر -الدكتور مراد وهبة- فلقد لخص المقولات العشر لهذا التنوير فقال، إنها:

١. أن الإنسان حيوان طبيعي اجتماعي، فهو جزء من الطبيعة، وهي التي تزوده، فهو أقرب إلى الحيوان منه إلى الله - فليس خليفة الله، خلقه وكرمه بأن نفح فيه من روحه، وفضله على سائر المخلوقات .. وسعادة هذا الإنسان دنيوية ممحضة، يجدها في العاطفة والشهوة وحدهما».
٢. «وحصر الاهتمامات الإنسانية بقضايا العالم الراهنة ، والطبيعة المحسوسة لا العالم الآخر ، أو ما وراء الطبيعة.
٣. والوقوف في الدين، عند الدين الطبيعي، الذي هو إفراز بشري من صنع العقل، لا الدين السماوي المتتجاوز للطبيعة. واعتبار الشعور الديني مزيجا من الخوف الخرافي والرغبة في تغيير ظروف مؤلمة.
٤. وتحرير العقل من سلطان الدين، وإعمال العقل دون معونة من الآخرين، وجعل السلطان المطلق للعقل، بحيث لا يكون هناك سلطان على العقل إلا للعقل وحده (٢).
٥. وإحلال العلم محل الميتافيزيقا وعدم تجاوز الملاحظة والتجربة إلى ما وراءهما من سبل المعرفة «النقلية» و الوجودانية.
٦. واعتبار الفكر وظيفة الدماغ .. فالدماغ يفرز الفكر كما تفرز الكبد الصفراء . وليس هناك نفس في الإنسان.
٧. وإثارة الشكوك في مشروعية المطلق، فالإنسان هو مقياس المطلق.

١. انظر: عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص ٥٧.

٢. عمارة، محمد. إسلامية المعرفة ماذا تعني؟، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ٢٠٠٦ م ص ١١٠.

٨. واستنباط الأخلاق من الطبيعة الإنسانية .. وحصر علاقتها بالسعادة واللذة ، لا بالفضيلة والاحتياجات الروحية .. مع جعل الأولوية للإحساسات الفيزيقية على المفاهيم الأخلاقية والعقلية، فالأخلاق من صنعنا ومن ثمرات خبراتنا، وهي مستندة إلى الحالة الفيزيقية.
٩. وإحلال الاجتماعية محل «الدينية» سبيلا لتحقيق السعادة الدينية بالعاطفة والشهوة ، فالطبيعة هي التي أوجدت الإنسان ، والمجتمع هو المسئول عن سعادته.
١٠. ورد القوانين إلى أصول فيزيقية وتاريخية وتحرير التاريخ من السنن الإلهية، وتفسيره بمفاهيم طبيعية أو مفاهيم خلقية نابعة الطبيعة الإنسانية^(١). فهو تنوير مادي يجعل الإنسان حيوانا طبيعيا، ويقطع جميع الصلات بينه وبين الله والدين
- ملخصا: قد نبهنا الدكتور محمد عمارة إلى أننا قد أصبحنا أمام درجة من الاستقطاب في حياتنا الفكرية والثقافية، تقترب من الطائفية الثقافية، ومن الغلو الذي تقطع أطرافه كل الجبال مع الآخر، وهو ما يهددنا جميرا بنزيف داخلي شديد الإنهاك وطويل المدى يحرسه الخارج، الذي لا يرى إلا مصالحه وهيمنته، ولا يقنع بأقل من التبعية له والذوبان فيه! وهو ما يستدعي وقفة مع الذات أى مع كل التيارات الفكرية المنتسبة حقا إلى هذه الذات الوطنية والقومية والإسلامية، وقفة تستهدف حوارا وطنيا وقوميا وإسلاميا لاكتشاف معالم عقد الاستقلال الوطني والقومي والحضاري. فلابد من الاتفاق على تحقيق استقلال الوطن أولا ليتمكن بعد ذلك، كل صاحب أيديولوجية من التبشير بأيديولوجيته في هذا الوطن المستقل وإذا كان السبيل إلى هذه الغاية حوارا فكريأ تعالج به هذا الانقسام الفكري غير المسبوق في تاريخنا، فإن شرطا من شروط نجاح هذا الحوار هو تحرير المفاهيم والمصامين للمصطلحات المتدولة بين تياراتنا الفكرية، ليتحقق للمتحاورين الحديث بلغة واحدة. إنقاذا لحوارنا المنشود من المصير البائس حوار الطرشان. وهذه الدراسة تضع عقول مختلف الفرقاء أمام مضمون مصطلح التنوير، تكتشف حقيقته، وحقيقة الأرض المشتركة بين الفرقاء المتصارعين

١. د . مراد وهبه (مدخل إلى التنوير)، طبعة القاهرة والكويت سنة ١٩٩٤ م، ص ٢٥ - ٧٠ .

باسمه وحوله! وتبين حجم (الخداع المفاهيمي الذي يسببه استخدام المصطلح الواحد بمفاهيم وخلفيات ومصطلحات مختلفة. بل ومتباينة، وأحياناً متناقضة. تلك هي مهمة الدراسة، التي ندعوا الله أن يجعلها إسهاماً في الدعوة بالتي هي أحسن إلى كلمة سواء.

الباب الثالث:

منهجية الدكتور محمد عمارة في مواجهة الشبهات

والإفتراءات

الفصل الأول: في الرد والنقد للشبهات

المبحث الأول: في الرد على الماركسية

المبحث الثاني: في الرد على العلمانية

المبحث الثالث: في نقد الحضارة الغربية

المبحث الرابع: في نقد ظاهرة الحداثية

الفصل الثاني: في الرد والنقد على الإفتراءات

المبحث الأول: إشكاليات في قراءة النص الديني وتفسيره

المبحث الثاني: إفتراءات حول الإسلام والحاكمية

المبحث الثالث: إفتراءات حول الإسلام وحقوق المرأة

المبحث الرابع: إفتراءات حول الإسلام والإرهاب

الفصل الأول: في الرد والنقد للشبهات

المبحث الأول: نقد الدكتور محمد عمارة للماركسيّة

تمهيد: تعتمد الماركسيّة على مبدأ أساسي وهو أن المادة مستكفيّة ب نفسها، مستغنّية عن خالق لها، هي بذلك تجعل المادة بديلاً من الله الذي تعتبره خرافة، وترى أن فكرة الألوهية إنما هي فكرة تطراً على الشعوب حال شعورها بالضعف، واعتماد الماركسيّة على المادة يسري حتى في تفسير العالم والخلق والوجود والمصير والتاريخ واللغة، بل وحتى أحلام الإنسان ومشاعره^(١).

والمادّية الجدلية تجعل الفكر نتاج المادة الأعلى، وهو عملية يتم بواسطتها انعكاس العالم الموضوعي بما فيه من مفاهيم وأحكام، وكذلك النظريات فالتفكير يعكس الواقع المادي بهدف تحويله إلى نتاج اجتماعي، فالمادة والواقع الاقتصادي هما القاعدة التي يتشكّل فيها ويخرج عنها ويصدر منها الفكر والمفاهيم في الأحكام والدينات. ويرى عمارة أن اعتبار المادة هي الأساس وهي مستكفيّة ب نفسها، مستغنّية عن خالقها، فهذه النصوص شاهدة على العداء للإسلام بين الماركسيّة والدين، ويعتبر أن الاتهام الذي يوجهه أبو زيد للخطاب الديني كونه يقصي المادّية ويشير إليها بالإلحاد، وإن سبب هذا العداء هو ليس نظريتها في التغيير أو الوعي الإنساني، وإن أساس العداء هو نظرية الماركسيّة في التغيير الماركسي للعالم، والوعي الماركسي و موقفها الذي تفسّر به كل شيء على أساس الملكية والمسألة الاقتصادية و موقفها من الحرية وحقوق الإنسان^(٢). لذا يجعل محمد عمارة من الماركسيّة الحاملة للإلحاد والمستخدمة له كوسيلة تسيطر بها على الحكومات والشعوب، يجعل من سقوطها انتصاراً للمؤمنين ونصرًاً منه تعالى.

١ . محمد عمارة: التفسير الماركسي للإسلام، ص ٣٤.

٢ . المصدر نفسه، ص ٣٥-٣٩.

المطلب الأول: النشأة والتطور التأريخي

ظهرت الماركسية كمذهب وتيار فكري، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في شرق أوروبا، وسميت كذلك نسبة لمؤسسها كارل ماركس (1818 - 1883م)، حيث استوحى نظريته من التراث الفكري آنذاك، والذي عاصر فيه الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، الاقتصاد السياسي الكلاسيكي الانجليزي والاشتراكية الفرنسية، حيث كانت نظريته مادية بحتة، بعيدة عن الميتافيزيقة والمثالية تدور حول ملكية الأفراد لوسائل الإنتاج، والتي تملّكها الطبقة الرأسمالية وطبقة البروليتاريا الكادحة، وتطور المجتمع من طبقة إلى أخرى، حيث لا يتم هذا التحول إلا بوجود الصراع بين هذه الطبقات، كما وضع قوانين جدلية وتاريخية واتخذها كمنهج لنظريته، حيث كان يطمح إلى قيام مجتمع شيوعي إلا أن هذا الطموح اصطدم بواقع الرأسمالية المتعصب ولم تضمه الرأسمالية لتحول محل الاشتراكية ومن ثمة الشيوعية، هذا ما أدى ببعض المفكرين، لنقد نظرية نظرية ونعتها بالناقصة، ليأتي من بعده تلامذته، والمعجبين من المفكرين بنظرية واتبعوا خطاه ودرسوا الواقع المعاش بتطبيق النظرية الماركسية الكلاسيكية عليه، فوجدوها تحوي نقائص مما اضطربوا إلى تحديث النظرية التقليدية، واكتشفوا طبقة وسطى، في المجتمع واضافة بعض المفاهيم التي كانت غائبة عن كارل ماركس، مع حفاظهم على الأساس ولب النظرية الكلاسيكية إذا يمكننا القول أن الماركسية، حركة فكرية اقتصادية اجتماعية، سميّت كذلك نسبة لمؤسسها الأول كارل ماركس^(١).

المطلب الثاني: تعريف الدكتور عمارة للماركسية

ويعرفها الدكتور محمد عمارة بقوله: "إن الماركسية كما يعلمها المبتدئون والمتعمدون، وأنا واحد من الذين درسوها، وعاشو تجربتها النظرية والعلمية قبل ما يقرب من النصف قرن، هي

١ . كارل ماركس (1818 - 1883م) من أصل يهودي، فيلسوف ألماني وثوري محترف، كان المؤسس الرئيس لحركتين جماهيريتين قويتين هما: الاشتراكية الديمocrاطية والشيوعية الثورية ويعُد كتابه رأس المال من أشهر مؤلفاته. انظر: الموسوعة العربية العالمية ٢٢ / ٦٣.

فلسفة مادية... ترى كما يقول واحد من أساتذتها أن المادة مستكفيّة ب نفسها، مستغنّة عن خالق يوجدها^(١).

وفي هذا الشأن فإن الدكتور محمد عمارة، ينظر إلى الماركسية، بأنها فكر يدعو إلى تبني النّظرة الإلحادية، بعدم تبرير وجود الخالق، (لا إله والحياة مادة) و أرحام تدفع وأرض تبلغ، وأن الاعتقاد بوجوده فكرة رجعية، فالله في نظر الماركسية خرافة، حيث يقولون: (إن الشعوب في لحظات الضعف اخترعت الآلهة، وفي لحظات القوة حطمتها). ويفسّر الدكتور محمد عمارة، أن هذه الأخيرة، تقوم على النّظرية المادية الجدلية التي فسرت بها العالم والخلق والوجود والمصير والتاريخ والفكر والدين والاقتصاد والمجتمع والسياسة. يقول الدكتور محمد عمارة، إذا كانت النّظرية المادية الماركسية للعالم، لا ترى في الوجود شيئاً سوى المادة وأنها لا تعرف إلا بها في عالم الماهيات والمفاهيم والأفكار، ومنه فإن هذه النّظرية المادية قدمت الكثير في نشأة الفكر والدين، وقد تأثر كل من قرأ هذا الفكر بهذه النّظرية المادية وال فكرة الماركسية، ومن هؤلاء الذين تأثروا بهذا الفكر ، الدكتور نصر أبو زيد معتمدًا على "نظريّة البناء الفوقي والقاعدة المادية " وأن المادة والواقع، الاقتصادي والاجتماعي والفيسيولوجي، هما مصدر الفكر.

إذا الفكر هو نتاج اجتماعي من حيث أسلوب بدايته ومنهج قيامه بوظائفه، ومن حيث نتائجه، و المادية الجدلية، تعتبر الفكرة انعكاساً لواقع موضوعي، وهي تؤكد في الوقت نفسه التأثير العكسي لل فكرة على تطور الواقع العكسي للفكرة على تطور الواقع المادي، بهدف تحويله... وتتخذ الماركسية نقطة انطلاقها مما يكمن في أساس، كل مجتمع إنساني، أي طريقة الحصول على وسائل العيش، وتقيم الصلة بين هذه الطريقة والعلاقات التي يدخل فيها الناس في عملية الإنتاج، وهي ترى (الماركسية) في نسق هذه العلاقات الإنتاجية، الأساس

١ . د محمد عمارة، التفسير الماركسي للإسلام، طر ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م ، دار الشروق القاهرة مصر، ص ٣٤.

والقاعدة الحقيقة في كل مجتمع، عليه يرتفع بناء فوقي وقانوني واتجاهات مختلفة للفكر الاجتماعي^(١).

المطلب الثالث: الرد على الفكرة الماركسية

ومنه نستخلص أن المادة والواقع الاقتصادي والاجتماعي، هما النظرية الأساسية التي تقوم عليها القاعدة الماركسية، والتي يعرفها ويعلمها عوام وخواص الماركسيين والدارسون لها ومن هذا الأساس والمنطلق، أقام الدكتور محمد عمارة، النقد بالحججة والدليل والبرهان على بطلان وزيغ نظرية الدكتور نصر أبو زيد التي ينظر فيها بالمنظار المادي الماركسي وهو يحلل القرآن والوحي والنبوة والعقيدة والشريعة وتاريخية النصوص.

وفي هذا السياق، فقد وضع الدكتور محمد عمارة، بعض الشهادات والأدلة والأقوال التي تقيم الحجة على الدكتور نصر أبو زيد في تبنيه للفكر الماركسي ويؤكد هذا، شهادة الماركسيين له كالأستاذ محمود أمين العالم بقوله: "أن الدكتور نصر أبو زيد أحسن من يحلل النص"^(٢).

ويضيف الدكتور محمد عمارة قائلاً: حتى لا يظن أحد أنني أتحامل على الدكتور نصر أبو زيد في انتماهه للفكر الماركسي وتبنيه لمرجعيته، سأقدم نماذج من نصوصه وأقواله التي تؤكد وتدعم أقوالنا فيه، حيث يورد الدكتور نماذج من أقواله نقتصر على ذكر أهمها.

يبني الدكتور نصر أبو زيد توجهه الماركسي بنظرية (البناء التحتي والبناء الفوقي) حيث يقول: "إن الأفق المعرفية للجماعة التاريخية، هي آفاق تحكمها طبيعة البني الاقتصادية والاجتماعية لهذه الجماعة وإن البني التحتية والفوقيه تتفاعل في جدلية معقدة"^(٣). فإنه يطبق هذه النظرية على نشأة الدين، حيث يربطها بالبعد الاقتصادي، حيث يرى أن البحث عن

١ . الموسوعة الفلسفية، وضع مجموعة من العلماء السوفيت بإشراف م روزيتال : ب يودين ترجمة سمير كرم، طبعة بيروت سنة ١٩٧٤ م ، أنظر المصدر السابق: ص ٣٤ .

٢ . د. محمد عمارة التفسير الماركسي للإسلام، ص ٣٦ .

٣ . د. نصر أبو زيد، مفهوم النص (دراسة) في علوم القرآن، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠ م ص ٧٢ .

دين إبراهيم إيان ظهور الإسلام كان بحثاً عن هوية العرب، التي تهددها المخاطر الاقتصادية وضيق مواردها، فهو يربط الدين بالنظرية المادية الاقتصادية.

تبنيه للرؤية المادية للقرآن الكريم، ومخالفته للخطاب الديني في مسألة نزول القرآن إلى الواقع الأرضي، منطلقاً من المادية الجدلية بقوله: "إن القرآن قد تشكل في الواقع وصعد منه ولم يهبط إليه، وإن لم يكن له قبل تلاوة النبي له وجود مفارق للواقع الذي شكله فَتَشَكَّلَ، وَفَعَلَهُ فَإِنْفَعَلَ" ، نصاً ومفاهيم ودلالات فهو ثمرة للواقع ولا شيء هناك غير الواقع، أما الإيمان بمصدر إلهي للقرآن، فهو كلام يقال، وفي الأخذ به طمس لهذه الحقيقة التي وصل وانفرد بها الدكتور نصر أبو زيد عندما طبق المنهاج الماركسي في المادية الجدلية على القرآن الكريم. ويردف الدكتور نصر قائلاً: "إن النص (القرآن) تشكل من خلال ثقافة شفاهية والواقع هي التي أنتجت النصوص، ففي مرحلة تشكل النص في الثقافة، تكون الثقافة فاعلاً والنص منفعلاً، وتكون الثقافة فاعلاً والنص مفعولاً" ^(١).

ومن خلال ما سبق فإن الدكتور محمد عمارة يرد عليه قائلاً: لقد تواترت في القرآن الكريم، الآيات المحكمات التي تتحدث عنه باعتباره تنزيلاً، نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام من لدن رب العالمين على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ أَحْتَلَفُوا فِي الْكِتَبِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ^(٢) ﴿١٧﴾ . وقال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَاهُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ^(٣) . فهذه نماذج من الآيات الصريحة والصحيحة البيان، والمحكمة التي دلت على أن القرآن كلام الله، قد نزل من عند الله إلى الواقع الأرضي والعالم البشري.

وفي الأخير نرد على المشككين من الماركسيين، الذين يرون أن الدين وسيلة لخداع الناس، خاصة الطبقة الضعيفة من المجتمع من الفقراء والمساكين والمتعبدين، الذين يرون أن الحياة

١ . د نصر أبو زيد، نقد الخطاب الديني طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢ م، ص ٤٤ .

٢ . سورة البقرة الآية ١٧٦ .

٣ . سورة الإسراء ١٠٧ .

مادة تحكمها الطبيعة، بقوانينها التطورية، فلا إله ولا أخلاق وصلاح الناس إنما في شيوعيتهم، لا في تدينهم ولا في إسلامهم، ذاهبين إلى أن النظرة الشيوعية الماركسية تغنى عن التدين عموماً والإسلام خصوصاً.

المطلب الرابع: الماركسية تعادي الأديان

يشير الدكتور يوسف القرضاوي^(١) بقوله: إلى أن الشيوعية، هي العدو الثالث للإسلام والمسلمين بعد الاستعمار والصهيونية. فيقول: "تعد الشيوعية عقيدة وفكرة ومذهباً كما أنها نظام دولة وحكومة منبثقه عن العقيدة فهي باعتبارها عقيدة وفكرة تعادي الأديان كلها، وتخص الإسلام بمزيد من العداوة والنقمـة، إنها فكرة مادية تقوم على فلسفة (المادية التاريخية)، التي قال بها ماركس والتي لا ترى وجوداً إلا للمادة، ولا تؤمن بما وراء المادة، أو (الحس الميتافيزيقاً) وما دام الله الخالق للكون والإنسان، غير مادي بمعنى أنه لا يرى ولا يلمس ولا يشم، ولا يذوق، ولا يدرك بأية حاسة من الحواس المعروفة فهي لا تؤمن بوجوده بل لا تعرف بحاكميته لخلقـه، ولا بحقه جل شأنـه وعلاـه في أمرـهم ونهـيـهم والتشـريع لهم"^(٢).

إن فلسفة ماركس تؤكد ما قاله الفلاسفة الماديون قديماً وحديثاً، مثل: "فويرباخ"^(٣) الذي قال: "ليس صواباً أن الله خلق الإنسان، بل الصواب أن الإنسان هو الذي خلق الله"^(٤). تعالى الله عما يقولون، فالدين في نظر الشيوعيين خرافة روجها طبقات الملوك والنبلاء والأثرياء، والإقطاعيين وأمثالهم لإلهـاء الفقراء والطبقة الكادحة والمسحوقة في المجتمعـات البشرية عن المطالبة بحقوقـهم، والثورة على ظالمـيـهم، على أملـ أنـ يـعـوـضـواـ عنـ ذـلـكـ فيـ

١. الأستاذ الشـيخـ الدكتورـ يوسفـ القرضاـوىـ، (١٩٢٦-٢٠٢٢ـم)ـ أحدـ أعلامـ الإسلامـ الـبارـزـينـ فيـ العـصـرـ الحـاضـرـ فيـ العـلـمـ والـفـكـرـ والـدـعـوـةـ والـجـهـادـ، فيـ العـالـمـ الإـسـلـامـيـ مـشـرقـهـ وـمـغـربـهـ وـقـدـ كـتـبـ لـهـ القـبـولـ فيـ العـالـمـ الإـسـلـامـيـ.

٢. القرضاوي، يوسف، أعداء الحل الإسلامي، مكتبة وهبة، ط ١، (٢٠٠٠)، ص ١٠٣.

٣. لودفيغ فويرباخ (٢٨ يوليـو ١٨٠٤ - ١٣ سبـتمـبر ١٨٧٢)ـ فـيلـيـسـوـفـ أـشـرـوـبـولـوـجـيـ أـلـمـانـيـ مشـهـورـاـ بـكتـابـهـ «جـوـهـرـ الـمـسـيـحـيـةـ»ـ، وـالـذـيـ قـامـ بـنـقـدـ الـمـسـيـحـيـةـ، وـكـانـ مـؤـثـراـ لـلـغـاـيـةـ بـأـجـيـالـ مـنـ الـمـفـكـرـيـنـ الـلـاحـقـيـنـ، بـمـاـ فـيـهـمـ كـارـلـ مـارـكـسـ، وـفـرـيدـرـيـكـ آـنـجـلـرـ، وـرـيـنـشـارـدـ فـاغـنـرـ، وـفـرـيدـرـيـكـ نـيـتـشـهـ. دـعاـ فـويـرـبـاخـ إـلـىـ الـلـيـبـرـالـيـةـ وـالـإـلـحـادـ وـالـمـادـيـةـ. قـدـمـتـ العـدـيدـ مـنـ كـتـابـاتـهـ الـفـلـسـفـيـةـ تـحـلـيـلـاـ نـقـدـيـاـ لـلـدـيـنـ. كـانـ فـكـرـهـ مـؤـثـراـ فـيـ تـطـوـرـ الـمـادـيـةـ التـارـيـخـيـةـ. حـيـثـ غالـباـ مـاـ يـتـمـ الـاعـتـرـافـ بـهـ كـجـسـرـ بـيـنـ هـيـجـلـ وـمـارـكـسـ.

٤. المـصـدـرـ السـابـقـ، ص ١٠٥.

الجنة، والدين بهذا الاعتبار، ويعد مخدراً أو أفيوناً للشعوب، كما قال ماركس ومن تبعه. والشيوعية لها فلسفة في تفسير الكون والحياة والإنسان، والتاريخ تناقض فلسفة الإسلام وفكرة الكلية في تفسير هذه الأشياء فالكون هو هذا المادي المنظور، ولا يوجد كون آخر غير منظور، ولا يوجد خالق يدير هذا الكون. والحياة هي هذه التي نعيشها ولا حياة أخرى وراءها للحساب والجزاء. هو هذا الغلاف الطيني المادي الذي نراه ولا روح فيه، والتاريخ إنما تحركه وتسيره عوامل اقتصادية بحتة، وعلاقة الإنتاج وأساليبه هي التي تحدد مسيرته^(١).

وأما العوامل الروحية والأخلاقية والفكرية، فيليس لها اعتبار يُذكر والشيوعية تقوم على فلسفة حتمية الصراع بين الطبقات، وقد كانت روسيا مقرًا لقيام الشيوعية، لكثره أقطاب اليهود القاطنين فيها ولوجود مجموعة من منكري اليهودية والمذاهب الاشتراكية على أرضها أمثال : لينين وترتسكي وستالين^(٢).

مما نستخلصه، أن الشيوعية تحارب الإسلام بأساليب متنوعة كالدراسات الخبيثة المضللة والتخريب داخل المجتمع المسلم، وتضليل الضعفاء بالشعارات البراقة فلا يفكرون إلا بالهدم والتدمير والثورة على الأنظمة، وتحريض الحكومات العلمانية بضرب الحركات الإسلامية ومقاومة الاتجاه الإسلامي، وشن حملات تضليل وتشويه وتزييف لهذه الحركات الإسلامية والإصلاحية، كما حدث لحركة الإخوان المسلمين في مصر. إن الماركسية تنظر إلى الإسلام على أنه السد المنيع والعائق وراء طريق انتشارها، حيث يقول أحد زعمائها: "لن تنتشر الشيوعية في الشرق الأوسط، إلا إذا أبعدنا أهلها عن تلك الحجارة، التي يعبدونها في الحجاز، وإنما إذا قضينا على الإسلام"^(٣).

١ . دكتور يوسف القرضاوي، أعداء الحل الإسلامي، ط١٤٢٥٢م ٢٠٠٤ء مكتبة وهبة القاهرة مصر ١٠٥ ص ١٠٦ .

٢ . دكتور عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة و موقف الإسلام منها، طه دت، دار الجيل بيروت ص ١١٥ ص ١١٦ .

٣ . مامون، غريب، أبحار في ملوك الله، مركز الكتاب للنشر، (٢٠٠٩)، ص ١٢٥ .

المطلب الخامس: منطلقات الرفض الماركسية

إذا من هذه المنطلقات رفض الدكتور عمارة الفكرة الماركسية لعدة أسباب منها:

⑩ الماركسية الشيوعية مذهب مادي ضد الدين والعقيدة فلا تؤمن بالخالق أنها ضد الشريعة فلا تقبل أحكامها من معاملات ولا تعترف بالله وأنه الأمر والنهاي، كما ترفض أحكام الشريعة في الملكية، وأحكام العقوبات الإسلامية.

⑩ الماركسية الشيوعية ضد الأخلاق الفاضلة، ضد الحرية، فهي دكتاتورية تقوم على وأد الحياة السياسية، والإضطهاد والتعذيب والسطوة على الحكم. الماركسية الشيوعية، ضد وحدة الأمة لأنها توجع الصراع الطبقي، ضد بعضها والإسلام يؤاخذ بين هاته الطبقات، في إطار الصدقات والزكاة والتكافل الاجتماعي ... الخ.

⑩ الماركسية الشيوعية أداة صلبيّة في حربنا، تهدف إلى إخراجنا من ديننا، بدل الحملات الصليبية والتنصيرية الفاشلة في العالم الإسلامي، لأن الكنيسة ترى هدمنا، ولو بمعاول وأيدي الجيش الأحمر.

⑩ الماركسية الشيوعية مذهب لا يخدم الإسلام ولا حاجة له به، لأنها جاءت تعالج مشاكل الرأسمالية، أما الإسلام فقد وضع ضوابط وأطر حدد فيها الثروة، ويقر الملكية الخاصة ويحميها فيلزم المسلم بواجب الزكاة، ليقيم التوازن الاقتصادي والعدالة الاجتماعية، ويرى أنه مستخلف في ماله، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَيْفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَتِ لِيَبَلُوُهُمْ فِي مَا أَتَيْتُكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٥).

إذا فالماركسية الشيوعية عقيدة ومذهب فكري، أسسه اليهودي كارل ماركس، معادي للأديان جميعاً، ويخص الإسلام بهذا العداء، كما يمكننا القول أنه ذو صبغة ماسونية، لأنه لا يعترف بالله الواحد القهار، ولا بالوحى ولا بالرسل ولا يرى الوجود إلا مادة ولا يؤمن بما وراءه، أي الخالق لهذا الكون، ولهذا وقف الإسلام موقف العداء منه، فحذر علماءنا

١. سورة الأنعام: ١٦٥.

ومفكرينا منه وحاربوا من تأثر به ودعى إليه، وقد تلاشت الماركسية في العالم كونها لم تحقق النفع والإصلاح الاقتصادي.

المبحث الثاني: نقد الدكتور محمد عمارة للعلمانية

تمهيد: لقد إنبرى كثير من مثقفينا المُحدثين بالعلمانية الغربية، فتبناها ودعوا إلى سلوكها في نهضتنا، كما سلّكها العالم الغربي في طريق نهضته، وثورته الفكرية والصناعية والتكنولوجية، فنظروا إلى إسلامنا بمنظار غربي، وتناسوا علاقة الدين بالدولة والسياسة وابداع العقل الشرقي المسلم الذي كون حضارة متراصة الأطراف أبدع في شتى العلوم والمعارف، وشكلت مهداً وبناءً ومرتكزاً للنهضة الصناعية الأوروبية الحديثة. ومن هنا يتحدث الدكتور محمد عمارة عنهم فيقول: "لقد شوهت المناهج الغربية رؤاهم، وزيفت وعيهم، فرأوا إسلامنا نصرانية، وخلافتنا كهانة وقرآننا انجيلاً، وشريعتنا قانوناً رومانياً، ومن ثم رأوا أن "الحل العلماني" هو طريقنا إلى النهوض، كما في سياق النهضة الأوروبية الحديثة"^(١).

المطلب الأول: مصطلح العلمانية

يرى الدكتور محمد عمارة أن مصطلح "العلمانية" هو الترجمة التي شاعت بمصر والشرق العربي للكلمة الإنجليزية (SECULARISM) بمعنى الدنيوي والعالمي والواقعي من الدنيا والعالم والواقع المقابل للمقدس أي الديني الكهنوتي النائب عن السماء والمحتكر لسلطتها والمالك لمفاتيحها، والخارق للطبيعة وسننها والذي قدس الدنيا قداسة الدين والذي ثبت متغيراتها العلمية والقانونية والاجتماعية قداسة الدين^(٢). و ممما سبق يرى أن العلمانية، كنزعية سادت أقطاراً وأقطاباً عديدة، في الفكر الحداثي في العالم العربي والإسلامي، لا يمكن فهمها وفهم الموقف الإسلامي منها إلا بالرجوع إلى منطلقاتها، وهو الحضارة الغربية الأوروبية المستمدة من جذورها الإغريقية الفلسفية وتراثها الروماني، والإضافة المسيحية لها، التي ساهمت في نشأتها. إن المتبع لتاريخ سيطرة رجال الدين والكنيسة، على مقاليد

١. د. محمد عمارة العلمانية بين الغرب والإسلام - ط ١٤١٤ هـ ١٩٩٦ م دار الدعوة للنشر والتوزيع الكويت ص ٣٩.

٢ . المصدر السابق: ص ٥.

السلطة، وسيطرتها على الملوك والأباطرة عن طريق مباركة رجال الدين والكنيسة لهم وتعيينهم، وإضفاء سمة القدسية على ذلك كله ساهم في الانحطاط الحضاري الأوروبي، الذي أثمرته سلطة الكنيسة ب المقدسية الدولة وحكامها، حيث جمدت الحياة الاجتماعية وعلومها.

المطلب الثاني: المستندات وعوامل إثبات العلمانية

في خضم هذه المعطيات، انبثقت "النزعه العلمانية" التي فجرتها فلسفة التنوير الأوروبي، والتي أقامت قطيعة كليلة مع الموروث الديني والحكم الكهنوتي، والتي أحلت التجربة والعقل محل الدين واللاهوت، وفصلت الدين عن الدولة، والأرض عن السماء، وجعلت ما لقيصر لقيصر وما لله لله، والتي جعلت العلم مكتفياً بذاته، دون الرجوع إلى الله وعزلت الأرض عن السماء انطلاقاً من الحكم بفلسفة أن العلم يدير شؤونه بذاته.

ونظيراً لهذا التيار العلماني الذي أراد عزل التدبير عن الخالق، وترك الإنسان والكون يدير شؤونه، لوحده، ظهر بالمقابل تياراً آخرًا غير هذا التيار الملحد، حيث أراد هذا الأخير المزج والتوفيق بين الوجود الإلهي، وبين العلمانية التي كانت ترى بإكتفاء العالم بذاته. ومن أمثال هؤلاء "هوبرز" (١٥٨٨م - ١٦٧٩م) و "لوك"^(١) و "روسو" (١٧١٢م - ١٧٧٨م) وهم كثرون، فحصر هؤلاء تدبير الإجتماع البشري في سلطة البشر المتحركة من شريعة الله، وكان هذا من منطلق تصور "أرسطو" لنطاق العمل لذات الإلهية وفي مجلمل الكلام نستطيع القول العلمانية، كانت ترى في الذات الإلهية مجرد خالق للكون، وترك شؤونه بعدما ترك فيها أسباب عملها.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد عمارة: "هكذا إستندت العلمانية، في تأسيس دنيويتها على التصور الأرسطي، لنطاق عمل الذات الإلهية فهو مجرد خالق، فرغ من الخلق

١. لوك (١٦٣٢ - ١٦٠٤م) يوحنا لوك، يدعى بحق زعيم المذهب الحسي، وأحد كبار ممثلي النزعه التجريبية في إنجلترا، ولقد كان لآراء لوك في السياسة والدين والتربية والفلسفة آثار تجاوزت إنجلترا إلى كل العالم المتحضر، ووضع أساساً تجريبية جديدة. انظر: د. عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص ٤٠٢.

وانحصرت عنایته بذاته دونما رعاية أو تدبرى للمخلوقات، كصانع الساعة الذي أودع فيها أسباب عملها، دون حاجة لوجوده معها وهي تدور^(١). هكذا استطاعت العلمانية أن تنشأ في مناخ التنوير الغربي، ونجحت في عزل السماء عن الأرض وحررت البشر من الضوابط الشرعية الإلهية، ومن القيود الكنسية، وجعلت هذا الإنسان سيدا في عالمه ودنياه فرودته بشمرة عقلانية التنوير الوضعي، حيث جعلت له العقل والتجربة محل الله والدين حتى أن أحدهم كان يقول: "فلم يعد الإنسان يخضع إلا لعقله في إيديولوجيا التنوير، التي أقامت القطيعة الإبستمولوجيا الكبرى، التي تفصل بين عصرتين من الروح البشرية عصر الخلاصة اللاهوتية للقديس "توما الإكويني وعصر الموسوعة لفلاسفة التنوير. فراح الأمل ينざح بملكة الله، ينざح لكي يُحْلِي المكان لتقدم عصر العقل وهيمنته وراح نظام النعمة الإلهية، يتمحى ويتلاشى أمام نظام الطبيعة وأصبح حكم الله خاضعا لحكم الوعي البشري الذي يطلق الحكم الأخير باسم الحرية"^(٢).

هذا مكان يقوله أحد دعاة التنوير العربي، فكانت كل غايتهم عزل السماء عن الأرض والدين عن الدنيا و إحلال الإنسان في تدبير العمران البشري محل الله تعالى الله عما يقولون ومما سبق يمكن القول أن الحداثة الغربية استطاعت أن تؤثر بهذا الفكر العلماني، على العقل العربي والمسلم، وأن تركه يوافق على جميع معطياتها ويحاول التخلص من قيود القوانين الإلهية والشريعة الإسلامية، واعتبارها له سجنا في حياته العلمية.

المطلب الثالث: الإستعمار ودخول العلمانية إلى أقطاب الدول العربية والاسلامية

دخول العلمانية إلى أقطاب الدول العربية نتيجة الغزوات الإستعمارية كان للنزعات الغربية في شتى المناطق العربية، نزغات فكرية في المجالات الدينية والاجتماعية والثقافية، على أعداد هائلة من العقول العربية فكان لغزوة نابيلون "بونابرت (١٧٦٩ م - ١٨٢١ م) حيث استهدفت

١ . د. محمد عمارة العلمانية بين الغرب والإسلام - ط ١٤١٤ هـ ١٩٩٦ م دار الدعوة للنشر والتوزيع الكويت ص ٨ .

٢ . أمبل بولا - الحرية . العلمنة (حرب شطري فرنسا وبدأ الحداثة) منشورات سيرف باريس ١٩٨٧ م . نقاً عن هاشم

صالح مجلة الوحدة المغرب عدد فبراير مارس ١٩٩٣ ص ٢٠-٢١ .

هذه الغزوة العقل العربي واحتلته، واستبدلت فكره وغيرت هويته، مع احتلال الأرض ونهب الشروة، واستبعاد العباد فكانت العلمانية وافداً جديداً على هذه المنطقة وترجمت في المعجم الفرنسي العربي الذي صدر سنة ١٨٢٨م، الذي وضعه "لويس بقطر المصري" الذي خدم جيش الاحتلال الفرنسي في مصر ورحل معه، ليدرس العامية المصرية في مدارس باريس^(١) وقد أخذت العلمانية تسري شيئاً فشيئاً في كل موقع حلّت به الغزوات الغربية المدمرة، وتحل هذه النزعة تدبير الدولة وحكم المجتمع وتنظيم العمران محل الإسلام، ويحل القانون الوضعي العلماني، وتطمس هوية الدين والشريعة الإسلامية وفقه المعاملات^(٢).

وعلى سبيل الذكر أيضاً، في الجزائر وتونس، جعل الاستعمار الغربي القانون وضعياً، مكان الشريعة الإسلامية، حيث كان يقول عبدالله النديم (١٨٤٥م - ١٨٩٦م): "إن دولة أوروبا لم تدخل بلداً شرقياً، بإسم الاستيلاء وإنما تدخل بإسم الإصلاح، بث المدنية وتنادي أول دخولها بأنها لا تعترض الدين ولا للعادات، ثم تأخذ في تغيير الاثنين شيئاً فشيئاً، كما فعلت فرنسا وتونس، حيث سنت لهم قانوناً فيه بعض مواد تخالف الشرع الإسلامي بل تنسخ مقابلاً لها من أحكامه، ونشرته في البلاد، واتخذت لتنفيذها قضاة ترضاهما، ولما لم تجد معارضها أخذت تُحول كثيراً من مواده إلى مواد ينكرها الإسلام، توسيعاً لنطاق النسخ الديني ولم تلبث أن جاريناها في مصر وأخذنا بقانون يشبهه"^(٣).

المطلب الرابع: عوامل التسرّي والنفوذ

مما سبق يمكن القول أن القانون العلماني، نسخ الدين ومسخ الشرع، بفعل ونتائج الغزوات الأوروبية، التي نخرت جسد معظم الدول العربية والإسلامية وساهمت في تشويه صورتها

١ . د. السيد أحمد فرج، علماني وعلمانية، التأصيل المعجمي مجلة الأحرار العدد ٠٢، سنة ١٩٨٦م، ص ١٠١-١١٠.

٢ . د. محمد عمارة - العلمانية بين الغرب والإسلام، ص ١٠.

٣ . عبدالله النديم، مجلة الأستاذ، العدد ٢٢، ٢٩، جمادي الثانية ١٣١٠هـ الموافق ل ١٨٩٣م، ص ٥١٤٥١٥.

بالفكر العلماني، لم يتوقف المفكرون في العالم الإسلامي من الكتابة في خضم إصلاح العقل الإسلامي والرد على هذه الأفكار المقيمة، والشبهات المميتة، حيث أطلق رفاعة الطهطاوي صيحة تحذير ضد البوح العلماني الذي دنس المؤسسات القضائية والتشريعية بل جاء عموم الاختراق العلماني عندما احتل الإنجليز مصر في كثير من مؤسسات الدولة وأسال الكثير من الخبر في ذلك . ومن خلال ما تطلعنا إليه فإننا استنتاجنا أن الدكتور محمد عمارة قد وضع ألواناً جديدة، مشيراً إلى أبرز نماذجها مثل:

١٠ الفرض القسري للعلمانية عن طريق الحروب الاستعمارية وما تخلفه وراءها من حكومات وأنظمة تحمل نظرة غربية علمانية مثل تونس.

١١ إحلال القانون العلماني ذي الصياغات الحديثة في الفراغ الناشئ، في ظل عدم تقنن الفقه الإسلامي في تسيير شؤون الدول الإسلامية.

١٢ دعاوى وحدة القانون بينما وبين الغرب، لأن العقل الشرقي هو كالعقل الغربي، كلاهما يوناني، وفقه الرومان هو مكون من مكونات حضارتنا كما هو الحال في الحضارة الغربية.

١٣ مزاعم خلو الإسلام من مرجعية وحاكمية في الدول والسياسة والمجتمع ومن ثم في فقه المعاملات، لأنها كالنصرانية - علماني - يدع ما لقيصر لقيصر، ويقف بمعتنقيه عند ما هو الله.

١٤ إتخاذ الأقليات أداة اعتراف على حاكمية شريعة الإسلام، مثل مشكلة الأقباط في مصر، والصابئة والطائفة الأزدية في العراق^(١).

١٥ ومن خلال ما ذكره الدكتور محمد عمارة، يمكن الاستنتاج أن هذه الألوان لم تفلح في اختراق العقل الإسلامي، بل تشتت قطعية مع هؤلاء العلمانيون بروابطهم العقلية والوجدانية، بتصاعد المد الإسلامي ، وتكشفت خبائثهم في اختراق النسق الإسلامي من خلال:

١ . د محمد عمارة الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، ط ١ سنة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م دار الشروق، ص ٥٥ .

١٠ علمنة الإسلام باختزاله بعد القانوني فيه ومن أبرز رواده محمد سعيد العشماوي الذي تصد لل Müd والصحوة الإسلامية.

١٠ علمنة الإسلام بدعوى تاريخية الأحكام، عن طريق باب التأويل لكل ظواهر النص الديني، والقول بأنَّ ما جاء به القرآن الكريم من أحكام والسنة النبوية من أحاديث هو "تاريخي وتاريخي" أي أنه كان صالحًا لتاريخ نزول هذه الأحكام فقط، ومن دعاه هذه الفكرة الدكتور نصر أبو زيد.

المطلب الخامس: منطلقات رفض العلمانية لدى الدكتور عمارة

في الأخير من خلال ما أطلعنا عليه، في تاريخ العلمانية، وتأثيرها على العقلية الإسلامية، وما قام به الدكتور محمد عمارة من جهود في نقد العلمانية يمكن أن نرفض العلمانية من المنطلقات والأسس التالية: تحل ما حرم الله وتجاوز حدوده والشريعة الإسلامية الغراء عن طريق الإباحية .

• أنها تحمل الكفر البوح، من خلال فصل الدين عن الحياة، والحكم بغير ما أنزل الله. قال تعالى: ﴿أَفَكُمْ أَجْنِحَيْةٍ يَبْعَوْنَ وَمَنْ أَحْسَنْ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوَقِّنُونَ﴾^١ وقال تعالى أيضًا: ﴿فَإِنْ تَنْزَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرْدُوْهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحَسَنُ تَأْوِيلًا﴾^٢.

• افتقادها للشرعية في العالم الإسلامي، لأن الجماهير في العالم العربي والإسلامي، تعتقد أن حكامهم يحتكمون إلى الشريعة الإسلامية وهم خلاف ذلك، لأنه حال سنهم لبعض القوانين غير الشرعية تخالفهم الجماهير، فلذلك ليست لهما لطاعة مطلقة مثل الطاعة الله ورسوله، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

١ . سورة المائدة : ٥٠ .

٢ . سورة النساء: ٥٩ .

الرَّسُولَ وَأُولَئِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ إِنْ تَنْزَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحَسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٤٩﴾ .

وفي الأخير من حقنا أن نسعد بإسلامنا المستعصي على العلمنة، والمقاومة للاختراق العلماني والذي ضمن بقاء العلمانيين في بلادنا، بعد قرنين من الدعم الاستعماري شريحة معزولة ومنبوذة تعاني من الرفض، بل والاحتقار من المجتمع العربي الإسلامي. إن الشريعة الإسلامية ربانية المصدر واقعية وشمولية وصالحة لكل زمان ومكان، وباقية آباد الدهر، متتجدة مع الحفاظ على مبنها ومصدرها، ومصدق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: {يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها أمر دينها} ^(٢).

المبحث الثالث: في نقد الحضارة الغربية

تمهيد: مما نلاحظه اليوم أننا في عصر اشتد فيه النزاع وبدأ فيه الحوار مع الصدام الحضاري، واختلط فيه الحق بالباطل وهاجمت فيه الأمم جموع الأديان السماوية والإسلام خاصة، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: {يوشك الأئم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينز عن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليرثي الله في قلوبكم الوهن فقال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت} ^(٣)، وهو ما نلاحظه من تأثر مجتمعاتنا العربية والإسلامية اليوم، بأهم ما جاءت به الحضارة الغربية من ثقافات عديدة ومتعددة كالحداثة الغربية التي كان لها باعاً كبيراً من هذا التأثر بفعل التطور التكنولوجي المتسارع والرهيب، الذي أثر في العديد من الشرائح الواسعة للمجتمع العربي والإسلامي، ومن هنا حاول الدكتور محمد عمارة أن يستعرض لنا حقيقة هذه الحضارة

١ . سورة النساء: ٥٨ - ٥٩ .

٢ . أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج ٤ المكتبة العصرية صيدا بيروت، لبنان رقم الحديث ٤٢٩١ ص ١٠٩ .

٣ . الجامع الصحيح للبخاري (٨١٨٣)، وسنن أبي داود (٤٢٩٧) .

الغربية، وأهم ملامحها. إذا فما هو مفهوم الحضارة الغربية من وجهة نظر الدكتور محمد عمارة؟ وكيف تلقاها المجتمع العربي والإسلامي؟ ما مدى تأثر العقل العربي بها إلى أبعد الحدود؟

يقول الدكتور محمد عمارة، إن كل دراسة جادة لا بد لها أن تبدأ من المداخل اللغوية والاصطلاحية لتحديد المفاهيم والمحاور التي ستقوم حولها الدراسة وقضية المصطلح تكاد أن تكون من أدق القضايا فيعصرنا الماضي والواقع أن تحديد المصطلح يعتبر كما يقول هيذر، مهمة أساسية وأولية بالنسبة لأي حوار فكري وجاد ينقد حياتنا الفكرية من خطر الاستقطاب الحاد، ويُوجّد لغة فكرية واحدة بين الفرقاء المتحاورين^(١). وتتبين دلالة أي لفظ ابتداء من ناحيته اللغوية، أو ما يعرف عادة بالناحية الاستئقاقية التي تُبَرِّزَ المعنى الأولي أو الأصلي الذي يكون للفظ.

المطلب الأول: التعريف والمقارنة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية

جاء في محاضرة للدكتور محمد عمارة بعنوان (رؤى نقدية للحضارة الغربية والحضارة الإسلامية) قوله: "نختلف حول تعريف الحضارة حتى الآن فكلنا يتحدث عن الحضارة لكن الناس عندما يتحدثوا عن الحضارة كتعريف يختلفوا وهذا يرجع إلى أن القواميس التي نرجع إليها كثيرة منها قواميس مفاهيمها غربية وبالتالي نحن نعرف مصطلحًا له عمق في حضارتنا"^(٢) ويضيف عمارة فالحضارة لها علاقة بالحضور ولها علاقة أيضا بالقرار والاستقرار والحضارة هي مقابل البداءة، لأن البداءة ليس فيها حضور ولا قرار ولا استقرار ففيها تنقل،

١ . د. محمد عمارة ، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام بدون تاريخ الطبعة وسنة النشر ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ص ١٢ .

٢ . د محمد عمارة محاضرة بعنوان (رؤى نقدية للحضارة الغربية والحضارة الإسلامية) مركز الدراسات المعرفية مصر الموقع الإلكتروني http://site.iugaza.edu.07/05/ps/ishbeka/files/2012/11/pdf_49.pdf ٢٠٠٢

والتنقل يجعل أهل الbadia غير قادرين على أن يراكموا قدرات مدنية وأبنية مدنية في مجتمعاتهم، فمن الممكن للبدوي أن تكون له ثقافة ونحن نعرف الشعراء الذين كانوا في الجاهلية في قمة الثقافة رغم أنهم كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر فلم يكن هناك تراكم للمدنية. أما في نظرنا نستطيع الحكم على أن الحضارة الغربية تختلف عن العربية في الثقافة وهذه الأخيرة هي كل الآداب والفنون والمواريث والفلسفة التي تهذب النفس الإنسانية، والحضارة الغربية تتميز بالعمان والواقع المادي، إذن فالحضارة من الحضور والاستقرار أي لا بد فيها من عمران الواقع المادي والحضور الذي يمثل تهذيب النفس الإنسانية بواسطة العلوم والآداب والفنون.

ويضيف عمارة أن للحضارة الغربية ملامح تختلف فيها اختلافاً جذرياً عن الحضارة العربية، فمن أبرز ملامحها الطابع المادي الطابع العنصري - الطابع الصرافي (وفصل الدكتور في هذا الكلام طويلاً، وبال مقابل تكلم عن نقىض الحضارة الغربية التي هي الحضارة الإسلامية، وبين أوجه الاختلاف بينهما وذكر سمات الحضارة الإسلامية التي تمتاز بأنها ريانية وحضارة خالدة لأنها موجودة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي أيضاً إنسانية لأن الإنسان مكرم فيها وهي أيضاً وسطية وهذه من أهم السمات فيها. فهذا تقريباً ما صال فيه وجال وشرح الدكتور محمد عمارة و ذكره عن الحضارة الغربية وكيف قارن بينها وبين الحضارة العربية الإسلامية . ومما سبق نستخلص أن الدكتور محمد عمارة يرى أن الحضارة الغربية الحديثة، تتجه نحو فكرة السيطرة على العالم في جميع المجالات والميادين، وذلك من خلال فقدان وتراجع دور وهيمنة الكنيسة الأوروبية، وما تمتلكه من نفوذ وسيطرة على مقاليد الحكم، واتخاذ القرارات في الدولة في ما عرف بعصور التنوير، لقد بدأت الحضارة الغربية في الإزدهار وتحقيق التقدم وذلك في شتى المجالات الحياتية سواء الزراعية والصناعية، حتى وصلت إلى تقدم كبير في جميع المجالات الصناعية وهذا انطلاقاً من قيام الثورة الصناعية في فرنسا في مطلع القرن التاسع عشر، وما حملته من شعارات كالحرية والعدالة والمساواة، معلنة بذلك طلاقها من سطوة الكنيسة نهائياً و مما نلاحظه أن الدكتور محمد عمارة يَبَيَّن لنا أن الحضارة الغربية قد أَسَاسِي اتَّخَذَتْ أَبعَاداً جَدِيدَةً، من أَهمِّها فَكْرَةِ فَصْلِ مَفْهُومِ الدِّينِ

كمحرك وداعم للسياسات الدولة والفصل بين السلطات لتشكل بذلك مفهوما للديمقراطية يختلف عن باقي المفاهيم الأخرى لها في باقي دول العالم حيث ركزت على مفهوم الحرية الفردية ولو كانت مخالفة للدين، بل فتحت المجال للأفراد دون أي قيد أو شرط في الابتكار والابداع بشتى صوره دون وضع خطوط حمراء أو ضغوط من الدولة أو المجتمع.

و مما نستند إليه كذلك من وجة نظرنا أن المفكر الجزائري مالك بن نبي^(١) يرى أن الحضارة الغربية، من خلال الثورة الصناعية قد أفرزت جانبها سلبيا آخر تمثل فيتوسع الأوروبيين على حساب الشعوب الأخرى لتحقيق مصالحهم الاقتصادية والحضارية، كاشفا بذلك جميع أشكالها الظاهرة وصورها الباطنية في العديد من كتبه. وفي ذلك يقول: "هذه النزعة للهيمنة والسيطرة هي شعور عميق في الإنسان الأوروبي ورثه عن ثقافته وبيقى متجلدا فيه، فالفرد الأوروبي يحمل جراثيم الكبرياء دائما لأنه يتلايقها من الجو الأمومي الذي يتكون فيه منذ طفولته، ويكون فيه تصوره للعالم والإنسانية فهو يعتقد أن التاريخ والحضارة يتبدآن من آثينا ويماران على روما ويلفت الانتباه إلى تمكن الحضارة الغربية من فرض حضورها على مستوى العالم، إذ استطاعت أن تنتشر في العالم، وتنشر أفكارها وموافقها وطرق تفكيرها عبر وسائل الإعلام وانتشار وسائل الاتصالات المختلفة والبعثات الأوروبية وظهرت تيارات التغريب في العالم العربي ومن هذا تبقى نظرة الغرب لآخر قائمة على التصور مادي بحت. وقد بلغت أوروبا الغاية في الفن والصناعة ولكنها ارتدت عن الأمثلة الأخلاقية فلم تعد تعرف شيئا من الخير للإنسانية فيما وراء حدود عالمها الذي لا يمكن فهمه إلا بلغة المادة"^(٢).

١. مالك بن نبي عام (١٩٥٠-١٩٧٣م) مفكر جزائري من أبرز المفكرين المسلمين في العصر الحديث، ولد في مدينة قسطنطينة في الجزائر، تخرج من باريس عام ١٩٣٠ م مهندسا كهربائيا، اتجه نحو تحليل الأحداث وخاصة في الشرق والعالم المتخلص باعتبارها قضية حضارة. أصدر سلسلة من الكتب تحت عنوان مشكلات الحضارة منها: الظاهرة القرآنية، شروط النهضة، وجة العالم الإسلامي. لجأ إلى القاهرة عام ١٩٥٦ م ثم إلى الجزائر عام ١٩٦٣ م وعيّن مديرًا عامًا للتعليم العالي واستقال عام ١٩٦٧ وتنبغ للعمل الفكري.

٢ . المفكر مالك بن نبي -مشكلات الحضارة- وجة العالم الإسلامي- إعادة طباعة سنة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م - ط ١٩٨٦ م دار الفكر دمشق سوريا، ص ١٨٤.

ويذهب كذلك الدكتور مصطفى السباعي "أن الحضارة الغربية نشأت كما هو معلوم من اتصال الغرب بالحضارة العربية الإسلامية، عن طريق المدارس والمعاهد العربية في الأندلس وفي بجاية وبباقي الأقطار الإسلامية الأخرى. وكانت الفلسفة اليونانية رافداً مهمّاً ومما عنى به مفكرو الإسلام وفلسفته، فنقل طلاب الغرب النابهون عن العرب فلسفة اليونان وكتبهم، وأكبووا على دراستها رغم مطاردة الكنيسة لها، ثم تفتح الذهن الغربي وأخذت تبدوا له الحقائق، خلاف ما كانت تنادي به الكنيسة من علوم و المعارف. واستمر الصراع طويلاً بين الكنيسة والعلم، حتى انتهى الأمر بانتصار العلم على الكنيسة بعد ما لقيه العلماء وال فلاسفة من عذاب وسجن الكثير وطورد الكثير منهم واستوت النهضة الغربية الحديثة على قدميها، وهي مطبوعة بطبعين واضحين طابع الفلسفة اليونانية واتجاهها المادي الوثني، وطابع آراء المفكرين الغربيين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهم المفكرون وال فلاسفة الذين قادوا حملة مقاومة تسلط الكنيسة على العلم والفكر"، وفي ظلهمما نمت جميع المذاهب الفلسفية والأخلاقية التي سيطرت على عقول الغربيين حتى الآن^(١).

المطلب الثاني: أهم ملامح الحضارة الغربية

من خلال قراءتنا لوجهة نظر الدكتور محمد عمارة و ما كتبه عن الحضارة الغربية، وحسب تعبيره فإنه يرى أن الحضارة الغربية قد اتسمت بمجموعة من الملامح، والتي أعطتها رؤية نقدية بعدها تحدث عن بعض الجوانب الإيجابية للحضارة الغربية، ومن هذا المنطلق يذكر الدكتور محمد عمارة وجهة نظره كباحث و مفكر إسلامي، ملامح الحضارة الغربية والتي تمثلت في:

أ_ الطابع المادي للحضارة الغربية

يعتبر الدكتور محمد عمارة أن أول ما ميز الحضارة الغربية الطابع المادي، حيث كان قاسماً مشتركاً بين فئات المجتمع الغربي، وعلى مرّ تاريخ الحضارة، وما يميز هذا الطابع، هي قضية

١ . الدكتور مصطفى السباعي - مقال بعنوان الأساس المادي للحضارة الغربية موقع دار المعرفة <https://daratalmarifah.Wordpress.com/٢٠١٧/١١/٢٢/civilization/>

"رؤية الإنسان للكون" و "موقع الإنسان للكون" فالحضارة الغربية تجعل الإنسان سيد الكون بينما نلاحظ أن الحضارة الإسلامية تجعل الإنسان خليفة سيد الكون وهو الله سبحانه وتعالى، فالأولى جعلت للإنسان حرية مطلقة غير مقيدة ولا تحكمها شريعة ويصبح الإنسان فيها فعال لما يريد ولا تحده قيود، ولا يسأل عن شيء فلا يحل حلالاً ولا يحرم حراماً ويجعل من الشذوذ فنونا ومن الربا قانوناً ويعتدي على بعضه البعض، لأنه سيد الكون فلا سقف يحد حريته. أما عندما يكون الإنسان خليفة الله سبحانه وتعالى فلا له أن يعمل في حدود الحلال والحرام والشائعات الربانية فيلزم حدود الشرع بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

ولذلك يرى الدكتور محمد عمارة أنه منذ بدايات حضارة الإغريق كانت رؤية "أرسطو" للذات الإلهية، أن الله خلق الكون ثم حركه، فهو المحرك الأول، ثم أصبح الكون يتحرك بقدراته الذاتية، وبالطاقات المودعة داخله، دون تدخل من الذات الإلهية ... أما في الإسلام فالله هو راعي للإنسان راعي للكون ومدبراً له بينما في الحضارة الغربية، هو مجرد خالق فمنذ أرسطو الله عندهم مجرد خالق للكون وليس له علاقة بتسخير حركة الكون فشبهوه بمن صنع الساعة وترك عملها للتربوس التي بداخلها^(١). ويرى الدكتور محمد عمارة أن إنسان الحضارة الغربية، الذي لا يرجع المسبيبات المادية إلا إلى أسبابها المادية سواء لماديته أو إلحاده، أو في مناهجه الوضعية لا يرى في "الرَّزْع" إلا لأسباب المادية والعوامل الطبيعية والمؤثرات الإنسانية و من ثم فالإنسان عنده هو "الزارع" ولا زارع غير هذا الإنسان^(٢).

ويؤسس الدكتور محمد عمارة كلامه حول الطابع المادي للحضارة الغربية بنظرية "هيرمينوطيقا النص الديني" أي أن النهضة الأوربية الحديثة، تأسست على فكرة فلسفة الأنوار، أي وضعية العلمانية، وهي مؤسسة على التراث الفلسفي الإغريقي ذي النزعة العقلانية المتحررة من النقل الديني والوحى الإلهي، بل هي مؤسسة على القانون الروماني المؤسس على فلسفة المنفعة بالمعنى الديني الخالص، والذي لا ترتبط فيه المنفعة بالقيم والأخلاق

١ - الدكتور محمد عمارة - محاضرة بعنوان رؤية نقدية للحضارة الغربية على الموقع الإلكتروني .Http://site.iugaza.edu.ps/ishbeka/files/٢٠١٢/١١/pdf_٤٩. Pdf٢٠٠٢/٠٥/٠٧

٢ . الدكتور محمد عمارة معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ص٦ .

بمعناها الديني والإلهي، فتعاملت مع الموروث الديني التواري والإنجيلي باعتباره جملة معترضة في السياق الحضاري الغربي، وحكمها على الدين أنه إفراز من إفرازات العقل البشري، يلائم طور الطفولة فقط، لتدريج الفلسفة الأوروبية بعدها من طور الميتافيزيقا إلى طور الفلسفة الوضعية الواقعية التي جعلت للمصدر الوحيد للمعرفة هو الواقع والعلم ثمرة للتجربة دون سواها^(١).

ويرى في هذا الجانب كذلك الدكتور مصطفى السباعي أن الأساس الذي قامت عليه الحضارة الغربية، أساس مادي بعيد عن روحانية الدين وتأثيره في نفوس الأفراد والجماهير وما زال الدين يفقد سلطانه على الغربيين شيئاً فشيئاً حتى وجد الغربيون أنفسهم في هذا المنحدر السحيق وهذا القلق الشامل العميق، ويجد مفكروهم وعقلاؤهم الآن استدراك ما فاتهم من روحانية الدين، ولكن لأنّ لهم ذاك وقد أتت الشجرة ثمارها واشتتدت جذورها. وإذا كان من مميزات الدين أن يوفر للناس قسطاً من الطمأنينة النفسية والروحية التي تخفف عنهم أعباء الحياة وألامها وتکبح فيهم جموح الغرائز وشهواتها، كما فعل الإسلام في أوج حضارته وازدهارها واتساع رقتها، أدركنا أي مقدار من الشقاء جلبته الحضارة الغربية على أبنائها حين أقصت الدين عن التوجيه في الحياة العامة، وجردته من سلاحه الفعال في بث الأمل والعزيمة والتضحية والرحمة في نفوس الأفراد والجماهير^(٢).

ومما سبق فيمكننا القول: أن الحضارة الغربية كانت سبباً في إفلاس الشعوب الأوروبية، بحجة إسعادهم وبث الطمأنينة فيها فلما ابتعدت عن الدين وحاربته ظنت أنها تستطيع السير وحدها دون اللجوء إليه، فأصبحنا نرى اليوم رغبة صادقة من الكنيسة في التعاون مع الدولة في كثير من الحكومات الغربية على تخفيف ويلات الحضارة على أبنائها، ومثال ذلك ما يقوم به بابا الكنيسة في روما من زيارات لمختلف دول العالم لبعث روحانية الكنيسة من

١ . الدكتور محمد عمارة ، قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي ص ١٩ .

٢ . الدكتور مصطفى السباعي - مقال بعنوان الأساس المادي للحضارة الغربية موقع دار المعرفة <https://daratalmarifah.wordpress.com/٢٠١٧/١١/٢٢/civilization>

خلال مختلف النشاطات الخيرية للكنيسة. ومثال ذلك ما تقوم به "جمعية التسلّح الخُلُقِي" المنتشرة في أوروبا، وكانت لها زيارات لبعض بلدان الشرق الأوسط والأقصى ومنها القاهرة، وهي تدعو في الظاهر إلى الفضيلة والرحمة والعدالة وما أشبهه هذا، هذه بعض مظاهر النشاط الديني في الدول الغربية، التي تدل على أنهم بدأوا يفكرون في الدين لتخفيض أضرار مدنية لهم.

ب- الطابع العنصري للحضارة الغربية

يذهب الدكتور محمد عمارة أن الإغريق كانوا يرون أن الذين يتحلون بالديمقراطية هم قلة من السادة والأشراف والملوك، وهم من ابتدعواها وأنَّ من عداهم من البشر هم همج وليس من حقهم التمتع بالديمقراطية وليس لهم حقوق في هذه العنصرية فكانت القلة منهم من تمتلك السيادة والديمقراطية والباقي ليس لهم حقوق فهم من البرابرة وكان جلياً ومثال على ذلك القانون الروماني الذي هو مظهر من عبقرية الحضارة الغربية حيث كانوا يعتبرون أن الشعوب والمستعمرات الغير رومانية وغير الأحرار من الرومان ليس لهم شرف أن يطبق عليهم القانون الروماني وهناك من المتأثرين بالغرب من كان يظن أن الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي تأثر بالقانون الروماني لأن القانون الروماني كان يحكم الشام، ولما فتح المسلمون الشام تأثروا بالقانون الروماني فييدوا أن هذا الكلام غير صحيح على الإطلاق، كما في ذلك الدكتور صوفي أبو طالب في رسالة الدكتوراه إلى أن كثيراً من الابحاث والإثباتات تقول:

أن أول ترجمة لبعض نصوص القانون الروماني تمت بعد تدوين الفقه الإسلامي ولم تكن هناك أي علاقة تأثر للفقه الإسلامي بالقانون الروماني لأن القانون الروماني لم يكن يحكم الشام قبل الإسلام لأن المستعمرات الرومانية لم يكن يطبق عليها هذه القوانين، وفي العصر الحديث تكررت تلك الأفكار عند النازيين في ألمانيا وأبى من ورائها عشرات الملايين وكذلك الصهيونية الغاشمة التي قتلت وشردت وهجرت العديد من أبناء الشعب الفلسطيني، فالنموذج الغربي الليبياني المتوحش يميزه الطابع العنصري كما يذهب له "فوكوياما" في تمييزه بين الأبيض والأسود والتفرقة بين الساميين فكل هذه نزعات عنصرية، وفكرة فلسفية عنصرية،

وحتى الفلسفات التي كانت ت يريد تحرير الطبقة العاملة وتطبيق العدالة الاجتماعية كانت تعتبر الاستعمار الغربي في البلاد الغير غربية نوع من التمدن والتحضر، و"ماركوس" عندما استعمرت الجزائر فرح وقال أن هذا الاستعمار هو الذي سيمدن الجزائر لأنه هذه الثقافة الرجعية لهذا البلد، وهو يقصد بذلك الإسلام وينقل الرأسمالية التي ستتدرج طبقة عاملة، ولما استعمرت الهند، كان نفس الشعور بالنسبة لماركوس فكل التيارات الفكرية الغربية كانت تعتبر إزالة البنية الأساسية للشعوب الأخرى نوع من التمدن والتحضر وهذا موقف عنصري^(١).

جـ الطابع الصراعي للحضارة الغربية

١. جاءت فكرة الصراع كما يعبر عنها الدكتور محمد عمارة، من المصارعة وهذه الفكرة موجودة في النظريات الأساسية التي تتكون منها النهضة الأدبية في العصر الحديث، وأن أغلب ما تنص عليه الحضارة الغربية أن البقاء للأصلح والأقوى، فالصالح عندهم ليس الأكثر خلقاً والأكثر إصلاحاً وهي نفس النظريات للنظرية الصراعية، ولهم أيضاً الصراع الطبقي سائداً في الجاهلية وبعد ما ذاع نظام العبودية قضى على الإشاعية ثم جاء النظام الإقطاعي فقضى على العبودية، ثم جاءت الرأسمالية فقضت على الإقطاعية ثم جاءت الشيوعية فقضت على الرأسمالية، وكلما دخلت أمة قتلت ولعنت أختها، فلا يوجد أحد يعترف بالآخر، فالجديد عندهم دائماً يمحو القديم. فنرى أن الحضارة الغربية قامت على فكرة الصراع منذ أمد بعيد وهذا جلي في مرحلة الحروب القومية التي شهدتها أوروبا والحروب الدينية بين المذاهب النصرانية التي أزهقت الملايين من الأرواح، وفي هذا السياق يتحدث الدكتور محمد عمارة بقوله: "لقد امتدت الحروب الدينية داخل النصرانية ذاتها بين الكاثوليك والبروتستانت أكثر من قرن، أبىده فيها ٤٠٪ من شعوب وسط أوروبا"^(٢). ونحن

١. - الدكتور محمد عمارة - محاضرة بعنوان رؤية نقدية للحضارة الغربية والحضارة الإسلامية - مركز الدراسات المعرفية - Ps/ishbeka/files/٢٠١٢/١١/٠٧/pdf_٤٩. pdf <http://site.iugaza.edu>

٢. الدكتور محمد عمارة الإسلام والآخر، مكتبة الشروق الدولية سنة ٢٠٠١ م مصر، ص ١٤٧.

نسميهما كما يذكر الدكتور محمد عمارة- الحرب العالمية كنوع من الإعلام ولكنها حرب استعمارية بين القوى الاستعمارية الأوربية الكبرى، ونحن لم نكن طرفا فيها، فهنا تمثل المصطلحات مشكلة كبيرة فالحرب العالمية هي ليست عالمية ولكنها فرضت على العالم فهي حرب استعمارية أصبح لها تأثيرات وبعد عالمي، فالحرب الدينية من ضمن النزعة الصراعية والحروب الصليبية والاستعمار الأوروبي كانت أغلبها موجهة ضد العالم الإسلامي. ومن أمثلة زيف وكذب وبهتان الحضارة الغربية وثقافتها علينا، ما يذكر أن كريستوف كولومبوس مثلاً أنه جاء للشرق ليكتشف هذا الطريق وإنما سقطت غرناطة في يناير عام ألف وأربعينائة واثنان وتسعون وفي أغسطس من نفس العام شوهدت الحملة الصليبية لـ كولومبوس على العالم الإسلامي وقامت بشيءين أولهما: تحول طريق التجارة بين أوروبا وآسيا. والثاني للالتفاف حول العالم الإسلامي.

كما قام أيضاً "فاسكو ديجاما" في البرتغال باكتشاف رأس الرجاء الصالح ثم جاء إلى شواطئ الهند فحاربه الجيش المصري سنة ١٥٠٧م، إذن فالصراع الحضاري مستمر منذ سقوط غرناطة إلى يومنا هذا. كما يروج "المجلان" أنه رجل مكتشف ولكن في الحقيقة قتل وحارب ونكل بال المسلمين في شواطئ الفلبين عام ١٥٢١م، بعدما كانت الفلبين دولة مسلمة ودخل المستعمرون بعده إليها، ثم تحولت إلى بلد كاثوليكي يضطهد المسلمين في جنوب الفلبين حتى الآن.

فمما سبق مما ذكره الدكتور محمد عمارة وما لاحظناه: فإن الحضارة الغربية تتميز بطبع صراعي وأن مبدأ الصراع جزء منها، وهي المروجة لمبدأ صراع وصدام الحضارات وعلاقتها مع العالم كما يراها الغرب تتميز بأنها دموية وصراعية من أجل السيطرة والهيمنة وملء الفراغ.

د_ طابع عقورية الحضارة الغربية

ومن وجهة نظر أخرى يرى الدكتور محمد عمارة أن الحضارة الغربية لا تخلو من جوانب إيجابية وهذا أمر طبيعي، فمن الملاحظ أن الحضارة الغربية تركت الجانب الروحاني والإلهي، فيما يسمى بعصر الظلمات والجمود الفكري وسيطرة الكنيسة على العقل الأوروبي ومنعه من الإبداع والإبتكار، ورُكِّزت في العصر الحديث على الجانب الدنيوي فأبدع في علوم المادة والكون فتتج عن ذلك تطور هائلاً الذي يجب أن نسعى إليه، ونتعلم منه، ومثال ذلك في الجانب الإنساني ما يسمى "بفكرة المؤسسة" فالكنيسة مؤسسة فالفاتيكان له أموال طائلة فهو أكبر إقطاع رأسمالي في الغرب فأمواله توظف في الأفلام الجنسية والدعارة ففي أي مجال يستخدمه وبأي شكل فالقاموس في الحضارة الغربية له مؤسسة، ودائرة المعارف لها مؤسسة، والثقافة لها مؤسسة، والأحزاب لها مؤسسات لذلك أصبحت معدة الحضارة الغربية معدة قوية وصدق الشيخ محمد عبد رحمه الله حيث كان يقول: "أن الباطل يعيش بالنظام والحق لا يعيش بغير النظام، فمأساتنا فقدان المؤسسات"^(١).

المبحث الرابع: نقد الحداثة الغربية

تمهيد: مما نلاحظه اليوم، أن سؤال مفهوم الحداثة الغربية، وكيفية تلقّيها في المجتمعات العربية عامة والإسلامية خاصة يعتبر من أهم المسائل التي خلقت جدلاً في الأوساط الفكرية من نخبنا لكون هذا المفهوم في سياقات غربية مغايرة عن السياق والطرح الإسلامي لأنها لا بد لها من الخضوع لسلطة النص الديني، فمصطلاح الحداثة هو فعل تجاوز كل ما هو مقدس، هذا ما خلق في ثقافتنا نوع من التوجس من الوافد الجديد، فانشطرت أنواع التلقّي لهذا الوافد الجديد إلى مواقف، رفض له كلية وتفاعل معه، و موقف وسطي توفيقية بينهما. ومن بين المواقف التي آمنت بضرورة الانفتاح والتفكير في أفق كوني موقف الدكتور محمد عمارة الذي يقدم تصوراً مغايراً عن باقي الأطروحات، لأنه يرى أن الشريعة الإسلامية تتقاطع

١ . المصدر السابق: ص ٨

والحداثة في المبادئ الإنسانية وتحتفل عنها في المضامين الأيديولوجية. ومن هذا المنطلق سنرج على مفهوم الحداثة الغربية لغة واصطلاحاً ونذكر أهم أنسابها.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للفظة الحداثة

ورد في لسان العرب لابن منظور الحديث نقىض القديم، والحدوثُ نقىضها لقَدَمَةَ، حدث الشيء أي حدث حدوثاً وحدثه هو، فهو مُحدَثٌ وحدث، وكذلك استَحْدَثَه^(١). وجاء في لسان العرب لابن منظور أن الحداثة هي اللفظة المشتق من الفعل حدث، بمعنى وقع، وحدث الشيء ويحدث حدوثاً وحدثة فهو مُحدَثٌ وَحَدِيثٌ، وحدث الأمر أي وقع وحصل، وأحدث الشيء أي أوجده والمحدث هو الجديد من الأشياء^(٢). ولهذا كان استعمال الكلمة حدث للدلالة على التفتح والحرية الفكرية، ويوجد في قاموس المحيط الكلمة حداثة تعني حدث حدوثاً وحدثة، نقىض قدم وتحتم داله إذا ذكر مع قدم، وحدثان الأمر بالكسر، أوله وابتداوه كحدثة^(٣).

وقد استخدمت العرب حدث مقابل قدم أي ما يعني أن الحداثة تعني الجدة والحدث يعني الجديد، وجاءت الكلمة الحديث في معجم تهذيب اللغة للأزهري: شابٌ حدثٌ: فَتَيْهُ السِّنِ، والحدث الجديد من الأشياء^(٤). والملحوظ أن لفظة الحداثة لا تخرج عن إطار التمرد والثورة عن كل ما هو قديم والدعوة إلى الجديد.

أما في الثقافة الغربية فيقع اللبس بين مصطلحين هما: (modernité) و (modernism) إذ تتم ترجمة كل منهما إلى اللغة العربية مقابلاً بمصطلح الحداثة الذي

١ . حمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، ط ٣ سنة ١٤١٤ هـ دار بيروت لطباعة والنشر بيروت لبنان ج ٢ ص ١٣١ مادة حدث ١٤١٤ هـ بيروت لبنان .

٢ . المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣١ .

٣ . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط ٨ سنة ٢٠٠٥ م، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان ص ١٦٧ .

٤ . أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحرير عبد السلام العربياوي، ج ٤ القاهرة د. ت، الدار المصرية للتأليف والترجمة مادة حدث .

يختلف عن التحديث (modernization)، ويشير البعض على أن الأولى " مشتقة من الجذر (mode) وهي الصفة والشكل أو هو ما يبدأ به الشيء، فاللغة العربية ترتبط بما له أكثر من دلالة عما يقع أنه يحدث، فالشكل ليس هو المهم وليس هو الصورة التي تبرز فإنما يحدث يثبتت بواقعيته وراحتيه^(١).

وجاء في بعض الموسوعات الفلسفية الأخرى تعريف للحداثة نذكر منها أن الحداثة، في المعجم الفلسفى هي الحديث الذى يتضمن صفات المدح أو الذم، فالحديث، الذى يتضمن معنى الذم صفة الرجل قليل الخبرة السريع التأثير الم قبل على الأعراض التافهة، دون الجوهر العميق، والمعرض عن القديم لمجرد قدمه لحبشه وفساده، أما عن الحديث الذى يتضمن معنى المدح صفة الرجل المفتح الذهن المحيط بما انتهى إليه العلم من الحقائق المدركة لما يوافق روح العصر من الطرق و الآراء والمذاهب^(٢) ويشير هذا إلى أن الحديث لن يخلو من الشر لأن الحديث ذا صفة معيارية و نسبة تحاول جمع محاسن القديم والحديث، لتصبح رمزاً الأصالة والإبداع والابتكار والتي تحمل الخير للعصر من أجل التخلصى على كل التقاليد الجامدة والعادات البالية ويكون الحديث بهذا المعنى يرتبط بمفهوم التطور والإنساء في جميع الميادين. إن الفكرة المتوصل إليها في تحديد المفهوم اللغوي لمصطلح الحداثة أنها ارتبطت دائماً بصفة الحديث باعتباره رمزاً لها للكشف عن كل جديد والتخلص عن كل قديم الذي لا يليق بإنفتاح أصالتها^(٣).

المطلب الثاني: المفهوم الإصطلاحى للحداثة

تعتبر الحداثة أحد المفاهيم التي لها معانٌ كثيرة ، ويشتبك مفهومها مع مفاهيم مجاورة له من قبيل التجديد والتحديث وهذا ما يزيد من صعوبة تحديد مدلولها والوقوف على تعريف محدد للحداثة إذ لا يمكن حصرها في اتجاه محدد، ومنذهب معين و هذا ما أدى إلى

١ . صFDI مطاع، نقد العقل الغربي ، الحداثة وما بعد الحداثة مركز الإنماء القومى، بيروت لبنان، د ط ج ٢، ص ٦٦٠ .

٢ . جميل صليبا، المعجم الفلسفى دار الكتاب اللبناني بيروت - لبنان ، ط ١ سنة ١٩٨٢ ، ج ٢ ، ص ٤٥٤-٤٥٥ .

٣ . جوادى الجيلاني، مذكرة لنيل شهادة الماستر نقد الحداثة الغربية عند طه عبد الرحمن جامعة قاصدي مرباح ورقة تاريخ المناقشة ٢٠١٧ م، ص ٨٠ .

اختلاف بعض مواقف المفكرين، نظراً لتنوع تعاريفاتها بحسب مقارباتها الفلسفية. وفي نظر الدكتور محمد عمارة أن الحداثة الغربية جعلت الكون المادي والواقع الدنيوي فقط وليس -الغيب - هو مصدر المعرفة الحقة والعلم الحقيقي كما جعلت العقل والتجربة وحدهما دون "النقل" و "الوجودان" الطرق المعتمدة والمأمونة لتحصيل هذه المعرفة فكانت القطعية المعرفية مع الموروث وبالذات الموروث الديني تلك التي تميزت بها ثقافة الحداثة الغربية، والحداثة الثقافية عندما عزلت علمانيتها السماء عن الأرض، بدعوى أن "العالم مكتف بذاته"، وأن "الإنسان مكتف بذاته وأن تدبير هذه الحياة الدنيا إنما يتم بالأسباب المادية والملكات الإنسانية المودعة في ظواهرها وعوالمها دونما حاجة إلى مدير مفارق ومتعال من وراء الطبيعة ن حتى لقد جعلت هذه الثقافة الحداثية التي تمحورت حول الإنسان دون الله جعلت من هذا الإنسان كائناً طبيعياً وسيداً للكون وليس ذلك المخلوق الرباني، الذي نفح الله فيه من روحه، وجعله خليفة له... أي سيداً في الكون، وليس سيد الكون، وإنما عبداً لسيد الكون^(١).

المطلب الرابع: الحداثة بالمفهوم الغربي

مما سبق لاحظنا أن الغربيين المهتمون بدراسة الحداثة على أساسها وأصولها، وإن اختلف مصطلح بعضهم على هذا المصطلح وتفاصيله، فهم يجمعون على أن الحداثة منهج تغييري و مذهب انقلابي في المفاهيم والأفكار وتطور مفهومها بتطور مفهوم الزمن، فما كان حديثاً في السنة الماضية لا يكون حديثاً في هذه السنة^(٢). يرى "أندريه لالاند" أن الكلمة حداثة تقابل حديث "Moderne" ومشتقة من الجذر "Mode" وهي لفظ قديم مستعمل بكثرة منذ القرن العاشر في الحوار الفلسفي والديني، ويکاد يستعمل دوماً بمعنى ضمني وهذا

١ . د. محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية مكتبة الشروق، ط ١ سنة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٦.

٢ . أنظر: محمد بن أحمد عبد العزيز العلي، رسالة دكتوراه بعنوان الحداثة في العالم العربي، دراسة عقدية جامعة محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ،الرياض المملكة العربية السعودية، سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م، ص ٢١١.

ما زاد في الحرية الفكرية ومعرفة أحدث الواقع المكتشفة، أو بمعنى عامي خفة انشغال، وحب التغيير من أجل التغيير بلا حكم على الماضي وبلا تفكير فيه^(١) ويعرفها "جان بودريار"، حيث يقول: "إن الحداثة ليست مفهوم السيسولوجي أو سياسياً أو تاريخياً يحصر المعنى، وإنما هي صيغة تعارض التقليد ومع ذلك تظل الحداثة موضوعاً عاماً يتضمن في دلالته إجمالاً الإشارة إلى التطور التاريخي بأكمله وإلى التبدل في الذهنية"^(٢). ويوضح هذا أن الحداثة ممارسة أرادت أن تناقض الأساس الثقافة الغربية في الماضي والتي كانت قائمة على الدين، وبهذا ابتدأت الحداثة في أوروبا منذ اللحظة التي تفككت فيها الثقافة الدينية وظهرت الثقافة اللادينية، وهذا لأن الحداثة مختلفة ومتعددة الأوجه ببعد تعرifاتها. فالحداثة بهذا المعنى مصطلح ثقافي ومفهوم يعبر عن لا محدودية المستقبل، عن شموليته، وعن كونه العام مقابل الخاص، أو ما قام منه، ومن هنا تحمل الحداثة إمكانية التبشير بال مختلف الذي سيأتي به الأفق اللامحدود المستقبلي^(٣) وبهذا تصبح الحداثة خطأً حضارياً متوجهًا نحو المستقبل، داعياً إلى أفق جديدة ترفض كل ملامح الثقافة التقليدية ومبشرة بالتغيير والتحول داخل المجتمع، من أجل تجاوز مظاهر التقليد الطاغية على الحاضر.

أما بودلير (١٨٢١ م ١٨٦٧ م)^(٤) فالحداثة عنده هي العابر والهارب والعرضي إنها نصف الفن الذي يكون نصفه الآخر هو الأبدى والثابت، وللحداثة وجهان : سلبي وهو ما عكسه عالم المدينة الكبيرة بما فيه من غياب التحضر والذي يتجلى في التقدم القائم على التقنية المعتمدة على البخار والكهرباء، ووجه فاتن، وهو عنصر إثارة^(٥) ويفكك الحداثيون الغربيون

١ . أندريه لالند، موسوعة لالاند الفلسفية ترجمة خليل أحمد خليل منشورات عويدات، -بيروت- ، باريس، ط ٢ ، سنة ٢٠٠١ ج ٢ ، ص ٨٢٢.

٢ . عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر مقارنة حوارية في الأصول المعرفية، الهيئة المصرية العامة، مصر، سنة ٢٠٠٥ م، ص ٣١٢.

٣ . مطاع صدقي، العقل الغربي للحداثة وما بعد الحداثة مركز الانتماء القومي، بيروت لبنان سنة ١٩٩٠ م ص ٢٠٣.

٤ . شارل بودلير هو شاعر وناقد فرنسي ومن أبرز شعراء القرن ١٩ ومن رموز الحداثة في العالم، له كتاب الأعمال الشرعية الكاملة ترجمتها رفعت سلامة في دار الشرق القاهرة سنة ٢٠٠٩ م.

٥ . محمد برادة، إعتبارات لتجديد مفهوم الحداثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٦ م، ص ١٢.

على أن أخص مفاهيم الحداثة، هو الثورة على كل ما هو قديم وثابت والنفور من كل ما هو سائد من أمور العقيدة والفكر والقيم واللغة والشؤون الأدبية والفنية، وهذا ما يؤكد على أنها ثورة على الواقع بكل ما فيه من ضوابط ويقول الروائي الفرنسي فلوبير عن الحداثة: "الحداثة هي التعصب للحاضر ضد الماضي بمعنى أن الوعي الحداثي ليس تشيعاً لسلطة ماضوية، وحنيناً إلى أصل تليد وحقبة ذهنية، بل هو تمجيد للحاضر وانفتاح على الآتي"^(١). هذا يعني بأن الحداثة عبارة عن مذهب انقلابي في المفاهيم والأفكار يختفي تحت شعار التقدم والتطور في جميع الميادين، ولهذا فالحداثة لا تقييد لا بعصر ولا بزمن عكس المعاصرة التي تتحدد بالزمن، فهي تسعى إلى نهوض الأمم دون غير. ومن أهم أفكاره التي تؤسس للحداثة في الأدب، قوله: ليس مواضيع جميلة أو بذئنة إذا ابتعدنا عن قاعدة الفن الخالص، لأننا نستطيع بالإنشاء أن نغير نظرتنا إلى الأشياء^(٢). ويعرفها الناقد الفرنسي "رولان بارت" الحداثة هي انفجار معرفي لم يتوصّل الإنسان إلى السيطرة عليه، ففي الحداثة تنفجر الطاقات الكامنة والإبداع المعرفي مولدة في سرعة وكثافة مدهشة أفكاراً جديدة، وأشكالاً غير مألوفة وأقنعة عجيبة، فيقف بعض الناس منبهراً بها ويقف بعضهم الآخر خائفاً منها هذا الطوفان المعرفي يولد خصوبة لا مثيل لها، ولكنه يغرق أيضاً^(٣).

المطلب الخامس: الحداثة بالمفهوم العربي

يقول الدكتور محمد عمارة : الحداثة هي قطيعة معرفية كبرى مع المورث ومع الموروث الديني، على وجه الخصوص فثقافة الحداثة التي جاءت إلينا في ركاب الغزو الإستعماري، نقلت الثقافة من التمحور حول الله تعالى إلى التمحور حول الإنسان، أي أنها أقامت قطيعة معرفية كبرى بين السماء والأرض بين الإنسان وخلقه، وجعلت الإنسان مكتفياً بذاته والدولة مكتفية بذاتها، ليست في حاجة إلى شريعة تنظمها وتحكمها، من وراء العالم الذي نعيش

١ . د. محمد الشيكري هايدغر وسؤال الحداثة قط المغرب سنة ٢٠٠٦ افريقيا الشرق ص ١٢ .

٢ . فيكتور برومبير غوستاف فلوبير ترجمة غالية شملي، ط ١ لبنان ١٩٧٨ م سلسلة أعلام الفكر العلمي المعاصر ص ٢٢ .

٣ . عدنان رضا النحوي، الحداثة في منظور إيماني ط ٣ سنة ١٩٨٩ م - ١٤١٠ هـ دار النحوي للنشر والتوزيع - الرياض المملكة العربية السعودية، ص ٢٥-٢٦ .

فيه. إذا فالحداثة هي الثقافة التي أنسنت الدين وجعلت الدين وضعياً بشرياً ولذلك الحداثيون يتحدثون على أن القرآن وأنه وضع إنساني^(١) يزعم بعض الباحثين أن الحداثة العربية تابعة للحداثة الغربية جملة وتفصيلاً، فمعناها واحد ومفهومها متطابق، فهي مستوردة من المستوردات الغربية مصدرها الأول هو الحضارة الغربية لذا فإن ما تتطوّي عليه من ملل وثنية ومذاهب فلسفية واتجاهات فكرية ومناهج، وضعيّة، فهي في الحقيقة غربية الأصل، والنشأة والتوجه والأهداف، ولكنها مترجمة إلى العربية ومنقوله إليها بأحرف عربية الحرف أجنبية الولاء^(٢).

يقول هشام شرابي: "الحداثة في جوهرها هي عملية انتقالية تشتمل على التحول من نمط معرفي إلى نمط معرفي آخر يختلف عنه جذرياً، وهي انقطاع عن الطرق التقليدية لفهم الواقع، واحلال أنماط معرفية وفكرية جديدة"^(٣). ويرى محمد محفوظ "أن الحداثة ليست كياناً ثقافياً أو تاريخياً، بل هي نتاج تراكم تاريخي يبني فيه الإنسان نفسه من جديد وبصورة دائمة، وذلك بتصحيح أخطائه، وتسخير العقل في سبيل إعادة بعث وجوده الوعي"^(٤). مما سبق تبين لنا أن مصطلح الحداثة دخيل في حقل دائرة ثقافتنا العربية، وأخذ أبعاداً متعددة وتعريفات مختلفة، ويعود من المفاهيم التي اكتنفها الغموض واللبس، سواء على صعيد بيئتها الأولى ومنطلقها العالم الغربي، أو في العالم العربي.

-
- ١ . رابط الفيديو بعنوان الخلط بين الحداثة وتجديد الخطاب الإسلامي - الدكتور محمد عمارة سؤال وجواب .
https://www.youtube.com/watch?v=4.feTa_PKpo&ab_channel, ١٨/١٢/٢٠١٦
 - ٢ . د. سعيد بن ناصر الغامدي الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكّرها - ط ١ سنة ٢٠٠٣ م - دار الأندلس الخضراء - جدة المملكة العربية السعودية، ص ٧٦
 - ٣ . هشام شرابي النظام الأبوّي واشكالية تخلف المجتمع العربي من ترجمة ماهر شريج دار نلسن السويد ط ٤ سنة ٢٠٠٠ م ص ٨٩
 - ٤ . محمد محفوظ، الإسلام والغرب وحوار المستقبل، ط ١، المركز الثقافي العربي، بيروت سنة ١٩٩٨ م، ص ٣٣

الفصل الثاني: في الرد والنقد على الإفتاءات

المبحث الأول: إشكاليات في قراءة النص الديني وتفسيره

تمهيد: بلغ بأصحاب مدرسة الفكر الحداثي إلى أنهم لم يتوقفوا عند الإساءة بالسياسات العامة، ونقد التراث الثقافي والاجتماعي، والطعن في عفة المرأة وردها إلى ميدان العبودية فقط، بل تطاولوا على ذلك وبلغوا في طعنهم حتى السيرة النبوية المطهرة، وطعنوا في شخص النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا تطلعنا في قراءة كتبهم، سنجد أن أكثرهم تعرض لشخصية النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، أو حتى في كلام الله تعالى المنزل عليه، ومن خلال هذا المطلب سنعرج على كتابين قيمين للدكتور محمد عمارة رحمه الله أما الأول فكان بعنوان "التأويل العبّي للوحي والنبوة والدين"، حيث كان هذا الكتاب بمثابة دراسة نقدية لكتاب: "بسط التجربة النبوية" للمؤلف الإيراني عبد الكريم سروش^(۱)، والذي يرد عليه فيه الدكتور محمد عمارة على أهم الشبهات التي ذكرها في شخص سيد المرسلين. أما الكتاب الثاني فكان بعنوان: "قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي"، والذي يرد فيه الدكتور عمارة أيضاً، وينقد تلك الفرق الحداثية التي ترى موت المؤلف (علم الهميمونطيقاً)، و يشرح تأويل بعض المذاهب الإسلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية.

أما نحن في هذا المبحث سنعرج على بعض النماذج النقدية للدكتور محمد عمارة التي نراها هامة جداً ونحاول تتبع عثرات هؤلاء الحداثيين، وننقد ما وضعوه من شبه ونلخصها في هذا المطلب وبالله التوفيق.

۱. عبد الكريم سروش هو الاسم المستعار لحسين حاجي فرج الدباغ، أحد أبرز المثقفين في إيران ويكرس اهتمامه في الدين والديمقراطية والتبشير الديني؛ ولد في طهران سنة ۱۹۴۵ م ودرس في الثانوية المسمى بـ«رفاه» وهي من المدارس التي كانت تحرص على الجمع في مناهجها بين الدروس الدينية وبين المواد العلمية المعاصرة؛ التحق بجامعة لندن في فرع الكيمياء وحصل على الدكتوراه. لكنه ترك تخصصه في الكيمياء والصيدلة واتجه إلى فلسفة العلم ودراسة تياراتها النقدية الحديثة وتراث المدرسة الوضعية. كان سروش قريباً من علي شريعتي ومرتضى مطهري، وهما وجهان محوريان في فترة ما قبل الثورة في إيران، وبعد الثورة عاد إلى بلده وشغل مناصب علياً في الدولة وأخرى بحثية أهمها الأبحاث والدراسات الثقافية.

المطلب الأول: الوحي بشرياً لا نبوياً محضًا، نقد نظرية الكاتب الإيراني عبدالكريم سروش

يصور الدكتور عبد الكريم سروش، في كتابه *بسط التجربة النبوية*، شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه "العارف" الذي بلغ المرتبة العالية، وقدرة الكشف الذي تميز به على كثير من البشر، نتيجة للرياضيات الروحية التي تمكّنه من الإطلاع على أسرار الغيب، حيث يكون هذا الإطلاع بعد "غليان الشخصية" كما سماه الكاتب، فيفرز له هذا الغليان ما يمسى الوحي القرآني والرسالة. ويؤكد الدكتور سروش أن القرآن والوحى والرسالة، كله يكون نتيجة الغليان وينفي كونه تنزيل من الأعلى.

يدرك الدكتور محمد عمارة على لسان سروش حيث يقول: "عندما يوسم الشيطان في واقع الإنسان، وعمقه الداخلي فكأنه يوحى إليه، والأنبياء بدورهم يتعرضون لـ"وسوسة الملك"، ثم تعرض عليهم الكشوفات"^(١). ويرى سروش أن الوحي يعتبر نوع من أنواع الإشراق، يحدث للنبي فيتعرف على حقائق و أسرار عالم الغيب وقد يحصل حتى للآخرين كما يقول إلا أن هذا الإشراق يكون ضبابي وغير تام، بينما كشف النبي يكون تام... وهذه ويسهب سروش في كتابه "بسط التجربة النبوية" حيث يقول: "القد كانت شخصية النبي، بمثابة الخزانة التي تحوي أسراراً وعلوماً الشخصية عندما تغلي، وتفور يطفح الوحي الإلهي من مطاوي كلماتها بمعنى أن ما يقدمه النبي من معارف الوحي للآخرين، عبارة عن غلبة بركان وجوده المؤيد والمُسَدَّد، قطرة من بحر معارفنا ولذلك فإن هذا الغليان وهذا الكلام الوحياني، يكون تابعاً له، وليس هو تابعاً لهذا الكلام. ولقد كان النبي يمارس رياضة مدة أربعين سنة، ثم تجلت للنبي حقيقة النبوة، وصار منوراً كبوذاً...!"^(٢).

١ . د. محمد عمارة، التأويل العبّي للوحى والنبوة والدين، دراسة نقدية لكتاب *بسط التجربة النبوية*، ص ٣٢.

٢ . عبد الكريم سروش، *بسط التجربة النبوية* ترجمة أحمد القبانجي، سنة الطبع ٢٠٠٦، دار الفكر الجديد، العراق، ص ١٩٩، ١٩٩٧.

مما سبق نرى أن الدكتور محمد عمارة بدأ يرد على هذه الشبهة رداً جلياً، ويدحض وينتقد كلامه بأسلوبه الذكي والرصين، حيث من خلال كلامه انتقد هذا الأخير سروش، بأنه أله النبي وجعله مصدراً للوحي، والقرآن والرسالة، بعدما أعطاه صبغة الكاشف العارف.

بين الدكتور عمارة أيضاً أن سروش من خلال كلامه هذا يكون قد عزل السماء عن الأرض، وأنزل السماء إلى الأرض لأن النبي بدلاً من أن يكون متلقياً للوحي، كان مصدراً له، وهذا بهتان عظيم في شخص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وافتراء كبير في حق الوحي الإلهي، لأن المتبوع جيداً لكلامه يعرف أن سروش يريد أن يذهب بفكرة إلى أن الله تعالى ليس هو الذي يرسل جبريل الذي اصطفاه من ملائكته من السماء إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي اصطفاه على سائر البشر ويدهب سروش إلى أن النبي، هو من ينزل جبريل عليه السلام، وليس الله هو من يأمره بالنزول فيكون بذلك أنه أله النبي بكلامه هذا، حتى يستقل عن السماء تماماً، بل إلى تبريره إلى أن النبي هو الذي يأمر جبريل بالنزول وليس الله هو الذي ينزل جبريل استدلاله على أن النبي هو مصدر هذا الوحي ومنتجه لا متلقيه وبرهن على كلامه هذا، واستدل على هذه الهرطقة كما يقول الدكتور محمد عمارة بالآية الكريمة، التي يقول الله تعالى فيها: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾^(١). يقول الدكتور سروش معقباً على هذه الآية: "عندما يكون رمي النبي هو رمي الله تعالى، فيكون قوله أيضاً قول الله تعالى ومن هنا، فإن فهم النبي بدوره هو فهم الله، والوحي ليس شيئاً سوى نوع من الإدراك الخاص للنبي"^(٢) ومن حيث كلامه هذا تجاهل سروش أنه ليس كل قول أو رمي من النبي هو قول ورمي الله تعالى، بل أن هناك أقول للنبي صلى الله عليه وسلم يكون قد اجتهد فيها، وربما يكون أخطأ فيها، فكل ابن آدم خطاء، ثم يعقب الدكتور عمارة فيقول: "إن الآية ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى" تعني أن الله تعالى، الذي يسد رمي الرسول فرمي الرسول تابع الأصل هو رمي الله ... وليس العكس كما قال الدكتور سروش"^(٣). فالدكتور

١ . سورة الأنفال، الآية ١٧.

٢ . المصدر السابق: ص ٢٤٣.

٣ . د. محمد عمارة، التأويل العبني للوحي والدين والنبوة، ص ٣٥.

سروش أيضاً أراد أن يعزل الوحي عن السماء و يجعل النبي مستقلًاً عن السماء أيضاً وبذلك يكون قد وصل إلى نتيجة بشرية الوحي ومنه ربطه بتاريخ معين و الكارثة العظمى أنه أله النبي لما جعله محاطاً بطبقات وعوامل ومراتب جميع الوجودات، فجعله الأمر والنهاي والفاعل في جميع هذه الوجودات ويكون بكلامه الخطير هذا قد أنسنا الألوهية، عندما أراد أن يُؤنسن النبوة والوحي والدين! وهذا لعمري افتراء وبهتان مبين.

ومن إفتراءات سروش الذي لفقها على شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وذكرها الدكتور محمد عمارة ونريد أن نلخصها نحن أيضاً أنه كان يقول ويتحدث، في كتابه "بسط التجربة النبوية" على أن الوحي بشري وتاريخي كما هو الدين، وأكد على أن هذا الوحي والرسالة أنهما مصدر من النبي، كما انكر سروش مفارقة النبوة للبشرية كما بينه من خلال كتابه. أن الرسول بشر، ردًا على ما تزعمه الثقافة الإسلامية التي نظرت ويدعى إلى النبي كمله، وأهملت الجانب البشري فيه ^(١).

ومن خلال تتبعنا لكتابات الدكتور سروش، نلاحظ تأكيده على أن القرآن إنتاج من النبي، هذا البشر العارف، ومنه كان من الممكن أن يكون حجمه أكبر من حجمه الحالي لو عاش النبي مدة أطول، و إمتد عمره، والعكس صحيح لو كان عاش النبي مدة أقل وحول هذا "الubit الفكري" ، يقول الدكتور سروش: "فلو أن النبي استمر في حياته وكان له من العمر أكثر مما كان، و واجه من الحوادث والتحديات أكثر مما وقع فمن الطبيعي أن تزداد ممارسته ومواجهاته للحوادث، وهذا يعني أن يكون أكثر في حجمه من القرآن الموجود" ^(٢). فمما سبق و تأييدها، لكلام الدكتور محمد عمارة رحمة الله الذي يرى أن سروش في كلامه هذا، قد أخطأ خطأ جسيماً، وأنه تجاهل بكلامه هذا الحقائق القرآنية التي تنص على أن القرآن الكريم كما هو نصاً موجوداً، ومحفوظاً في اللوح المحفوظ قبل أن ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن الكريم نزل منجماً (مفرقاً)، لا بسب الحوادث التي جرت زمن البعثة و مجتمعها، وإنما ليثبت الله به فؤاد رسول الله صلى الله عليه وسلم،

١. د. عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، ص. ٨.

٢. المصدر السابق، ص ١٦٣.

أمام التحديات البشرية، التي واجهت الدعوة الإسلامية، حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَحْدَةً كَذَلِكَ لِتُنَبَّهَ إِلَيْهِ فُؤَادُكُمْ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾^(١)

والمتبع في كتاب الدكتور عبد الكريم سروش، يجده ييرر وبشدة إمكانية زيادة أو نقصان القرآن الكريم من الممكن جدا، حيث أنه زعم أن الآية الكريمة التي تقول: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لِكُلِّ مَا يَنْكُفُ ﴾^(٢) لا تعني اكتمال الدين، بل أن القصد منها اكتمال الحد الأدنى للدين، وفي هذا قدح عظيم في أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي أحكمت آياته وأنه تنزيل من رب العالمين وأن آياته فصلت تفصيلاً. ولم أراد أن ييرر كلامه السابق أكد سروش أنه "في مسألة كمال الدين هناك فرق بين الكمال والجامع حيث أن الجامع يعني الشامل لكل شيء، ولكن الكامل يعني أن هذا الدين لا ينقصه شيء من الأدوات والمفاهيم"^(٣). والمتمعن جيدا في هذا القرآن الكريم سيجد أنه جمع بين الكمال والشمول، لأن الله تعالى لما قال اليوم أكملت لكم دينكم والذي قال أيضا: ﴿ مَا فَرَّقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٤) والناظر لحال هذه الأمة التي تفتخر بهذا الدين عندما خرجت من الجاهلية ومن عبادة الأوثان، التي أدخلتها في سذاجة حضرية قبل عصور الإسلام، إنما كان هذا كله بفضل الدين والقرآن، ولم نسمع يوما أنها شعرت بنقص في هذا الالكمال والشمول، أو تحدثت عنه في الكتب ولو وافقنا فرضاً كلام سروش، أن هذا القرآن توقف في الحد الأدنى كما يزعم أو حتى في حده الأوسط. فلماذا لم نصل إلى قمة الحد الأعلى بعد أربعة عشرة قرناً، من الواقع الذي عشناه والأحداث التي نعيشها من حروب وتقنولوجيا وسياسة دول التي كان من المفترض أن تزيد من حجم هذا الكتاب. يقول الدكتور محمد عمارة ناقداً ومفنداً لهذه الشبهة كلاما

١ . سورة الفرقان: الآية (٣٢).

٢ . سورة المائدة: الآية (٣).

٣ . د. عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، ص ١٦٤ .

٤ . سورة الأنعام: الآية (٣٨).

رائعاً: "إذا كانت أحداث مجتمع بسيط هو مجتمع النبوة، قد أُنْتَجَتْ في ثلاَث وعشرين عاماً" ٦٢٣٦ آية هي حجم الحد الأدنى للقرآن كما يقول سروش، فكم كان هو حجم القرآن، الذي كان مفترضاً على رأي الدكتور سروش أن تنتجه أحداث خمسة عشر قرناً، في مجتمعات بلغت شائناً بعيداً في التعقيبات والتحديات؟ أم أن رب العباد حشاه وتنزه عن ذلك تعالى قد تخلَّ عن عباده فتركهم للزمان وتحدياته، دونما هداية ولا حجة ولا تسديد^(١). ومن خلال ما سبق، يمكن أن نختم هذا المطلب الذي لو أردنا أن نتوسع فيه لأطْلَنا، حيث نستطيع أن نقول أننا توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي تكون رداً لهذه الشبهة التي أنسنت الوحي، وألهَّتَ النبي، وسار مع ذلك سروش بهرطقاته، فنقول: أن ما أجمعَتْ عليه كل الشرائع السابقة أن الوحي هو تنزيل إلهي، ينزله وعلمائها والله على رسَلِه لتَبَلِّغَ الناس كما ذكر ذلك أحبار الديانات السابقة. قد يسيِّرُها من خلال ما ذكر الدكتور سروش في كتاباته كقوله مثلاً: "إنني أعتقد أن النبي هو المُشرع للأحكام الفقهية، وأن النبي نفسه هو المُقنِّن لهذه المسائل، وبالطبع فإن الله تعالى أمضى القوانين التي شرعها النبي"^(٢). فهو يُقرُّ بأن التشريع نبوي، وأن الذات الإلهية، وضعها موضع من ختم على هذه التشريعات ولا حول ولا قوَّةٍ إِلَّا بالله . فهو بكلامه هذا يُكَوِّنُ مكذباً لمحكم التنزيل الذي لا يقبل التأويل والذي يؤكد أن الشريعة أمرٌ إلهي لا جدال فيه، وأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مأمور بإِبَاعَها لقوله تعالى في العديد من الآيات القرآنية حيث نذكر منها: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنْ أَمْرِنَا فَاتَّبَعُهَا ﴾^(٣) وقوله: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَاءَ ﴾^(٤) وقوله: ﴿ وَاتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَسِيرًا ﴾^(٥). فالشرع للأحكام هو الله تعالى، وأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو المبلغ والمبين والمنفذ

١ . د. محمد عمارة، التأويل العبّي للوحي والنبوة والدين، ص ٤٣ .

٢ . د. عبد الكريم سروش بسط التجربة النبوية، ص ٢٠١ .

٣ . سورة الجاثية: الآية ١٨ .

٤ . سورة المائدة الآية ٤٨ .

٥ . سورة يومن الصัยنة الآية ١٠٩ .

لشرع الله تعالى، ومتبعا له كما أمره. وفي هذا السياق فنحن نؤيد كلام الدكتور الذي رد فيه أيضا على الدكتور عبد الكريم سروش، الذي وجهه على شكل سؤال والذي ننتظر إجابته إلى يومنا هذا، حينما قال الدكتور عمارة: إذا كان أمر الله والحق الذي جاء به الدين قد انقطع بوفاة الرسول الأمين، فماذا بقي من الدين الإسلامي وما اسم هذا الدين الذي تدين به ويتدين به المسلمون منذ وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، حتى الآن؟ وبأي حق، وبأي حجة ندين ونتدين يا دكتور سروش؟، أم أننا نعيش زمن "الفترة" منذ أربعة عشر قرنا؟.

المطلب الثاني: اللغة العربية لغة شعبية لا فصاحة قرآنية

المتبوع للغة القرآن الكريم يجد فيه حلاوة، كما قال الوليد بن المغيرة^(١) لما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم: والله لقد سمعت من محمد آنفًا كلامًا، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن والله إن له لحلابة، وإن عليه الطلاوة وإن أعلىه لمتّمر به، وإن أسفله لمعدّق، وأنه يعلو ولا يعلى عليه. فإن دل كلام الوليد هذا فإنه يدل على بلاغة القرآن وفصاحتته، ونحن أمة الإسلام لنا كل الفخر، في أن لغتنا اللغة العربية هي لغة القرآن "نزل بلسان عربي مبين" ولكن من المؤسف أن الدكتور عبد الكريم سروش كان له موقف معادي، وغير موضوعي من اللغة العربية لغة القرآن، مع أن الباحث والمتبوع للغة القرآن يجد لها تعجز أصحاب البيان والمجاز والإشارة والكلنائية، وتتجدر الإشارة إلى أن اللغة العربية، استواعبت تراث الحضارات القديمة (إغريقية ورومانية وفارسية وهندية ومصرية بكل فنونها وعلومها)، كما أنها أصبحت لغة العلم وديوان الفلاسفة والمفكرين لأكثر من عشر قرون. وتوصلت المواقف المعادية للغة العربية، حيث أنه يرى فيها لغة شعبية كما يقول الدكتور محمد

١. الوليد بن المغيرة (٩٥ ق هـ - ١ هـ = ٥٣٠ - ٦٢٢ م) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقها. يقال له "العدل" لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو "البيت" جمعها، والوليد يكسوه وحده. وكان من حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاما على شرها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاده وقاوم دعوته. قال ابن الأثير: وهو الذي جمع قريشا وقال: "إن الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد، فتختلف أقوالكم فيه، فيقول هذا: كاهن، ويقول هذا: شاعر، ويقول هذا: مجنون، وليس يشبه واحدا مما يقولون، ولكن أصلح ما قيل فيه" ساحر "لأنه يفرق بين المرأة وأخيه والزوج وزوجته!" وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. وهو والد سيف الله خالد ابن الوليد. انظر: الأعلام للزركي ج ٨/١٢٢ ص ١٢٢.

عمارة، معلقاً على ذلك في قوله: بل لقد امتد هذا الموقف غير الوדי للدكتور سروش من اللغة العربية إلى الحد الذي ادعى فيه دعوه غير المسبوقة حتى في إطار النزاعات الشعوبية، أن عربية القرآن الكريم هي أمر عرضي، وليس من ذاتيات القرآن وأن بالإمكان أن يرد النص المقدس، بلغة أخرى غير العربية^(١) ولكن الحقيقة لو تقصينا القرآن، ولغته جيداً لوجدنا أن الدكتور سروش خطأ جسيماً من خلال كلامه هذا، لأن اللغة العربية والفصاحة التي جاء بها القرآن هي المخرج الوحيد الذي نستطيع أن نفك به لغز ما جاء به من إعجاز فالله تعالى قال: ﴿وَكَذَلِكَ أَنَّزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾^(٢). فالآية دالة على العلاقة الخاصة بينعروبة النص، وبين ما فيه من إعجاز ولوجدنا أن الأمة جموعاً على إختلاف ألسنة شعوبها، تجعل من فقه العربية شرطاً لمعرفة فقه إعجاز القرآن الكريم ومعرفته الجيدة. كما يقدح الدكتور سروش، فيعروبة القرآن حتى أنه أنكر أنَّ القرآن نزل باللسان العربي، حيث أنَّ العروبة طرئت عليه، حيث يقول "إنَّ القرآن تمظهر وتحلى باللغة العربية، التي كانت لغة المحيط الثقافي للرسول^(٣)". فالمتبع لكلامه يجده متناقض، لأنَّ الدكتور سروش قال في بدايات نقه، أنَّ القرآن هو نتاج نبوبي، ثم أصبح يذكر أنَّ اللغة العربية ليست لغة القرآن، فمن هنا نستطيع أن نقول للدكتور إذا لم تكن لغة القرآن العربية، فكيف كانت لغة النبي الذي جاء به ولكنها تناقضات للدكتور تستحق النقد والمتمعن جيداً في أسلوب عبد الكريم سروش يجد أنه يميل كثيراً إلى الهيرميونطيقيا، التي اخترع أصحابها فكرة "موت المؤلف" حتى تكون لديهم قراءة النصوص ليست بحثاً خالصاً من أجل معرفة مقاصد المؤلف والمعاني التي يريدها لنجمه، الذي أبدع فيه. وإنما من أجل أن يكون القارئ له الحرية المطلقة فيما يريد بالنص الذي قرأه. ومن هنا رأينا أنَّ هؤلاء الحداثيين الذين اتخذوا من ذلك ذريعة، أنَّهم طبقو "النظرية الهيرميونطيقيا، موت المؤلف" فاستباحوا النصوص الدينية وأولوا حقائقها، على ما يحلو لهم، وهذا ما رأيناه في أساليب الدكتور سروش، أو حتى في أساليب أساتذته الذين نهل من فكر

١ . د. محمد عمارة، التأويل العبتي للوحي والنبوة والدين، ص ٧٦ .

٢ . سورة طه، الآية ١١٣ .

٣ . د. عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، ص ١٩٥ .

حدثتهم، كنصر أبو زيد، وحسن حنفي، ومحمد أركون ولو قرأنا ما جاء في الجدلية الماركسية التي تنص على أن كل مادة مستكفيّة بنفسها، مستغنّة عن خالق، يوجد لها، وأن الفكر كلّه بما فيه الدين يعتبر انعكاساً للواقع الموضوعي^(١).

والقارئ لنصر أبو زيد كما يقول الدكتور محمد عمارة، يجد أنه إنطلاق من الفلسفة المادية الماركسية والمادية الجدلية والمادية التاريخية، ليفسّر الإسلام والوحى والنبؤة فنصر أبو زيد أيضاً هو الذي يتحدث على أن النبوة ما هي إلا تجربة خاصة، وأنها قوة مخيّلة تكون في الأنبياء أكثر من سائر البشر الآخرين، فالنبي يأتي في قمة الترتيب ثم يليه الصوفي، ثم يليه الشاعر. كما أَسند نصيحة القرآن الكريم للبشر، حيث كان تشكّله من الواقع الذي عاشه ذلك النبي، فهو يراه منتجاً ثقافياً، وجاء في قوله: "إن القرآن كخطاب بشري هو خطاب تاريخي لا يتضمن معنى، مفارقًا جوهرياً ثابتاً"^(٢). كما سار أيضاً على نهجه أيضاً الدكتور حسن حنفي، حيث كان يرى هو الآخر أن النبوات، ماهي إلا حلقة اتصال بين الفكر والواقع وأنها ليست غيبية، بل حسية، ويرى الدكتور حسن حنفي أن الإنسان عالم وحي قادر وسميع وبصير ومريد ومتكلّم، وهي صفات خالصة للإنسان ويرى قدرة الإنسان في خلق جزء من ذاته، فهو يستطيع أن يصبح إلهاً ن ويخلق المُؤلَّه على صورته ومن ثم يقوم بعبادته فهو لاء الحداثيون الذين تأثروا بالهيرومنوطيقيا، أصبحوا يرون أن الذات الإلهية هي الذات الإنسانية في أكمل صورها، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

المبحث الثاني: افتراضات حول الحاكمة والإسلام

تمهيد: لما كان الإنسان هو ابن عصره ومجتمعه وبيئته وحضارته التي نشأ فيها فإن عبقريته ونبوغه تقاس بما يكتشفه ويضيفه إلى تراث أمه وحضارتها وربما للحضارة الإنسانية كلها بحسن استخدامه للأدوات الفكرية التي ورثها عن من سبقوه في حل ما يواجه الفكر الإنساني

١ . الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، طبعة بيروت، سنة ١٩٧٤ م، ص ٢١٨.

٢ . د. نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن) طبعة الأول، حزيران، دار المركز الثقافي العربي بيروت لبنان، ص ١٠.

والإسهام في تجديده. وقد كان الدكتور محمد عمارة ثمرة لما ساد في مجتمعه الريفي أولاً والقاهري ثانياً، وما كان منتشرًا فيه من نشاط فكري وديني، وما عاشهه من فكر ثوري اشتراكي في بيته في ذلك الوقت، وقد ساهم ذلك في نصح فهمه واستيعابه إلى درجة كبيرة، مما مكنه من الجمع بين الموروث الإسلامي وبين الوراد من الغرب الأوروبي، مما أهله ليتبؤ مكانة علمية وفكرية تشهد بها مؤلفاته القيمة وأحاديثه المتنوعة، ويشهد بها معارضوه في الفكر قبل مريديه، مما ذكره المستشار طارق البشري من أن الدكتور عمارة ليس مجرد كاتب أو مفكر، فهو وإن كان فرداً فقد قام بعمل لا يقوم به إلا المؤسسات والمعارك البحثية ذات العديد من الباحثين والعلماء^(١). وبعد محمد عمارة أحد الأعلام الذين اجتهدوا وأفروا حياتهم في سبيل علمهم، وأخلصوا في مشروعاتهم العلمية والفنية، فأصبح من أبرز المفكرين المعاصرین في العصر الحديث. وقد ترك مكتبة علمية إسلامية غزيرة مكتوبة ومرئية، لا سيما فيما يتعلق بتناوله للقرآن الكريم وموضوعاته ومقاصده العامة والخاصة. ومن خلال ذلك استطاع أن يبين منزلة النصوص القرآنية وأهميتها ودورها في الواقع الذي يحياه الإنسان ببيانه صعب على كثرين ممن توجهوا إلى دراسة القرآن الكريم اكتشافه وكانت تلك القراءة القرآنية متأنية ومستقصية لموضوعاته ومقاصده إلى جانب رعاية الواقع والمستجدات التي تمر بها الإنسانية خير عون محمد عمارة للخروج بمشروع فكري إسلامي ينطلق من الوحي الإلهي في القرآن الكريم.

المطلب الأول: مفهوم الحاكمة ونشأتها

اختلفت الآراء حول تحديد المصطلح وتأصيله وأوردت معاجم اللغة العربية معاني متقاربة لمكونات جذر الحاكمة "حكم"، فحكم الشيء وأحكمه أي منعه من الفساد. جاء في لسان العرب والعرب تقول: حكمت واحكمت، وحكمت، بمعنى منع ورددت، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكم؛ لأنه يمنع الظلم قال الأصمسي: أصل الحكومة رد الرجل عن الظلم، ومنه سميت حكمة اللجام؛ لأنها ترد الداية^(٢). وقال ابن فارس^(١): "الحاء والكاف

١ . رضا جاد، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة (القاهرة: مفكرون الدولية، ٢٠١٨) ص ١٦-٧.

٢ . أبو الفضل جمال الدين محمد بن على ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ١٤١٤) ج ١٢/١٤١ ص ١.

واليم أصل واحد وهو المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم^(٢). وحكمت الرجل تحكماً إذا منعه مما أراد، والحكم أيضاً الحكمة من العلم والحكيم المتقن للأمور^(٣) لذا فقهمة أي حكومة مهما كان شكلها وميكلها الإداري هي منع الظلم وإقامة العدل، والحكم ما كانت غايته أو مقصدته الأساس هو المنع من الفساد بغية الإصلاح، ولذلك فإنه لا بد أن يكون متقناً، وأن يؤمن على الحكمة بمعنى إصابة الحق، وأدوات الحكم هي النبوة والكتب السماوية والجمع بين العلم والعمل والقضاء بالعدل والحاكمية هي إفراد الله سبحانه وتعالى بالألوهية وتقدير ربوبيته وحده سبحانه وتعالى وهي من أخص خصائص الألوهية، وتعني أن لا شريعة إلا من الله ولا سلطان لأحد على أحد، لأن السلطان كله الله سبحانه وتعالى^(٤). ورد عند من تناول مصطلح الحاكمية استخداماً صحيحاً ووضعه في الموضع الذي أورده نصوص الشرع وبيّنت ارتباطه بالعقيدة والإيمان، أنه من عصى الله مستكراً كفر بالاتفاق ومن عصاه مشتهياً لم يكفر عند أهل السنة والجماعة ولا يكفر إلا الخوارج؛ لأن العاصي المستكبر متمرد على حاكمية الله ومتعمي حد العبودية التي خلق لها^(٥) وهكذا تكون الحاكمية تصوراً عقدياً عن الله والكون والإنسان، تصوراً ينبع عن شريعة وأخلاق تؤسس عليها نظم.

وأوضح رسول الله، أنه لا امتياز للحاكم من وراء حدود كتاب الله تعالى وسنة نبيه، ولا يمكن لحاكميه أن ترفعه قيد شعرة فوق مستوى المنهج والحكم الإسلامي، إذ هو في الحقيقة ليس بحاكم ولا يتمتع بأي حاكمية حقيقية، ولكنه أمن من قبل المسلمين على تنفيذ حكم

١. ابن فارس (٣٢٩ - ٩٤١ هـ = ١٠٠٤ م) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب.قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همدان، ثم انتقل إلى الريّ فتوفي فيها، وإليها نسبته. من تصانيفه مقاييس اللغة في ستة أجزاء. انظر: الأعلام للزرکلي ج/١ ص/١٩٣.

٢. أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة (القاهرة: دار الفكرة ١٩٧٩)، ج/٢ ص/٩١.

٣. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٧)، ١٩٠١ - ١٩٠٣.

٤. مرتضى شتول ماهي، الفلسفة السياسية للحاكمية في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين عدد ٦٠ (٢٠٢٠)، ص/١٦٨.

٥. البوطى، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة النبوية مع موجز التاريخ الخلافة الراشدة (دمشق: دار الفكر، ١٤٢٦)، ص/٤٨٤.

الله تعالى، ومن هذا لم تعرف الشريعة الإسلامية على شيء مما يسمى بالحصانة أو الامتيازات لطبة ما بين المسلمين في شؤون الحكم أو القانون والقضاء^(١)،

فالإنسان المخلوق لا خلود له مهما طال عمره أو تبوا من المناصب في الدين، وكل ما بين يديه نسبي أمام الوهية الله وحده وحاكميته، فهو سبحانه الذي تفرد بالبقاء، فالموت حقيقة تعلن على مدى الزمان والمكان، وفي أذن كل سامع وعقل كل مفكر، أن الله وحده هو الذي لا مرد لقضاءه، ولا حدود لسلطانه، ولا مخرج عن حكمه، ولا غالب على أمره، أي حقيقة تنطق بهذه الدلالة نطقا لا لبس فيه ولا غموض، أعظم من حقيقة الموت الذي قهر الله به سكان الدنيا كلها منذ فجر الوجود إلى أن تغيب خمسه^(٢). ذلك الإنسان الذي جعله الله خليفة له في الأرض وكرمه على سائر المخلوقات، وبوأه مكانته بين عبودية الله وسيادته على سائر المخلوقات؛ إذ أعطاء الله الكرامة والسيادة والحكم بما أوحى إليه الله وبتوظيف ما منحه من قدرات^(٣).

ففي الإسلام نبوة وخلافة على منهج النبوة، أما الحاكمة فقد آلت إلى كتاب الله جل شأنه، الذي وصف بصفات لم توصف بها الكتب السابقة، وأحيط بضمانته إلهية لحفظ نصه؛ ليبقى محفوظا غير الأجيال إلى يوم القيمة، إذ جاء القرآن الكريم مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه، والشريعة التي يحملها شريعة تخفيف ورحمة ووضع الإصر والأغلال، وغير ذلك من خصائص جعلت القرآن الكريم هو الحكم، وعلى الإنسان الاجتهد في قراء له وفهمه وتطبيقه، فقد بدأت حاكمة الرسالة الخاتمة بنبوة تربي وتعلم وتركي النفوس بتلاوة آيات القرآن وتوظيفها واقعا عمليا، كما ورد في الحديث المشهور أن النبي صلى الله عليه وسلم كان الخلل القرآن، وأن الصحابة كانوا لا يتجاوزون ما يحفظونه حتى يطبقوه في

١ . البوطي، فقه السيرة النبوية، ص ٤٩٨ .

٢ . أبو يوسف، محدث بن الحسن آل فراج، العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي (الرياض مكتبة دار الحميضي) ١٩٩٥ ، ص ١٣٧ .

٣ . عمارة محمد، أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية (القاهرة: دارالسلام، دون تاريخ ، ص ١١٧ ، محمد عمارة في النظام السياسي الإسلامي (القاهرة: مكتبة الإمام البخاري، ٢٠٠٩) ، ص ٥٥-٥٧ .

حياتهم، وكانت الممارسة شاملة لمتطلبات العمران والدور الحضاري، ولكن من منطلقات النبوة والخلافة، وألت الحاكمية فيها إلى كتاب الله تبارك وتعالى، المصدر الوحيد المنشئ للأحكام، الذي هو تبيان لكل شيء، فليست تنزل في أحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدي^(١).

وقد ظهر مصطلح الحاكمية أول مرة في تاريخنا وتراثنا على يد الخواج الذبي تبلورت فرقتهم على يد كوكبة من القراء الذين حاربوا في صف علي بن أبي طالب قبل قبوله التحكيم، فلما قبله انشقوا على قيادته ورفضوا طاعته، واحتجوا بأن النزاع مع معاوية وأصحابه، قد حكم فيه القرآن الكريم، وهم الفئة الباغية، وفيها حكم القرآن قال تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَاتٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا إِنَّ بَغْتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَتَلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَقَهَّرَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٦ ﴾^(٢)، وما حكم القرآن فيه لا يجوز تحكيم الرجال فيه، فليس للإنسان حكم ولا سلطان فيما حكم فيه الله، ولما كان الله المنفرد بالحكم والحاكمية، فلقد صاح الخواج في معسرك علي قائلين: (لا حكم إلا لله) وأخذوا يرددون هذه الصيحة، ويدافعون عن فهمهم هذا، حتى لقد سموا بالمحكمة^(٣). وقد واجه علي بن أبي طالب هذا الفهم وهذا المفهوم لهذا الشعار، وقال: إنها كلمة حق يراد بها باطل، نعم إنه لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا الله وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر. وهكذا فإن حاكمية الله سبحانه وتعالى لا تعني تجريد الإنسان من السلطة والحكم في ميدان خلافته ونيابته عن الله، سياسة الدولة وتنظيم المجتمع وتنمية العمران، بل إن حكم الإنسان في هذه الميادين إذا التزم النهج الإلهي، إنما بعد التنفيذ لحكم الله أن يكون في الأرض خليفة عن الله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

١ . طه جابر العلواني، "حاكمية القرآن"، ص ٢١-٢٢ .

٢ . سورة الحجرات: ٩ .

٣ . عمارة، أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية، ص ١٣١ .

الْأَرْضَ خَلِيفَةٌ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَيْحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْمَرُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾^(١). فحاكمية الله حق لا نزاع فيها، وهي لا تنفي سلطان الإنسان السياسي وإمارته وحكمه أيا كان ذلك الحكم براً أو فجوراً.

ومرت على المسلمين قرون طويلة احتفى فيها من واقعهم ومناقشاتهم السياسية شعار الحاكمة، حتى بعثه الأستاذ المودودي^(٢) من مرقده، وسلط عليه كل الأضواء، وجعله محور كل الفكر الذي خرج به على الناس دون أن يكون هو خارجي المذهب ولا متعاطفاً مع الخوارج القدماء، لكن الشعار أثار وما زال يثير في واقعنا الإسلامي الراهن، ما أثار في الواقع الإسلامي القديم من غموض ولبس وشبهات. إنما المودودي، عندما تكلم عن الحاكمة يقول للإنجليز في بلاده ليس لكم صلة بالحكم. الحكم لله، أي للإسلام، فجاء بعض الناس ونقل هذا إلينا دون أن يعرف الملابسات التي أحاطت بالكلمة هناك^(٣).

المطلب الثالث: مصطلح الحاكمة لدى الدكتور محمد عمارة رحمة الله

تفاعل عمارة كغيره من المفكرين مع الأحداث السياسية والاجتماعية المختلفة التي مرت بها الأمة الإسلامية، محاولاً تقديم إجابات إسلامية لمختلف النوازل التي تحل بالبلاد، فكان له نصيب من دراسة هذا المصطلح على ما أنزله الله عز وجل في كتابه الكريم، وملابسات ظهور المصطلح، والتوجيهات التي توجهها في الماضي والحاضر، وقد أجاب محمد عمارة حينما سئل: كيف يفهم مفهوم الحاكمة^(٤)، فقال: أنا أفهم شعار الحاكمة كما فهمه الإمام على بن أبي طالب-كرم الله وجهه، لا كما فهمه الخوارج الذين رفعوا هذا الشعار زاعمين أن الحاكمة الإلهية هي البديل الذي ينفي وينقض حاكمة الإنسان؟ لقد قال الإمام

١ . سورة البقرة: ٣٠ .

٢ . المودودي زعيم الجماعة الإسلامية في باكستان والهند، مفكر وداعية إسلامي كبير، صاحب فهم ومدرسة إسلامية كبيرة، تطالب بتحكيم كتاب الله وتوحيد المسلمين وإحياء حضارتهم توفي سنة ١٩٧٨ م.

٣ . محمد عمارة، "نقد الغزالي لسيد قطب، عربي ٢١، (١٩٥٠-٢٠٢٢-٣٤٠٨) و عمارة، أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية، ص ١٣٢ .

٤ . محمد عمارة، "سؤال وجواب معنى مصطلح الحاكمة" (٢٠٢٢: ٣٦، ١٥٠٦-٢٢٠٢٩: ٢٢) .

علي يومها: "نعم، إن الحكم الله، ولكن لابد للناس من أمير، بما كان براً أو فاجراً، يسوس أمور الناس". وهذا الفهم الدقيق والعميق للحاكمية يلفت النظر إلى ضرورة التمييز بين المطلق والنقيبي في الإسلام بالخوارج قد وقفوا عند المفهوم المطلق للحاكمية وهو الله وحده لا شريك له، وقد بدأوا أولى حلقات الغلو المنظم في الفكر الإسلامي الذي استنزف قوى المدارس الفكرية وكذلك قوى الدولة الإسلامية لمدة طويلة^(١).

وعلى الطرف الآخر من الغلو الفكري يقف العلمانيون والمتغربون عند المفهوم النقيبي للحاكمية حاكمة الإنسان، مستبعدين مفهومها المطلق الذي هو الحكم بما أنزل الله. أما المفهوم الوسطى الجامع الحاكمة الله وحاكمية البشر، فهو الذي يجمع بين مفهومه المطلق ومفهومه النقيبي، فالحكم المطلق الله، في الخلق والقضاء والتشريع، وكذلك للإنسان حاكمية نسبة في إنزال حكم الله على الواقع وفي الاجتهاد للمستجدات، وفي إبداع الفقه - علم الفروع في إطار فسفات وكليات ومقاصد الشريعة الإسلامية، وفي إبداع علم السياسة الشرعية فيما لا نص فيه تحقيقاً للمصالح الشرعية المعتبرة، وجمالاً للتدارير السياسية أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد. والحاكمية في الثوابت هي الله سبحانه وتعالى، والحاكمية في الفروع والتطبيقات هي للإنسان، وهذا هو الذي يجعل الشريعة الإلهية واحدة. والعلاقة بين الثوابت والمتغيرات في القانون الإسلامي، تفتح الباب واسعاً وتعبد الطريق عريضاً لتوسيع دائرة الحاكمة الإنسانية التي منحها الله الخليفة الإنسان عندما حمله أمانة الخلافة ليكون حاكماً الأرض نيابة عن الله^(٢).

بينما يرد التعدد في السياسات والاجتهادات الفقهية وشبة بهذا الفهم للحاكمية - الذي تميز بين ما هو مطلق وما هو نقيبي - الفهم الذي يؤمن بأن العزة بمعناها المطلق في الله جميماً، مع الإيمان بأن للإنسان عزة نسبية، إذ العزة الله ولرسوله وللمؤمنين، وبذات الفهم تميز دون أن تفصيل بين القوة بمعناها المطلق، فهي الإيمان بأن للإنسان قوة نسبية تجعل للمؤمن

١ . محمد عمارة، أزال الشبهات عن معاني المصطلحات (القاهرة: دار السلام ٢٠٠٩)، ص ٥٠-٥١.

٢ . عمارة، أبو الأعلى المودودي والصحة الإسلامية، ص ٤٤.

القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وبهذا الفهم الذي يميز، دون أن تفصل بين الحاكمة بمعناها المطلق التي هي خاصة بالذات الإلهية والحاكمية بمعناها النسبي التي هي خصيصة إنسانية بهذا الفهم والتمييز تخرج من الفهم المغلوط الذي وقع فيه الخوارج والعلمانيون جميعاً، وفي ذلك يقول الإمام ابن حزم قوله بلية: "إن من حكم الله أن جعل الحكم لغير الله" ^(١).

المطلب الرابع: الفهم الخاطئ لمصطلح الحاكمة وتفنيده الدكتور عمارة له وكان لفهم بعض الفرق والجماعات وتفسيرهم آية السيف ومصطلحات الحاكمة والجاهلية والتكفير أثر في التوجيه للتغيير الآني المسلح الذي زاد الخلط والاضطراب في الاستيعاب وتوسيع الفجوة بين الفرقاء وزيادة الاتهامات بينهم. وقد تجرد عمارة للرد على الخلط الذي وقع فيه من استخدم مصطلح الحاكمة له في عرض المسألة الحاكمة وتبسيطها وتفنيدها من الناحية اللغوية ثم من الناحية التوظيفية لأصل المصطلح في القرآن الكريم والأديبات في زمن نزول القرآن وعصر الصحابة والتابعين بأن الحديث في الفكر الإسلامي عن حق يعني حق المجتمع، وأن القول بأن المال مال الله معناه أن المال مال الأمة والمجتمع، ومن ثم فإن الحديث عن حكم الله وسلطانه إنما يعني في السياسة، حكم الأمة وسلطانها من منطلق خلافة الإنسان عن الله في عمارة الأرض، وما يلزم لذلك من إقامة الدولة التي يحكم فيها الإنسان خليفة عن الله فلا تناقض هنا بين أن يكون الحكم الله، وبين أن تكون السلطة السياسية والحكم في المجتمع الإسلامي لجماهير المسلمين ^(٢).

وقع القائمون على تأسيس فكرة الحاكمة في عدة مراحل حين استشهدوا في تأسيس فكرهم بما لا يشهد له، ثم بنوا قاعدة نظرتهم الحاكمة لله، بتفسيرهم هذا على غير أساس فهم قد اشتقو حاكمة الله سبحانه من مصطلح الحكم، ظائن أن القرآن وفكر الإسلام السياسي، يستخدمان مصطلح الحكم للدلالة على النظام السياسي والسلطة السياسية العليا في

١ . محمد عمارة، "سؤال وجواب" ، الإسلاميون (١٥-٦٠٢٠٢٠، ٠٠١٥:٠٨).

٢ . محمد عمارة، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٨) ص ٣٤-٣٥.

المجتمع، على حين أن أغلب الاستخدامات القرآنية لهذا المصطلح واردة بمعنى القضاء والفصل في المنازعات، وبمعنى الحكمة، أي الفقه والعلم والنظر العقلي، ولا علاقة لها بالخلافة أو الإمامة أو ما نسميه نظام الحكم في أدبنا السياسي الحديث^(١).

والمراد بالحكم في الآيات هو القضاء لأن سبب نزول الآيات يقطع بأنها جاءت تتحدث عن واقعة قضائية، احتمم فيها نفر من اليهود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم طالبين قضاءه فيها، فحكم فيها ما أنزل الله في كتابهم التوراة^(٢). ويمكن إجمال الأمر في أن الحكم _مصطاحاً قرآنياً_ لا يعني الحكم بالمعنى الذي نستخدمه اليوم في الدراسات السياسية، ومن ثم فإن اشتقاق حاكمية الله، بمعنى الحاكمية في النظم السياسية من هذا المصطلح إنما هو تأسيس على غير أساس^(٣).

ويزيد الأمر تأكيداً تلك الحقيقة التي يظهرها البحث في المصطلح الذي استخدمه القرآن الكريم، والأدب السياسي في صدر الإسلام، للتعبير عن السياسة ونظام الحكم والسلطة العليا في المجتمع الإسلامي؛ لأن هذا البحث سيكشف لنا أن مصطلح الأمر وليس مصطلح الحكم، هو الذي استخدمه القرآن للدلالة على مبحث السياسة ونظام الحكم إن الأمر مصطلح ذو صلة بالتشاور والشورى، التي هي: فلسفة الحكم في الإسلام ومنه سمي الحاكم بالأمير، والقادة بأولي الأمر، ومن هنا جاء قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْتَهُمْ﴾^(٥). وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَشَاءُوهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٦) لمصطلح الأمر لا الحكم هو المصطلح الذي استخدمه القرآن الكريم واستخدمت السنة، واستعمل في الأدب السياسي في مصر

١. عمارة، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، ص ٣٥.

٢. المصدر السابق، ص ٤٤.

٣. المصدر السابق، ص ٤٥.

٤. سورة النساء: ٥٩.

٥. سورة الشورى: ٣٨.

٦. سورة آل عمران: ١٥٩.

صدر الإسلام، تعبيراً عما تسميه اليوم نظام الحكم في المجتمع، ومن ثم فلا أساس لاشتقاق الحاكمة الإلهية من مصطلح الحكم والقول بأنفاسات العلي السلطة السياسية العليا والوحيدة في مجتمع الإسلام.

وإذا حاول أصحاب هذه النظيرية _نظيرية الحاكمة لله_ تأسيس نظرتهم على أن القرآن الكريم قد رسم للمسلمين نظام حكمهم، فالحكم والسياسة في الإسلام الهبة من عند الله، فهي حكمه، وهو الحاكم فيها، والحاكمية فيها له سبحانه، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَلَّبِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحَشِّرُونَ ﴾^(١). وفهموا منهم لقول الله سبحانه: {ما فرطنا في الكتاب من شيء}، فإن معنى الكتاب ليس هو القرآن، بل هو اللوح المحفوظ الذي أحصى الله فيه ما يجري في العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه أمر حيوان ولا جماد، فهو السجل الذي أثبت فيه ما يقع من الحوادث. ومن تكلم من المفسرين عن أن معنى الكتاب هنا هو القرآن، حدد أن ما اشتمل عليه ولم يفرط في شيء منه هو الأمور الدينية لا أمور السياسة والدنيا وتنظيم المجتمعات^(٢).

كما أن الإسلام بشموليته وضع إلى بما فيه من دين وشريعة بأركانه الخمسة وكتابه المعجز وبسته التشريعية المفصلة ما أجمله الوحي، وهو بشموليته تلك لم يضع نمطاً معيناً للحكم فهو الدين الخاتم مما يقتضي مسيرة التجدد والتطور الفكري للإنسانية، قدماً إلى الشورى والعدل ودعا المسلمين أن يهieuوا لمجتمعاتهم ما يقربهم من تحقيق هذه المثل العليا، فدين الرسل جميعاً واحد في كل مراحل التطور البشري، بينما تعدد الشرائع تبعاً لتطور المجتمعات واختلاف البيئات وتعدد الرسالات، والقرآن الكريم مصدق لما بين يديه. وقد أجمل نظم الحكم والسياسة للمسلمين وعهد به إلى عقل الإنسان وتطوره^(٣). ربطاً بين النص

١ . سورة الأنعام: ٣٨ .

٢ . عمارة، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، ص ٤٨ - ٥٠ .

٣ . المصدر السابق، ص ٥٣ - ٥٤ .

المروي والعقل هبة الله للإنسان مراعاة للمصالح المتتجدة والمتطورة بتجدد الحياة وتتطورها في دعوة دائمة للنظر في سنن الله وقوانينه الكونية التي تحكم تطور الحياة والمجتمعات للاستفادة في أمور دنيانا بكل ثمار العقل الإنساني، سواء في الاقتصاد أو الاجتماع أو السياسة أو الإدارة، بصرف النظر عن العصر الذي ظهرت فيه هذه النظريات والعلوم^(١).

المطلب الخامس: رد الداعوى أن الدكتور محمد عمارة يدعى للعلمانية

وبعد كل ذلك التفصيل الدقيق الذي قدمه عمارة ودل عليه من أقوال المفسرين على مر التاريخ، فإنه قد أتتهم بأنه ينكر أن يكون للإسلام الحق في تنظيم أمور المسلمين الدنيوية، ويحاول أن يقصر الإسلام على الاعتقاد بوجود الله، فهو يقرر أن اليهود والنصارى وال المسلمين كلهم مؤمنون، ويركز على فصل الدين عن الدولة، وأن فكرته لا تخرج عن أنه لا وجود لأحكام شرعية في أمور الدنيا، وأن آيات الحكم نزلت في اليهود والنصارى فقط، وأن أمور الخلافة والسلطة ترجع للعقل والرأي لا للشرع^(٢)، ولا يقال ذلك بعد مطالعة دقيقة لما قدمه عمارة في هذا الصدد.

وقد ادعى عبد الحميد عمر معارضه الدكتور محمد عمارة جوانب متعددة من فكرة الحاكمة منها دعاتها باستغلالها للوصول إلى الحكم، حيث عبد المناداة بها كالمندادة بالحكومة الدينية، أو ما يسمى بالمصطلح الغربي الشيورقراطية، تلك الحكومة التي ظهرت في أوروبا في القرون الوسطى، واستغلت الدين لحكم الناس واستعبادهم تحت شعار التفويض الألفي الحاكمية الكهنة^(٣).

ونقل عن عمارة قوله: "وقد يتساءل بعض الباحثين وهم بالفعل يتتساءلون: ألا يستلزم اشتراط إسلامية الدولة اشتراط أن يحتكرها حزب بعينه أو جماعة دون غيرها من الناس وألا يقودنا

١ . المصدر السابق، ص ٦٠ .

٢ . محمد بن محمود، مصطفى تموس، محمد عمارة والرواد (القاهرة: دار فرنس لنشر والتوزيع، دون تاريخ)، ص ٢٢٢ .

٣ . عبد الحميد عمر عبد الحميد عبد الواحد، الحاكمة في ظلال القرآن (فلسطين: جامعة النجاح الوطنية - كلية الدراسات العلياء ٢٠٠٤)، ص ١٤٣ .

هذا إلى الكهانة والكهنة والأكليروس الذي هو نظام كهنوتي خاص بالكنائس المسيحية ولم يظهر هذا النظام إلا في القرن الثالث الميلادي، في الواقع والتطبيق رغم غربة ذلك وغرابته في تصور الإسلام ومنهجه^(١) لكن عبد الحميد عمر لم يكمل النقل عن عمارة وأقفل ما قدمه عمارة من الحقائق التي تنفي التلازم بين إسلامية الدولة وبين احتكار الحكم فيها الحزب بعينه أو فئة بذاتها، فالدولة ليست من أصول الدين ولا عقائده وأركانه، لكنها من الفروع التي يرد فيها الاجتهاد، بل أكثر مسائلها ثمرة الاجتهاد، فالدولة بما في ذلك دولة النبي صلى الله عليه وسلم، التي أقامها بالمدينة، هي اجتهاد بشري، لا يحتكر التفكير لها ولا التنفيذ لدستورها وقانونها فيه من الناس دون غيرها، فهي حق لكل قادر على الوفاء بحقوقها، دون كهانة أو احتكار.

- والحاكم الأعلى في الدولة الإسلامية مجتهد، وتلك أرقى مراتبه، أي أنه غير معصوم، وكذلك كانت سياسة النبي صلى الله عليه وسلم للدولة اجتهاداً غير معصوم وشوري تحكمها مقاصد الشريعة وحدودها، وهذا الحاكم تختاره الأمة بالشورى الإسلامية، وتباعيده وتفوض إليه سلطات لتنفيذ القانون الإسلامي لسياسة الدنيا وحراسة الدين بواسطة أجهزة الدولة ومؤسساتها وسائل أولي الرأي والأمر فيها، ولا عصمة لأي أو لأحد من هذه الأجهزة والقيادات، فلا خطر من الكهانة أو احتكار السلطة والاستئثار بالسلطان، بل إن العصمة في الإسلام بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، هي للأمة التي لا تجتمع على ضلال.

- الفرائض الاجتماعية الإسلامية، ففرض الكفاية التي هي جماع مهام الدولة الإسلامية، التكليف فيها وبها موجه إلى الأمة كافة، لا إلى فئة أو طبقة أو شريحة من الناس، فكل مسلم مكلف تكليفاً اجتماعياً بالاشتراك في أداء هذه الفروض

١ . عماد الدين شاهين، معالم المنهج الإسلامي للمؤلف محمد عمارة، (مجلة الفكر الإسلامي المعاصر الإسلامية المعرفة سابقاً) (١٩٩٥)، ص ١٧٤-١٧١.

ويسعى بذمتهم أدنهم، وهكذا فالإسلام أشد أعداء الكهانة في السلطة ولاحتكار لها.

- الدولة الإسلامية من الفروع وسياساتها إجتهاد بشري وثيق الصلة بأصول الدين وأحكام الله، لكنه إبداع بشري، لا يحق لمبدعيه الرعم بأن سياستهم هذه الدولة هي حكم الله، وقد حرص المنهج الإسلامي من أول لحظة في الدولة، على التمييز بين حكم البشر^(١).

- الأمة الإسلامية هي مصدر الدولة، تختار رأسها وأجهزتها الحاكمة بواسطة أهل الاختيار الذين يتحددون ويتعنون وفق المصلحة وأعراف الزمان والمكان، والأمة مصدر تقنن النصوص والتشريع لما لا نص له بواسطة أهل الحل والعقد، كما أن الأمة رقية وحسيبة على الدولة وسياساتها ومؤسساتها، فالآمة مصدر السلطات المحكمة بمقاصد الشريعة وحدودها، فالحكم في الدولة الإسلامية هو الله بواسطة الأمة المستخلفة عن الله، وفي تطبيق ذلك المنهج ضمان لعصمة الدولة الإسلامية من الكهانة والكهنوت. وعلى امتداد التاريخ الإسلامي الذي سادت فيه حاكمية الشريعة، لم يشهد هذا التاريخ حكومة الفقهاء بالمعنى الذي عرفه الغرب أي حكومة رجال الدين^(٢).

كما أن إماماً المفصل دينياً إذا كان أفضل في مهام ولايته، هو دليل انتفاء الكهانة واحتكار الكهنوت من منهج الحكم والسياسة في دولة الإسلام. وقد عمل المنهج الإسلامي على سد الذرائع وإغلاق المنافذ التي تلوح منها طلال الكهانة والكهنوت، أو تروح منها رائحة احتكار السلطة في الدولة الإسلامية، فالخلافة لم تعط لعلي بن أبي طالب بعد انتقال الرسول إلى

١ . شاهين، معالم المنهج الإسلامي، ص ١٧١.

٢ . شاهين، معالم المنهج الإسلامي، ص ١٧١.

بارئه، ولم يطل الحكم السياسي في بيت النبوة، ولم يظهر أي شبهة احتكار السلطة في منهج الإسلام وتطبيقاته^(١).

وقد جاء التصور النظري التجريدي للباطنية الإمامية في مسألة الإمامة حلماً مثالياً بالخلاص المثالى، على نحو لا علاقة بينه وبين الواقع والممارسة والتطبيق، وسبقهم الغلو الخارجي في الحاكمية والتكفير بالمعصية، الذي كان تجريداً ذهنياً صنعه الصلاح والتقوى والنسل في أذهان القراء الذين كانوا طلائع الخواج قبل أن يعود معظمهم عن هذا الفكر بعد جلوسهم ومناظرتهم مع علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس ذلك الغلو الذي عز على التطبيق وكان وبالاً على أصحابه وعلى الأمة جموعاً، عند محاولة تطبيقه بالسيف، وجاءت الدولة الإسلامية نموذجاً فريداً، فالدولة الإسلامية؛ لأن الحاكمية في سياستها موكول للشريعة الإسلامية التي هي وضع إلهي كما أنها مدنية في الوقت نفسه؛ لأنها اجتهد إسلامي في الفروع محكم بمقاصد الشريعة الإسلامية وحدودها، فجمعت بين ما يمكن ويجب جمعه من سمات الأقطاب التي هي متقابلات لا سبيل إلى الجمع بينها في نظر منهج الحضارة الغربية، فصلاً عن المؤاخاة والتساند بينها^(٢).

وبعد كل هذا التفنيد لاتهام الدكتور عمارة بأنه يعارض الحاكمية، ومع هذا الاختلاف في فهم مصطلح الحاكمية الذي أراه اختلف تنوّع أكثر منه اختلاف تضاد نخلص إلى إن القول بحاكمية الله هو في مبدئه ومتناه تطبيق للقول بحاكمية البشر النسبية؛ فإن القائلين بمعنى حاكمية الله أنه لا حاكمية للبشر، هم في الأصل بشر توصلوا إلى هذا المعنى بفهمهم للنص الكريم: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾^(٣)، واصطحبوا في ذلك نصوصاً أخرى صموها إلى بعضها، وطبقوا فهمهم وخرجوا بهذه الفكرة، وفي ذلك إقامة لحاكمية البشر في اجتهادهم لفهم مراد الله وتطبيقه.

١ . المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

٢ . المصدر السابق ، ص ١٧٣-١٧٤ .

٣ . سورة الأنعام: ٥٧ .

المبحث الثالث: إفتراضات حول الإسلام و حقوق المرأة

تمهيد: إن من سماحة الدين الإسلامي، أنه أولى اهتماما بالغا بالمرأة المسلمة، حيث يتضح لنا جليا من خلال آيات الكتاب العزيز التي وضعت، وأرست قواعد الرحمة، والمساواة، في التعامل مع المرأة بعد الظلم الذي كان واقعا عليها في الجاهلية، و المتأمل في كتاب الله تعالى، يجد أن القرآن قد أفرد سورة كاملة خاصة بأحكام النساء إكراما لها، فقد حافظ على حقوقها وصانها، من المهد إلى اللحد، و من عزة الإسلام أنه أقر لها حقوقا، لم ترد في الشائع الأخرى أو القوانين سواءً كانت شرقية أو غربية، فلم يأت أي منهم بما جاء به الإسلام، فمن الغريب والعجيب أن نرى دعوات غربية، داخل المجتمع المسلم مدعية تحرير المرأة من التقاليد الرجعية البالية بحسب زعمهم و الموروثة من تعاليم الدين الإسلامي التي لم تعد صالحة في عصرنا هذا الذي طغت عليه المدنية، ودعوات، الحداثة والتحرر، و رفع القيود عن المرأة. وهذا ما نلاحظه في عصرنا الحالي، أن المنهج الغربي يظل ينظر إلى المرأة المسلمة نظرة تحمل الكثير من التشوهات التي تجعله يحكم على الكثير من قضاياها وفق ما رسمته ، صحافته، وإعلامه وحركاته الماسونية التي ترتدي لباس الحرية المزعوم، ساعياً إلى نشر الرذيلة والإباحية باسم حقوق الإنسان، مفتاعلاً قضايا لا توجد في عالمنا الإسلامي لهدم الأسرة والمجتمع الإسلامي، ومعتمداً على ما يفرزه من ^{أناسٍ} من بني جلدتنا تربوا في ظل حضارتهم الغربية، ورضعوا النزعة الحداثية في بلادهم، وأرادوا أن يسقطوا و يطبقوا ما درسوه من مناهج باطلة على المرأة المسلمة بدعوى كاذبة. فخرجوا بذلك عن المنهج الشرعي، وأقحموا المرأة في مسالك أدت بها إلى المهالك. إن قضية المرأة تعد من أكبر القضايا التي تشغل العالم، حتى جعلها الغرب النصراني، معيارا لمدى تقدم الدول أو تأخرها، كما استخدمها للضغط على الدول وإخراج حكامها و وصفهم بالتخلف أو الظلم أو تقييد الحريات، بل ربط الغرب المساعدات التي يقدمها للدول المسلمة بمدى استجابة هذه الدول لمسألة تغريب المرأة.

المطلب الأول: القرآن الكريم ساوي بين الجنسين

إذا تصفحنا آيات القرآن الكريم فإننا نجد أغلبها صريحة تتحدث عن علاقة المساواة "الشقين المتكاملين" ، لا مساواة "الندين المتماثلين" حتى تعم السعادة ويسود الاحترام ولا يحدث التناقض ، وهذا ما سعى إليه شرعنا الحنيف على عكس نظيره في الفكر الغربي. يقول الله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحْدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ إِلَيْهِ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾^(١).

ويقول تعالى: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحْدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَمِ ثَمَنِيَةً أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلْمَتِ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ تَصْرُفُونَ ﴾^(٢). بل وذهب الشرع إلى أكثر من ذلك، حينما جعل بين الجنسين المودة، والرحمة حيث أصبحت الأنثى سكنا للرجل واستقراراً له، فتحقق سعادته وسعادتها في الحياة بهذه المودة والرحمة وقد جعل الله ذلك آية من آياته حيث يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَّاتٍ لِقَوْمٍ يَنْقَرُّونَ ﴾^(٣). ونحن لا نجد هذا التحقيق إلا بالمساواة والتمايز بين الأنوثة والذكورية وإعطاء لكل ذي دوره في الأسرة أيضا. نجد أن القرآن الكريم أكد على المساواة في الأهلية وخاصة في حمل أمانات التكليف الشرعي، حيث يقول البارئ جل شأنه: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ... ﴾^(٤). ومن ثم يكون كمال المساواة في الحساب والجزاء ولم يقف أمر المساواة في الإسلام عند الفرض فقط بل واصل حتى الفروع. إذا أن هناك من فروض الكفايات التي توجه فيها

١ . سورة النساء: الآية ١.

٢ . سورة الزمر الآية ٦.

٣ . سورة الروم الآية: ٢١.

٤ . سورة الأحزاب الآية: ٣٥.

الخطاب إلى الأمة جماء حتى يؤكد على أهلية المرأة أيضاً، في بناء المجتمع وشد لبناته، ومثال ذلك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقتصرها الشرع على الرجال دون النساء، بل كانت المساواة في هذا التكليف بين الجنسين فنجد القرآن يؤكد على ذلك، حيث يقول تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقْيِمُونَ الْصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الْرِّكَعَةَ وَيُطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرَحُّمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(١) .

يقول الدكتور محمد عمارة وحتى لا تنشأ في العقل المسلم الملتمز بالمنهج القرآني شبهة، تناقض بين المساواة والتمييز في علاقات النساء بالرجال^(٢)، فقد قرن القرآن الكريم بين الأمرين في آية واحدة من آياته، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٣) .

أما في السنة النبوية أيضاً، جاءت لتجسد المنهج القرآني فقد أعطت للمرأة مكانتها، منذ صدر الإسلام وحررت المرأة المسلمة من قيود العبودية وبراثين الجاهلية، ومثال ذلك ما رأيناه في الاستجابة الخاتمة للرسالة من السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وكانت سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر أول شهداء الإسلام، وكانت أسماء بنت أبي بكر ثالثة الثلاثة الذين ائتموا على أخطر التحولات التي غيرت مجرى الدعوة الإسلامية هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة بل أسهمت في التدبير والتنفيذ لها^(٤) .

فالمرأة صارت ركيزة أساسية في الأمة الإسلامية، وعضوًا حيًا فعالًا ومشاركًا في شؤون الناس ومثاله، عند صعد الرسول صلى الله عليه وسلم على المنبر نادى في الناس "أيها الناس" فتسمعه أمة سلمة رضي الله عنها التي كانت جاريتها تمشط لها شعرها، فطلبت منها أن

١. سورة التوبه الآية: ١٧ .

٢. د. محمد عمارة ، حقائق وشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام، ص ١٨ .

٣. سورة البقرة الآية: ٢٢٨ .

٤. المصدر السابق: ص ٢٢ .

تجمع لها أطراف شعرها لتسرع إلى المسجد ملبية نداء النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت لها الجارية، إنما دعا الرجال ولم يدع النساء، تقول أمة سلمة "إنني من الناس"^(١). وما يروي البخاري كيف كانت شورى أمة سلمى رضي الله عنها، يوم الحديبية، الباب الذي فتح على المسلمين به طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحلوا من إحرامهم ورضوا بما عاهدوا عليه نبيهم بعد أن ظنوا أن المعاهدة قد جارت على ما يستحقون، فمنع الله بشورة أم سلمى الفتنة على المسلمين في الشأن السياسي العام^(٢).

- هذا كله نستطيع أن نستخلص منه أن الإسلام، قد أعطى للمرأة مكانة عظيمة، وشاركها مع الرجل في العام والخاص، إلا أن بعض الغربيين الذين يكيدون لهذا الدين، وغلمانهم من الحداثيين ممن يسعون دائماً إلى تخريب النبي التحتية لدينا الحنيف، برمي الصورة التي يريدونها الغربيون والحداثيون بزعمهم تحريراً للمرأة: أراد الغربيون وعلى إثرهم الحداثيون في العالم العربي والإسلامي، أن يحرروا المرأة بزعمهم من القيود التي تكيلها، والتخلص الذي كان يغمرها، فجعلوا لها صوراً تحررها في جوانب عدة نذكر على سبيل المثال:

- تحرر المرأة في لباسها وسترتها حيث أنهم أباحوا لها أن تلبس ما يصف بدنها إن لم يكن فتنة، بل وطالبوها الفقهاء بأن يجدوا مخرجاً لإجازة كشف العنق وبعض الذراع وجزء من الساق في حال عملت خارج بيتها وشق عليها أن تستر كل بدنها، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك بوجوب التزام المرأة، بقدر من الزينة الظاهرة حتى خارج بيتها^(٣).

١. الأستاذ عبد الحليم محمود أبوشقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، ج ٢ طبعة الكويت، تاريخ ٤١٠ هـ، ص ٤٢٩.

٢. د. محمد عمارة، حقائق وشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام، ص ٢٣.

٣. د. عادل بن حسن الحمد المرأة بين الإسلام والعصرانية، مختصر كتاب تحرير المرأة عند العصرانيين، ط ١، مؤسسة الدرر السنية للنشر، الكويت سنة ٤٣٣ هـ، ص ٢٠.

- تحرير المرأة في الزواج: هتفوا بحريتها في الاختلاط بالرجال من أجل معرفة شخصية الرجل، ونظموا مصطلحاً جديداً في ذلك سموه الباحث) حتى يرى تحريرها من المكوث في بيتها.
 - تحريرها من المكوث في بيتها فحثوها على الخروج من المنزل، قالوا أن القرار في البيت سبب نقص عقل المرأة، وأن المرأة لا يزدادوعيها وتضجها إلا بالخروج^(١).
ومما سبق يمكن القول أنه مهما فصلنا، وتكلمنا على ما أحاله الغربيون في هذا الجانب، فإننا لازلنا مقصرين في ذلك الجانب، لأنهم كانوا معاول هدم لكثير من المجتمعات في كثير من الدول العربية والإسلامية خاصة تلك التي تأثرت بالحداثة، والحداثيين كثيراً، وجرعت مجتمعاتها من سموهم.
- ومن خلال بحثنا أردنا أن ندرج على مجموعة من الشبهات، التي أثارها هؤلاء أيضاً، والتي فصل فيها الدكتور محمد عمارة، وكان له الرد عليها، وحاولنا أن نختصر بعضها بالتحليل والتفصيل على قدر المستطاع فنقول وبالله التوفيق.

المطلب الثاني: نقد شبهة ميراث المرأة نصف ميراث الرجل

انطلاقاً من الآية الصريحة والصحيحة من قوله تعالى: ﴿يُوصِّيَكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾^(٢)، لاحظنا أن الكثير من المشككين يطرحون هذه الآية كشبهة في عدم المساواة الشرعية في المواريث، ويقدحون في العدالة الإلهية، ولكنهم لا يفقهون أن توريث المرأة على النصف من الرجل موقفاً عاماً، ولا قاعدة مطردة في توريث الإسلام لكل من الذكور وكل الإناث فالقرآن الكريم لم يقل يوصيكم الله في المواريث والوارثين، للذكر مثل حظ الأنثيين، وإنما قال: ﴿يُوصِّيَكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾^(٣).

١. المصدر السابق ص ٢١.

٢. سورة النساء: الآية ١١.

٣. سورة النساء: الآية ١١.

أي أن هذا التمييز لا يكون إلا في حالات خاصة بل محدودة من حالات الميراث^(١). ففي ديننا الحنيف نجد أن تقسيم الميراث، لم يكن مبنياً على مقاييس الذكورة والأنوثة، إنما هناك بعض الحكم الإلهية الأخرى، والمقاصد الربانية التي خفيت على هؤلاء الحداثيين الجاهلين بمسائل العقيدة والدين لعل بعضها تقوم القسمة في النصيب للوارث من الموروث على حساب درجة القرابة فكلما اقترب الوارث من الموروث كان الميراث أوفر وأكثر نصيباً.

الأجيال التي تستقبل الحياة، وتحمل المسؤلية الأعباء في ما بعد موت المورث يكون لها نصيب أكثر من الأجيال التي تستدبر الحياة، وتبتعد على المسؤلية، فنجد مثلاً أن البنت ترث أكثر من الأب ولو كانت رضيعة، ولو كان الأب هو مصدر الثروة لابنه. ت ومما سبق فيمكننا أن نقول تفاوت الأنصبة للوارثين والوارثات في هذه المسألة التي يغفل عنها كثير من الغالين الذين يحسبون أنها شبهة تضر بأهلية المرأة فإن المتبعة لمسار الميراث في علم الفرائض، وضح ذلك وبين الأفكار المغلوطة لهؤلاء، فلو ركزنا على الموضوع الذي يشير شبهة لديها لوجدنا:

١. هناك أربعة حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل.
٢. هناك حالات أضعاف هذه الحالات الأربع ترث فيها المرأة مثل الرجل تماماً.
٣. هناك ما يزيد على عشرة حالات ترث فيها المرأة أكثر من الرجل.
٤. هناك حالات ترث فيها المرأة، ولا يرث نظيرها من الرجال أصلاً^(٢).

ففي المجمل نستطيع القول أنه يوجد أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل أو أكثر منه وفي بعض الأحيان ترث هي ولا يرث هو، فتلك إلا فيما يقابل الأربع حالات محدودة، ترث فيها المرأة نصف الرجل^(٣)، هي ثمرات التتبع إذا نظرنا بجد لمسألة الميراث،

١. د. محمد عمارة، حقائق وشبهات حول مكانة المرأة الإسلام، ط ١، سنة ١٤٣١ هـ ٢٠١٠ م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ص ١١٨.

٢. المصدر السابق، ص ١١٩.

٣. د. صلاح الدين سلطان، ميراث المرأة وقضية المساواة، تقديم الدكتور محمد عمارة، طبعة القاهرة دار نهضة مصر، سلسلة في التدوير الإسلامي سنة ١٩٩٩ م، ص ٤٦.

وعلم الفرائض التي قسمت فيها الشريعة الإسلامية، وحكمت فيها بمعاييرها وحددت فيها فلسفة الإسلام حيث أنها لم تحكم كما يدعى الغربيون والحداثيون المُشوّهون لصورة الإسلام فهنا نرى أن أولى الشبهات سقطت وأن أهلية المرأة باتت مرفوعة كما أقرتها الشريعة الإسلامية رغم كيد الكاذبين.

المطلب الثالث: الرد على شبهة القضاء وولاية المرأة

البعض من الحداثيين اعتقدوا أن ولاية المرأة " كما صورها بعض الفقهاء دليل على عدم المساواة بين الرجال والنساء، في ديننا الحنيف ومجتمعنا المسلم وجعلوا من ذلك شبهة في شريعتنا وتشكّيكًا فيها، بل يوجد شريحة كبيرة من هذا المجتمع، الذي يظن أن تولي المرأة لهذه المهام والفصل في المنازعات ما بين الناس من المسائل الشائكة حيث يرون ألا ولاية لها و موقف الشرع فيها بالرفض على توليها للقضاء، والحكم بين الناس ولا اجتهاد في ذلك مع النص. لذا إذا نظرنا إلى هذه المسألة، نجد أن واقع هذه المسألة إسلامياً، يؤكد أن هذا الظن لا يقوم على أساس، فضلاً عن أن يكون هذا الأساس إسلامياً ومتيناً^(١).

إن الذي عليه أن ينظر إلى هذه المسألة يجب أن يسلط الضوء عليها من جانب الموقف العام، الذي وقفه الإسلام من المرأة، حيث كان ولا يزال محرر لها ويكتفي الشريعة شرفاً أن القرآن صرّح بتلك المساواة، ففي الآية الكريمة التي تقول: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(٢).

وبالنسبة للقوامة التي قررها الإسلام للرجال على النساء، ففي بقية الآية: ﴿ وَالرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾، فإنها دالة على الرياسة التي لا تنتقص من حرية المرؤوس، فكانت هذه نظرة الإسلام للمرأة، وهذا ما ينبغي معرفته قبل الدخول في باب قضية المرأة لمنصب القضاء. ومما سبق يمكن أن نلخص الاعتبارات التي كانت متباعدة، والنقاط التي كانت محل خلاف

١ . د. محمد عمارة، شبهات واجبات حول مكانة المرأة في الإسلام، ط ، ١ ، مارس ٢٠٠٨ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٧٩.

٢ . سورة البقرة الآية: ٢٢٨.

بين الفقهاء، والتي فصل فيها الدكتور محمد عمارة، وحاولنا أن نلخصها في جزئيات إلى ما يلي:

١. إن قضية تولي المرأة لمنصب القضاء، ماهي إلا فكر إسلامي وآراء فقهية واجتهاد فقهاء، وليس دينا إلهيا أو وحيًا منزلاً، على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أما القرآن فلم يرفض هذه القضية، كما لم تعرض لها السنة النبوية الشريف، لأنها مسألة لم تكن عند ظهور الإسلام فلا نصوص دينية فيها قطعية كانت أو ظنية، فهي مسألة خاضعة للاجتهاد.
٢. تعد القضية عند الفقهاء محل خلاف باختلاف اجتهادهم، حيث بقي هذا الاختلاف بعدهم جيلا بعد جيل، فالقضية لا إجماع فيها حتى يكون هناك الزام للخلاف بإجماع السلف.
٣. إذا نظرنا إلى العصور الإسلامية، التي سبقت وجدنا عدم توليها للقضاء فإن هذا لا يعني "التحريم" بل لم تكن الحاجة في ذلك إلى ولايتها وفي المقابل نجد أنها شاركت في عصر النبوة، في أغلب الغزوات، وعاونت الجندي، وداوت الجرحى، وأمدتهم بالسلاح ودفت الشهداء كما حدث ذلك في غزوة أحد وغزوات أخرى مع النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، فكان ذلك على حساب العادة وال الحاجة إلى ذلك.
٤. كانت علة الاختلاف في ذلك، في ظل غياب النصوص الشرعية، حيث منهم من اشترط في تولي الحكم، شرط "الذكورية" كالأمام الشافعي ولذلك أسقط منصب القضاء للمرأة وتفرد به للرجل أما الذين أجازوا لها ذلك فيما عدا القضاء، في قضايا "القصاص" و "الحدود" كأبي حنيفة وفقهاء مذهبة، لأن غلبة العاطفة قد تحول بين وبين الموضوعية في قضايا الدماء وقد أجاز الإمام محمد بن جرير الطبرى قضاها في كل القضايا، وأجمعوا على توليها منصب "الإفتاء" وهو أخطر وأدق المناصب الإسلامية.

وهم قد عللوا ذلك بتقريرهم أن الثابت في شرط القاضي إنما يحكمه القصد والهدف من القضاء، وهو ضمان وقوع الحكم بالعدل بين المتقاضين وبعبارة أبي الوليد بن رشد فإنه يقول: "من رأى حكم المرأة نافذا في كل شيء قال: إن الأصل هو أن كل من يأتي منه الفصل بين الناس فحكمه جائز، إذا ما خصصه الإجماع من الإمامية الكبرى والخلافة ورئاسة الدولة الجامعة لأمة الإسلام" ^(١).

وذكر الماوردي مثلا في رفضه مذاهب الذين يجוזون قضاء المرأة، حينما أورد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي يقول: "ما أفلح قوم أسندوا أمرهم إمرأة". وحتى نبين من هذا الحديث الذي اتخذه أغلبهم ذريعة وحرموا به المرأة توليها القضاء، وحرمواها من حقوق كثيرة بإسم السنة النبوية الشريفة، وحقيقة هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم سأله وكان راوي الحديث أبو بكر الصديق رضي الله عنه، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم "من يلي أمر فارس"؟ قالوا: امرأة قال: "ما أفلح قوم يلي أمرهم امرأة".

ومما سبق يمكن أن نقول أن صورة المرأة، كانت تأخذ حقوقها كما أقرها الإسلام لها، وكانت بالمساواة مع نظرائها من الرجال ولهذا يجب نصر بشبهة الغربيين وسموم الحداثيين الذين رضعوا معهم، من نفس الفكر الحاقد على الإسلام والمسلمين، وأن نبطل شبههم كما نقدوا العلماء، بالحججة والبرهان فلا حجة لهم ولا دليل في ظل السنة الشريفة والتنتزيل الرد على شبهة الشهادة ونقدها مما يزيفه هؤلاء الحداثيين الغالين ويجعلون شبهه للقدح في صميم الدين، أن هذا الأخير جعل المرأة نصف إنسان، وذلك لأنه جعل شهادتها نصف شهادة الرجل ، واستدلوا على ذلك بما جاء في آية المكابية في أواخر سورة البقرة وكان ذلك في قوله: {فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَإِمْرَأَتَانِ} فجعلوا من ذلك شبهة بجعل شهادتها تعدل نصف شهادة الرجل، فأخلطوا في ذلك بين "الشهادة" و "الإشهاد" الذي تحدثت

١ . أبي الوليد بن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتضى، ج ، ٢ ، طبعة القاهرة، سنة ١٩٧٤ م، ص ٤٩٤ .

عنه الآية الكريمة. فالشهادة تكون فيما يعتمد عليه القضاء في اكتشاف العدل المؤسس على البينة، واستخلاصه من ثنيا دعاوى الخصوم^(١).

إذا فمعيار الأنوثة والذكورة في نظر الدكتور محمد عمارة، لا يكون جزء وشرط في الشهادة، وإنما تكون الشهادة باطمئنان القاضي لصدق الشاهد بصرف النظر عن جنسه ذكرا كان أو أنثى، وعن عدد الشهود أيضا، فإذا اطمئن القاضي إلى الشهادة اعتمد على ذلك ولو كان بأمرأة واحدة، أو رجل. أما الآية الكريمة فهي تتحدث عن الإشهاد الذي يكون من صاحب الدين للإتيان من الحفاظ على دينه وليس الشهادة التي يعتمدتها القاضي في الحكم بين أهل النزاع. كما يبدو أيضا أن هذه الآية نصيحة وإرشاد لصاحب الدين وليس تشريعا موجها إلى القاضي، وقد فقه العلماء والفقهاء المجتهدون ذلك، كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من القدماء والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبد الشافع والمولى شلتوت وغيرهم من المحدثين المعاصرين^(٢). وقال إسحاق ابن منصور، قلت لأحمد في شهادة الاستدلال: "تجوز شهادة امرأة واحدة في الحيض والعدة، والسقط والحمام ، وكل ما يطلع عليه النساء فقال: تجوز شهادة امرأة إذا كانت ثقة، ويجوز القضاء بشهادة النساء منفردات في غير الحدود، والقصاص عند جماعة من الخلف والسلف" وفصل الإمام ابن القيم كثيرا في هذا الموضوع رحمة الله، في كتابه "إعلام الموقعين عن رب العالمين" جزء الأول ص (٩٠) إلى (١٠٤) طبعة بيروت، إلى أن البحث يطول، ولكن مطلوب منا الالتزام كما أطرب في هذه المسألة جمع من المتأخرین من الفقهاء، كالإمام أحمد عبد^(٣). ولم يتوقف هؤلاء العلماء المجتهدون عند هذا الحد وبيّنوا أنواع الشهادات بين الرجال والنساء ووضّحوا موقف الشرع، وما قاله ذلك، لأن ذلك هو منطق الشريعة، وهذا هو العدل بين النساء والرجال. وينذكر الدكتور محمد عمارة أنه تعمد في إزالة هذه الشبهة لأمرتين اثنتين^(٤):

١ . د. محمد عمارة، شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام، ص ١٢٠ .

٢ . المصدر السابق: ص ١٢٢ .

٣ . د. محمد عمارة، سلسلة الأعمال الكاملة، الدراسة والتحقيق، الطبعة القاهرة ١٩٩٣ ، المجلد الرابع، الصفحة ٧٣٢ .

٤ . المصدر السابق: ص ١٣١ .

أولهما: يجب أن نترك نصوص الاجتهد للأئمة التي تبده غيوم هذه الشبهة ولا تكون بنصوصنا نحن كي لا تكون شبكات جديدة في هذا الموضوع.

ثانيهما: أن تكون هذه النصوص للأئمة المبرزين في إطار السلف والسلفيين حتى نقطع الطريق على غلاة العلمانيين والعلمانيات، الذين استبدلوا البدع الفكرية الوافدة بحقيقة الإسلام. ويقى في الأخير أن مناصفة المرأة وإعطائها كامل الأهلية، موقف إسلامي نزل به الروح الأمين على قلب سيد الأولين والآخرين، وهو موقف للاجتهد الإسلامي عبر عصور التاريخ الإسلامي.

المطلب الرابع: كيف يزيد الغرب والحداثيون تحرير المرأة؟

يحمل أصحاب دعوات التحرير والتحرر للمرأة ألوية وشعارات رنانة يظنون بها، إنصاف المرأة، ورفع الغبن عنها في الميدان التاريخي، والاجتماعي، وإخراجها من المآسي التي لحقت بها، والتي عانت منها، ولا تزال تعاني في المستقبل، بل ويجب المساواة بينها وبين الرجال حفاظا على شوق كل جنس لآخر، واحتياجه وأنسه به حيث بدأت هذه الدعاوى الغربية للتحرر منذ القرن التاسع عشر، وكان أثر من آثار الحادثة الغربية، التي رادت به أن تخرق قوانين التراث الفلسفى والاجتماعى والقانونى الغربى المحمر لشأن المرأة. أما النزعة الأنثوية المتطرفة (feminism)، والتي تبلورت في ستينيات القرن العشرين فإنها أثر من آثار ما بعد الحادثة الغربية التي تحمل كل عالم تطرفها، الذي بلغ بها حد الفوضوية والعدمية، واللاآدرية، والعبثية والتفككى لكل الأنساق الفكرية الحداثية التي حاولت تحقيق قدر من اليقين الذي يعوض الإنسان عن طمأنينة الإيمان الديني، التي هدمتها الحادثة بالعلمانية والمادية والوضعية منذ عصر التنوير الغربي العلماني، في القرن الثامن عشر^(١). ولذا فقد باتت هذه النزعة الأنثوية نزعة متطرفة، وكانت لها ثورة فوضوية، خرجت على نهج الإصلاح والأخلاق، وطارت من ثمرات الفضيلة وحطت على أشواك الرذيلة، خاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية . كما دعت هذه النزعات الحداثية إلى الثورة على الدين وعلى

١ . المصدر السابق: ص ١٩١

الله وعلى اللغة والثقافة والتاريخ، وحتى على العادات والتقاليد والأعراف أيضاً . وباتت تطالب الأنثى بالاستقلال عن الرجال والتحرر الانحلالي، حتى بلغ هذا التحرر كما يزعمون أكبر قمة الوبال على المرأة وعلى المجتمع الإنساني بأكمله ولو عرجنا على بعض النماذج الشاهدة التي تمثل نزعات متطرفة لهذه الحركات الأنثوية، لعرفنا أن هذه المنظمات لا تريد إلا الفساد ما استطاعت بالمرأة والمجتمع.

فأبو النزعات الأنثوية الفرنسية الإشتراكي الفرنسي "فوربيه"^(١) قد دعا إلى تحرير المرأة على جميع الأصعدة: البيت المهنـة، المدنـي، والجنسـي وقال: "إن العائلـة تـكاد تـشكل سـداً في وجه التـقدم" ، وفيـلـسـوف هذه النـزعـة "مارـكيـوز هـارـيرـت" (١٨٩٨م، ١٩٧٩م) قد جـعـلـ من أـسـسـ "نظـريـتـهـ النـقـدـيـةـ"ـ التـأـكـيدـ عـلـىـ اـنـتـاقـ الغـرـائـزـ الـجـنـسـيـةـ،ـ وـاـطـلـاقـ الـحـرـيـةـ الـجـنـسـيـةـ بـلـ حـدـودـ،ـ سـوـاءـ مـنـ نـاحـيـةـ الـكـمـ أـوـ الـكـيـفـ،ـ أـيـ حـتـىـ حـرـيـةـ الشـذـوذـ،ـ بـلـ وـتـمـجـيـدـهـ وـبـاعـتـبـارـهـ ثـورـةـ وـتـمـرـداـ،ـ ضـدـ قـمـعـ الـجـنـسـ،ـ وـضـدـ مـؤـسـسـاتـ الـقـمـعـ الـجـنـسـيـ،ـ مـعـتـبـرـاـ التـحـرـرـ الـجـنـسـيـ عـنـصـراـ مـكـمـلاـ،ـ وـمـتـمـمـ الـعـمـلـيـةـ،ـ التـحـرـرـ الـاجـتـمـاعـيـ رـافـضـاـ رـيـطـ الـجـنـسـ بـالـتـنـاسـلـ وـالـإـنـجـابـ^(٢)ـ.

أما فيـلـسـوفـ النـزعـةـ الأنـثـويـةـ الكـاتـبـةـ الـوـجـودـيـةـ "سيـمـونـ دـيـوـفـوـرـارـ"^(٣)ـ فـلـقـدـ اـعـتـبـرـتـ الزـوـاجـ السـجـنـ الأـبـدـيـ لـلـمـرـأـةـ،ـ وـيـقـطـعـ آـمـالـهـاـ وـأـحـلـامـهـاـ وـاعـتـبـرـتـ الزـوـاجـ مـؤـسـسـةـ لـقـهـرـ الـمـرـأـةـ وـيـجـبـ

١. شارل فورييه (بالفرنسية: Charles Fourier) (١٧٧٢-١٨٣٧م)، كان رجل اقتصاد وفيـلـسـوفـ فـرـنـسـيـ،ـ صـاحـبـ نـظـرـيـةـ اـجـتـمـاعـيـةـ وـاـقـتـصـادـيـةـ عـرـفـتـ بـاسـمـهـ،ـ تـأـثـرـ فـيـ حـيـاتـهـ بـالـأـفـكـارـ الـإـشـتـراـكـيـةـ الـتـيـ سـيـقـتـ أـفـكـارـ وـأـدـبـيـاتـ كـارـلـ مـارـكـسـ.ـ وـلـكـنـهـ لـمـ يـكـنـ اـشـتـراـكـيـاـ بـالـمـعـنـيـ الـدـقـيقـ فـهـوـ لـمـ يـطـالـبـ بـإـلـغـاءـ الـمـلـكـيـةـ وـإـنـمـاـ كـانـ يـدـعـوـ إـلـىـ الـاتـحـادـ فـيـ الـإـنـتـاجـ بـطـرـيـقـ الـمـشـارـكـةـ الـاـخـتـيـارـيـةـ وـأـنـ يـتـاحـ لـكـلـ شـخـصـ الـعـلـمـ حـسـبـ قـابـلـيـتـهـ الـشـخـصـيـةـ وـلـهـ الـحـقـ فـيـ تـغـيـيرـ نـوـعـ الـعـلـمـ.

٢. دـ.ـ مـحـمـدـ عـمـارـةـ،ـ تـحـرـرـ الـمـرـأـةـ بـيـنـ الـغـرـبـ وـالـإـسـلـامـ،ـ طـ١ـ،ـ دـارـ مـكـتـبـةـ الـبـخـارـيـ الـقـاهـرـةـ،ـ سـنـةـ ٢٠٠٩ـ،ـ صـ ٣٩ـ وـ ٤٠ـ.

٣. سـيـمـونـ إـرـنـسـتـيـنـ،ـ لـوـسـيـ مـارـيـ بـرـتـانـدـ دـيـ بـوـفـوـرـ،ـ تـدـعـيـ سـيـمـونـ دـيـ بـوـفـوـرـ (٩ـ يـانـيـرـ ١٩٠٨ـ - ١٤ـ أـبـرـيلـ ١٩٨٦ـ)ـ كـاتـبـةـ وـمـفـكـرـةـ فـرـنـسـيـةـ،ـ وـفـيـلـسـوفـةـ وـجـودـيـةـ،ـ وـنـاشـطـةـ سـيـاسـيـةـ،ـ وـنـسـوـيـةـ إـضـافـةـ إـلـىـ أـنـهـاـ مـنـظـرـةـ اـجـتـمـاعـيـةـ.ـ وـرـغـمـ أـنـهـاـ لـاـ تـعـتـبـرـ نـفـسـهـاـ فـيـلـسـوفـةـ إـلـاـ لـهـ تـأـثـيرـ مـلـحوـظـ فـيـ السـوـيـةـ وـالـوـجـودـيـةـ النـسـوـيـةـ.ـ كـتـبـتـ دـيـ بـوـفـوـرـ الـعـدـيدـ مـنـ الـرـوـاـيـاتـ وـالـمـقـالـاتـ وـالـسـيـرـ الـذـاتـيـةـ وـدـرـاسـاتـ حـولـ الـفـلـسـفـةـ وـالـسـيـاسـةـ وـأـيـضاـ عـنـ الـقـضـيـاـ الـاجـتـمـاعـيـةـ.ـ اـشـهـرـتـ سـيـمـونـ دـيـ بـوـفـوـرـ بـرـوـاـيـاتـهـ -ـ وـالـتـيـ مـنـ ضـمـنـهـاـ «ـالـمـدـعـوـةـ»ـ وـ«ـالـمـثـقـفـونـ»ـ كـمـاـ اـشـهـرـتـ كـذـلـكـ بـكـتـابـهـ «ـالـجـنـسـ الـآـخـرـ»ـ وـالـذـيـ كـانـ عـبـارـةـ عـنـ تـحـلـيلـ مـفـصـلـ حـولـ اـضـطـهـادـ الـمـرـأـةـ وـبـمـثـابـةـ نـصـ تـأـسـيـسيـ لـلـنـسـوـيـةـ الـمـعـاـصـرـةـ.

هدمها وإلغاها بل ولقد باتت هذه الحركات التي تحمل نزعات ،ذميمة، خاصة الغربية منها تضغط على المؤسسات الدينية الغربية حتى خانت رسالة أمتها، حيث أنه صدر سنة (١٩٩٤م) طبعتين للعهد القديم والجديد وسميت "الطبعة المصححة" ، وقد تم في هذه الطبعات تغيير الضمائر المذكورة وتحولت إلى ضمائر أخرى معايرة ورأوا في "الإنجاب" عبودية للمرأة. وبعد هذا كله، هل يعقل مما قرأناه أن الغربيين، ومن تأثروا بهم من أصحاب الحداثة في العالم العربي هل فعلا حرروا المرأة، وأعطوها المساواة مع الرجل كلا وألف كلا، بل كانوا حريصين كل الحرص على إهانتها ورميها في أوحال الرذيلة التي تقلل من شأنها وإنسانيتها وتحط من مكانتها في المجتمع بل والمتقصي لتلك الآثار، الاحتقارية للمرأة من هؤلاء يجدها منذ البدايات الأولى لتراثهم الديني للحضارة الغربية، حيث كان هذا الموقف من المرأة ثابتًا، فلو نعرج على بعض النماذج لهذه المقولات التي تحدثت في نظرهم على المرأة، فنقول: كان القديس "بونافنتيرا" (١٢٢١م، ١٢٧٤م) يقول: "إذا رأيتم المرأة فلا تحسبو أنكم شاهدتم موجودا بشريا، ولا موجودا موحشا، لأن ما ترون هو الشيطان نفسه، وإذا تكلمت فإن ماتسمعونه هو فحيخ الأفعى" ^(١). ويرى القديس "توما الإكونيني" (١٢٢٥م، ١٢٧٣م) أن المرأة ذكر ناقص ولا وجود للمرأة أصلا، ويسميها "الخطيئة الأولى". كما دعا أوغسطين (٤٣٠م، ٣٥٤م) إلى إخضاعها للوصاية، كما يخضع العقل الضعيف للعقل الأقوى ^(٢).

ومما سبق يمكن القول والتعريج على كل هذا أن أسس الحداثة التي تقوم عليها تلك الحرية كحرية التفكير، وحرية المعتقد وحرية السلوك، التي جعل منه الحداثيون العرب خاصة شعارات رنانة ومجدوا هذه الشعارات، ولكن في الحقيقة هي ادعاءات مزيفة. فلو تمعنا جيدا في أعظم قواعد وأسس وقواعد الإسلام، لوجدناها قامت على مبدأ "لا إكراه في الدين" وعلى أن المرأة قد منحها الإسلام الحرية المطلقة في كل ما يهمها وحدها كالذمة المالية . فالمشروع الحداثي ضربه التناقض، بأبشع الصور في مبدأ الحرية هذا بالذات وإلا

١ . المصدر نفسه: ص ٥٩.

٢ . المصدر نفسه: ص ٦٢.

فيما نفسر رفض الكثير من الدول الأوروبية وعلى رأسها فرنسا، لارتداء الحجاب لدى المسلمات في المدارس، والأماكن العامة، أليست حرية اللباس حرية شخصية؟ بل يجب أن تكون أولى الحريات الشخصية^(١).

إذا تمعنا جيداً لهذه التناقضات نجد أن الحداثة ترى في بيع المرأة لجسدها حرية شخصية، حيث أنه في الواقع لا حرية لها ولا كرامة ولا يمكن لأي مثقف أن يدافع عنها أبداً لأن ذلك يعد صورة من صور العبودية، لا الحرية التي يتغنون بها، والمرأة المحجبة التي تُخفي القيم العتيدة تعتبر أئمة في نظرهم . فبالمختصر المفيد، وكما يقول الدكتور مصطفى الولي: "الحداثة دفعت النساء إلى الاسترجال، وكلما أردنا أن يُكُنَّ كالرجال ابتعدن عن أنوثهن، فإنهن عاجزات عن تصور أن الأنوثة، والمرأة، يمكن أن تكونا مزيتين، إنهن رجال خائبون ونساء فاشلات وي تعرضن إلى الخطر، يائسات ودون هدف في متأهات الشعور بالدونية، إنها ببساطة الحداثة وتناقضاتها، التي أتعسّت المرأة وهي توهّمها أنها تسير على طريق السعادة"^(٢).

المبحث الرابع: افتراضات حول الإسلام والإرهاب

تمهيد: إستغلت بعض الدوائر المعادية للإسلام والمسلمين في ديار الغرب، ظاهرة العنف والإرهاب، التي تضررت منها أقطار العالم العربي والإسلامي ، ولم تسلم منها بعض الأقطار الغربية، وأخذت تحبي روح العداء للإسلام، وتخوف من انسياط دعوته في أوروبا وغيرها من دول الحضارة الغربية، وقد عرف هذا النزوع بظاهرة "الإسلاموفobia" أي: الخوف والهلع من الإسلام. ولعل ما يشير اللوعة ويعتبر على الأسى في هذه المسألة، أن "رجال الدين" المسيحي انخرطوا بقوة وعنفوان في تأجيج أوار هذه النار المستعمرة وراحوا يثيرون اللغط حول من اقتنع بعقيدة "الجزاء بدل عقيدة "الفداء" .. وقبل حوالي أربع سنوات، أطلق القسيس جورج "جاينز فاين" الذي يعمل سكرتيراً خاصاً وقائماً بأعمال البابا "بديكت السادس عشر"

١ . فاطمة عبد الرؤوف كاتبة مصرية، المرأة وتناقضات الحداثة، الراصد ، سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة العدد، ١٦٩ شوال ١٤٣٣ هـ الخميس ٢٢ يونيو ٢٠١٧ م.

٢ . المصدر نفسه، ص ١٦٧

في الفاتيكان، تحذيرًا شديد اللهجة من موجة ما أطلق عليه: "أسلمة أوروبا" وقد سارع - عقب ذلك التحذير - مركز العلاقة مع الإسلام التابع إدارياً للكنيسة الكاثوليكية بفرنسا إلى عقد مؤتمر حاشد ليجيب على سؤال جوهري هو، لماذا هذا الإقبال الكبير على الإسلام دون غيره من الأديان والعقائد؟

ما كان ينبغي على قساوسة مسيحية بولس ورهبانها في أوروبا، أن يساهموا في حملة التخويف من الإسلام.. ولو كانوا على شيء من الحق الذي كانت عليه النصرانية قبل مؤتمر نيقية المنعقد في العشرين من شهر مايو أيار (سنة ٣٢٥ م) لظاهروا حركة انتشار الإسلام في بلدانهم، فإن كتاب هذا الدين القرآن الكريم يقول عن السيد المسيح ﷺ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِئُمْ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكُ بِكَلْمَةٍ مِنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرِيمَ وَجِيهَاهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ (١)، ويقول أيضًا: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرِيمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ الْقُدُّسَةُ إِلَى مَرِيمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (٢). لكنهم لأسف يلوفون بصمت أهل القبور أمام انتشار الإلحاد والشذوذ الجنسي وال العلاقات الأئمة، والجرائم المختلفة والحراب الظالمة وترويع الآمنين ونهب خيرات الشعوب بالباطل تحت التخويف بالقوة العسكرية والحصار الاقتصادي، والتدخل في الشؤون الداخلية للدول والشعوب المغلوبة على أمرها.. إلخ.. إنهم لا يتحركون إلا عندما يشاهدون انتشار الإسلام وإقبال الفلاسفة والمفكرين والباحثين والأدباء والفنانين والسياسيين والدبلوماسيين في كل بقاع المعمورة على دراسته، والاقتناع بصلاحيته الأبدية للزمان والمكان والحاضر والمستقبل. إن هذا النزوع يعني بوضوح أن روح بطرس الناصك الموروثة عن نصرانية بولس، ما تزال مع كل أسف، تسري في قلوب أصحاب القرار من ساسة ورجال دين في قارة أوروبا، وفي ديار الغرب بصفة عامة. وقد أدركت منظمة المؤتمر الإسلامي (التعاون الإسلامي حالياً) مدى خطر هذه المسألة، وتداعياتها وأثرها على الدعوة الإسلامية، داخل البلدان الإسلامية وخارجها، فوجّهت مؤتمر

١ . سورة آل عمران: ٤٥ .

٢ . سورة النساء: ١٧١ .

وزراء خارجيتها المنعقد بباكستان خلال الأسبوع الثالث من شهر مايو سنة (٢٠٠٧م) إلى الاهتمام بهذه المسألة ودراستها دراسة عميقة مستفيضة خاصة بعد أن سعت الكثير من دوائر الكيد المتربصة بالدعوة الإسلامية، إلى الربط بين الإرهاب وغيره من الشرور وبين الإسلام ذاته^(١).

المطلب الأول: السماحة الإسلامية

قدم المفكر الإسلامي محمد عمارة في كتابه "السماحة الإسلامية.. حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب" معركة فكرية تهدف لجلاء الغموض عن مصطلحات شائكة. فقد جمع في أسلوب مناقشته للأفكار بين الفلسفة العالية والتبسيط، ليقدمها بطريقة مختلفة عما تناولها سابقه، خصوصاً أنه يبحث في مصطلحات شائكة بالنسبة للمسلمين خاصة والمجتمع الدولي عامة، فأي ازلاق في أي تعريف يؤدي إلى تشويه هذه المصطلحات في الفكر الإسلامي. إلا أنه استطاع أن يعطي كل مصطلح حقه من الفكر الإسلامي، مؤسساً لهذه المصطلحات بمقتضى لها تماماً، وهو السماحة الإسلامية.

يقسم الباحث كتابه إلى جزأين، الأول تحت عنوان السماحة الإسلامية. والجزء الثاني حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب، مستنداً فيه إلى ٣٤ ما بين مصادر ومراجع. يصف محمد عمارة السماحة في الإسلام بأنها ليست فقط المساهمة واللين في المعاملات والعطاء بلا حدود، بل هي دين مقدس ووحي إلهي وبيان نبوي، أي منهاج الدين والشريعة. وقد بين الكاتب كيف أسس لها القرآن وفقاً لرؤية فلسفية إسلامية للكون والوجود. قال: "إن السماحة - التي تعنى: المساهمة واللين في المعاملات، والعطاء بلا حدود ودونما انتظار مقابل، أو حاجة إلى جزاء. إن هذه السماحة - في النسق الإسلامي ليست مجرد كلمة تقال ولا شعار يرفع ولا حتى صياغة نظرية تأملية ومجردة، كما أنها ليست مجرد فضيلة إنسانية، يمنحها حاكم ويعندها آخر، وإنما هي دين مقدس، ووحي إلهي وبيان نبوى لهذا الوحي الإلهي وتجسيد وتطبيق لهذا الدين في دولة النبوة وفي دولة الخلافة الراشدة وفي التاريخ الحضاري للشرق

١. عبدالله الأشعـل، قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط١، ٢٠١٠م، ص ١٤١.

الإسلامي منذ ما قبل أربعة عشر قرناً، وحتى هذه اللحظات.. بل، لأن هذه السماحة هي ثمرة للدين الخالد والشريعة الخاتمة، فإنها ستظل منهاجاً للإسلام والمسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها".^(١)

كون هذا الوجود يوجد فيه حق هو الله، والخلق أي جميع عوالم المخلوقات. وهناك واجب الوجود وهناك الوجود أي المخلوق لواجب الوجود. وفي هذا التصور الفلسفي الإسلامي تكون الوحدانية والأحدية فقط للحق واجب الوجود، بينما تقوم كل عوالم الخلق على التعدد والاختلاف والتمايز باعتبار هذا قانوناً إلهياً تكوينياً، الأمر الذي يستلزم لبقاء هذه السنة تعايش كل الفرقاء المختلفين، أي سيادة خلق السماحة في العلاقة بين الشعوب. فبدون السماحة يحل الصراع الذي ينهي ويلغى التعددية، حسب نظرية الكاتب. لتكون هذه هي الرؤية الفلسفية الإسلامية للكون والوجود، وأما عن التأسيس القرآني لها فقد استشهد ببعض الآيات في كل من (سورة الحجرات: ١٣، الروم: ٢٢، هود: ١١٨-١١٩). إنطلاقاً من هذه النظرة يرى الكاتب أن العدل هو معيار النظرة القرآنية وأساس السماحة حتى في رد العداون وإنزال العقاب، ويستشهد بالآيات (سورة النساء: ١٣٥، سورة الأنعام: ١٥٢، سورة المائدة: ٢، سورة البقرة: ١٩٤، سورة النحل: ١٢٨-١٢٥). وتأسياً على هذا العدل الإلهي أسس القرآن سماحة الإسلام في النظر للموروث والنبوات والرسالات، كون القرآن لم يأت منافياً لما سبقه، بل مصدقاً له مستوعباً لأركان العقيدة فيها ومصححاً لما طرأ عليها.

لقد صرخ الدكتور عمارة: "لقد بدأ القرآن الكريم فأسس للسماحة الإسلامية على قاعدة الرؤية الفلسفية الإسلامية للكون والوجود. ففي هذا الوجود هناك: «حق» هو الله - سبحانه وتعالى - و «خلق»، يشمل جميع عوالم المخلوقات. هناك : «واجب الوجود»، وهناك «الوجود» المخلوق الواجب الوجود.. وفي هذا التصور الفلسفي الإسلامي تكون «الواحدية والأحدية» فقط للحق.. الله سبحانه وتعالى.. واجب الوجود. بينما تقوم كل عوالم الخلق - المادية والنباتية والحيوانية والإنسانية والفكرية - أي كل ما عدا الذات الإلهية- ومن عدا

١. محمد عمارة، "السماحة الإسلامية.. حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب" ص ٩.

الذات الإلهية على التعدد، والتنوع، والتمايز، والاختلاف. باعتبار هذا التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف قانونا إلهيا تكوينيا، وسنة من سنن الله التي لا تبدل لها ولا تحويل، الأمر الذي يستلزم . لبقاء هذه السنة الكونية قائمة ومطردة -تعيش كل الفرق المختلفين، وتعارف جميع عوالم الخلق.. أي سيادة خلق السماحة في العلاقات بين الأمم والشعوب، والثقافات، والحضارات، والمذاهب، والفلسفات، والشائع، والممل، والديانات، والأجناس، والألوان، واللغات، والقوميات.. فبدون السماحة يحل الصراع الذي ينهي ويلغي ويفني التعددية محل التعايش والتعارف، الأمر الذي يصادم سنة الله -سبحانه وتعالى- في الاختلاف والتنوع بكل عوالم المخلوقات^(١).

على هذه الرؤية الفلسفية الإسلامية للكون والوجود أقام الإسلام مذهبه في السماحة، باعتبارها فرضية دينية، وضرورة حياتية، لتكون جميع عوالم الخلق على هذا النحو الذي أراده الله. وفي التأسيس القرآني لهذه الرؤية الفلسفية الإسلامية للكون والوجود ، نقرأ في آيات الذكر الحكيم: ﴿ يَأَيُّهَا أُنَاسٌ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذِكْرٍ وَأَنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَيْرٌ ﴾^(٢). فالإنسانية تتتنوع إلى شعوب وقبائل.. والسماحة هي السبيل إلى تعايشها وتعارفها في الإطار الإنساني العام. وهذه الأمم والشعوب والقبائل تتتنوع أجناسها وألوانها وأسنتها ولغاتها -ومن ثم قومياتها- كآية من آيات الله ﴿ وَمِنْ ءَايَتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلْفُ أَسْنَاتُكُمْ وَأَلوَانُكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾^(٣). والسماحة هي السبيل لتعايش الأجناس والقوميات في إطار الحضارات الجامحة لشعوب هذه القوميات وهذه الأمم والشعوب تتتنوع دياناتها وتحتفل مللها وشائعها، وتتعدد مناهجها وثقافاتها وحضارتها، باعتبار ذلك سنة من سنن الابتلاء والاختبار الإلهي لهذه الأمم والشعوب. وحتى يكون هناك تدافع وتسابق بينها جمیعا على

١. المصدر السابق: ص ١١-١٣.

٢. سورة الحجرات: ١٣.

٣. سورة الروم: ٢٢.

طريق الحق وفي ميادين الخيرات ﴿ لِكُلِّ جَعْلَنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَحِدَةً وَلَكُنْ لَيَّلُوكُمْ فِي مَا مَاءَتِكُمْ فَأَسْتَقِوْا الْحَيْرَةَ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾١﴿، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَحِدَةً وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ ﴾٢﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾٣﴿ . والمفسرون لهذه الآيات يقولون عن هذا الاختلاف وذلك التنوع وتلك التعددية في الشرائع والمناهج والثقافات والحضارات ، إنها علة الخلق وأن المعنى: «وللخلاف خلقهم»^(٣).

وبدون السماحة يستحيل تعايش هذه التعددية، التي هي علة الوجود، وسر التسابق في عمران هذا الوجود. وانطلاقاً من هذا الموقف القرآني، الذي جعل هذا التنوع سنة إلهية وقانوناً كونياً، كان العدل . الذي هو معيار النظرة القرآنية وروح الحضارة الإسلامية، هو أساس السماحة الإسلامية في التعامل مع كل الفرق المختلفين. ففي التأسيس لهذه السماحة العادلة يطلب القرآن الكريم منا العدل مع النفس والذات: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمُونَ أَنَفْسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنْتُمْ قَالُواْ كُمَا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُواْ أَرْضُ اللَّهِ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾٤﴿ . ويطلب منا العدل مع الآخر: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَبَيَّعَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾٥﴿، و﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِمَانُواْ كُنُواْ قَوَامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ أَوْلَادِكُمْ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَبَيَّعُوا أَهْوَاهَكُمْ أَنْ تَعْدِلُواْ وَإِنْ تَلُوْاْ أَوْ تُعَرِّضُواْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾٦﴿، ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ

١. سورة المائدة: ٤٨.

٢. سورة هود: ١١٨ ، ١١٩ .

٣. الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ١١٤-١١٥.

٤. سورة النساء : ٩٧ .

٥. سورة الشورى: ١٥ .

٦. سورة النساء: ١٣٥ .

وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٥﴾ (١). بل ويوجب الله سبحانه وتعالى علينا العدل حتى مع من نكره ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَّا تُكُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقُسْطِ ۚ وَلَا يَجِدُ مَنَّكُمْ شَنَّاعٌ قَوْمٌ عَلَىٰ أَلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾ (٢)، وأيضاً: ﴿وَلَا يَجِدُ مَنَّكُمْ شَنَّاعٌ قَوْمٌ أَنْ صَدُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ۚ وَتَعَاوِنُوا عَلَىٰ الْبَرِّ وَالْتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَعَاوِنُوا عَلَىِ الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٧﴾ (٣). ذلك هو "التأسيس القرآني للسماحة الإسلامية على الرؤية الفلسفية للكون والوجود، المحكومة بسنة التعدد والتنوع والتمايز والاختلاف، كقانون تكويني أزلى أبدي، الأمر الذي يجعل السماحة ضرورة لازمة وفرضية واجبة لبقاء قانون التنوع والاختلاف عاملًا ومرعيا في عوالم المخلوقات والفلسفات والشرع والديانات والثقافات والقوميات والحضارات" (٤).

المطلب الثاني: حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب

تعاني هذه المصطلحات الثلاثة من خلط كبير في المضمون، حسب نظرية الكاتب، وخاصة مصطلح الجهاد الإسلامي، ورجم الكاتب السبب في النظر للآخر من خلال الذات، كون هذه النظرة تؤدي إلى صب الآخر في قوالب الذات، أي إلغاء وتجاهل الفروق بين الديانات والثقافات والحضارات، وذلك بدلًا من التمييز بين الأشباء والنظائر التي تجمع النماذج الثقافية والفروق التي تميز بينها. يرى الكاتب أن المصطلحات هي بمثابة أوعية يستخدمها ويتداولها الجميع، لكن محتويات هذه الأوعية (مضامين المصطلحات) تختلف وتتمايز لدى أصحاب الأنسق الفكرية رغم وحدة المصطلح. يعتبر الكاتب أن بعض العلماء الغربيين الذين قاموا بدراسة الحضارة الإسلامية، وقع معظمهم في خطأ النظر إلى الذات الإسلامية، من

١. سورة الأنعام: ١٥٢.

٢. سورة المائدة: ٨.

٣. سورة المائدة: ٢.

٤. محمد عمارة، "السماحة الإسلامية.. حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب"، ص ١١. ١٣. ١٦.

خلال منظار المعايير التي حكمت مسيرة الحضارة الغربية (الكنيسة) والتاريخ الحضاري الغربي وما شهد من صراعات. ثم يسرد فحوى الحرب الدينية المقدسة التي شنها الصليبيون على المسلمين، حيث غلقتها الكنيسة بالدعوى الدينية، ذلك أنها اعتبرتها حرباً ضد الكفار لتخليص قبر الله (المسيح) من أيدي هؤلاء الكفار. معلنة أنها حرب إلهية لذات الله، وفرسانها يحملون مفاتيح الجنة، وأن دم المسلمين أعظم قربان لله الخالص. لتجerb مقاصدها الإمبريالية، وكانت فكرة هذه الحروب هي التي قاس عليها الغربيون مصطلح jihad الإسلامي.

المطلب الثالث: الحرب الدينية المقدسة وحقيقة jihad الإسلامي

إدعى المدعون المغرضون والجاهلون المتتجاهلون أن jihad في الإسلام عبارة عن حرب ديني مقدس وينفي الكاتب صفة الحرب الدينية على jihad الإسلامي، فالإيمان تصدق قلبي يبلغ مرتبة اليقين، وهو سر بين المؤمن وخلقه، لا يتأتى إلا من خلال الفهم والإقناع، ولا يمكن أن يكون ثمرة لأي لون من الإكراه، مستشهدًا بـ(سورة الكافرون: ٦، وسورة الكهف: ٢٩). بالإضافة إلى أنه لا يمكن حصر jihad في القتال فقط، بل هو في كل ميادين الحياة كمجاهدة العدو والشيطان والنفس. ويستفيض الكاتب هنا من خلال تبيان حقيقة jihad، مبيناً مفهومه اصطلاحياً في اللغة العربية والقرآن، مستشهدًا بذلك من القرآن والسنة وتعاريف العلماء والفقهاء وحتى مفكري الغرب الذين أنصفوا هذا المصطلح.

قال: "إن jihad الإسلامي ليس حرباً دينية مقدسة؛ لأن الإسلام ينكر ويستنكر أي حرب دينية، فالإيمان الإسلامي تصدق قلبي يبلغ مرتبة اليقين. وهو سر بين المؤمن وبين خالقه، لا يتأتى إلا بالفهم والعلم والإقناع والاقتناع، ولا يمكن أن يكون ثمرة لأي لون من ألوان الإكراه -فضلاً عن أن يكون هذا الإكراه عنفاً قتالياً - ولذلك، قر القرآن الكريم القاعدة المحكمة والحاكمة: ﴿لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ﴾^(١) والتي لا تعني فقط «النهي عن الإكراه في الدين، وإنما تعنى -أيضاً- «نفي» أن يكون هناك دين أو تدين عن طريق الإكراه! إذ الإكراه يشمل

١. سورة البقرة: ٢٥٦.

«نفاقاً» وهو أخطر من «الشرك» الصراح والكفر البواح، ولا يمكن أن يتم «إيماناً» بحال من الأحوال. ولذلك، شاعت في القرآن الكريم الآيات التي تقول للمخالفين: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾^(١). ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكُفُرْ ﴾^(٢)، والتي تحدد مهمة الرسالة في الاعتقاد ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبَدِّلُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾^(٣). ﴿ تَحْنُ أَعْمَمْ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَارٍ ﴾^(٤). ﴿ وَمَا جَعَنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾^(٥).

وإذا كان الخلط بين الجهاد الإسلامي وبين الحرب الدينية المقدسة هو أثراً من آثار سوء الفهم للإسلام، أو سوء النية في تصوير الإسلام، فإن هناك خطأ آخر يقع فيه الذين يختزلون الجهاد الإسلامي في القتال الذي تحدث عنه القرآن الكريم، ومارسه المسلمون في عصر النبوة، وعلى امتداد تاريخ الإسلام.

وذلك أنَّ الجهاد الإسلامي الذي هو فريضة إسلامية -أعم من القتال الذي شرعه الإسلام- فكل قتال جهاد وليس كل جهاد قتالاً، إذ القتال هو الجانب العنيف من الجهاد، وليس كلَّ الجهاد^(٦) ثم تكلم عن معنى الجهاد و بيان أنواعه و مصاديقه.

المطلب الرابع: حقيقة القتال في الإسلام

يميز الكاتب بين الجهاد والقتال، كون الأخير شعبة من شعب الأول، فالجهاد أعم من القتال، ثم بين الكاتب من خلال الشرح المطول والمسند للمنطق أن في الإسلام تشریعاً مضبوطاً يجوز القتال أو يوجبه في بعض الحالات. ذلك أن الإسلام دين ودولة ووطن،

١. سورة الكافرون: ٦.

٢. سورة الكهف: ٢٩.

٣. سورة المائدة: ٩٩.

٤. سورة ق: ٤٥.

٥. سورة الأنعام: ١٠٧.

٦. محمد عمارة، "السماحة الإسلامية.. حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب"، ص ٥١_٥٢.

والإخراج من هذا الوطن يعتبر موتاً للإنسان مستشهاداً بـ(سورة البقرة: ٨٥ - ٨٤، ٢٤٣ - ٢٤٤). لذا يتطلب الدفاع عنه، فالإسلام لا بد له من وطن حر، وهو شرط لإقامة الدين والقيام بأمانة العمران، وهي المهمة العظمى من وراء استخلاف الله لجنس، لهذا وقف الإسلام القتال عند هذه الموضع و هي الحفاظ على الدين و حرية الدعوة إليه و تحرير ضمائر المؤمنين به من الفتنة أولاً والحفاظ على الوطن من العدوان في المرتبة ثانياً.

يقر المفكر الدكتور محمد عمارة بأن الإسلام لا يزيد الصراع، فهذا الأخير مبني على المنطق الذي ينهي الآخر، بل مبني على التدافع الذي هو حراك يحل التوازن محل الخلل الذي يصيب علاقة الفرقاء المتمايزين. لا يمكن أن يتحدث الكاتب عن القتال في الإسلام دون أن يذكر الآيات التي جاءت في (سورة التوبة ١ - ١٦)، كون هذه الآيات تستعمل كدليل من القرآن للحصن على قتال المشركين وإرهابهم أينما وجدوا، ولكن ببراعة يبين الكاتب فقه هذه الآيات. حيث بين أن الآيات تميز المشركين وصنفهم في ثلاثة توجهات^(١):

١. مشركون يعاهدون المسلمين يحترمون الوعود، الآية ٤
٢. مشركون محايدون لا يعرفون الحقيقة ليتخذوا لهم موقفاً، الآية ٦
٣. مشركون ينقضون العهد ويقاتلون المسلمين، الآية ١٢ - ١٠ وهذه الفئة هي من يتوجب فيها القتل.

يقول الدكتور: "إذا كان الجهاد في الإسلام أعم من القتال، فإن القتال الذي هو الجهاد العنيف، والذي هو شعبة واحدة من الشعب السلمية التي لا تحصى للجهاد متميزة ثمرته - وهي القتل - عن الموت الطبيعي، فالموت: هو قوت الحياة، بينما القتل: هو إزالة الروح وإزهاقها، وقوت الحياة بفعل فاعل من الخارج يتولى هذا الإزهاق وليس هناك شك - بل ولا غرابة - في أن تجد في الإسلام تشريعاً مضبوطاً يجوز القتال أو يوجهه في بعض الحالات،

١ . المصدر السابق، ص ٦٣ - ٦٤

ذلك أن الإسلام دين ودولة. وأمة ووطن ومجتمع ونظام^(١). فالدين في الإسلام لا بد لإقامته من وطن يقام فيه؛ لأن هذا الدين ليس مجرد تكاليف فردية، يستطيع المكلف بها أن يقيمهها بمعزل عن الناس، أو بإدارة الظهر للناس، وإنما فيه – إلى جانب التكاليف الفردية – تكاليف اجتماعية لاتؤدي إلا في أمة وجماعة ونظام ومؤسسات وسلطة ومجتمع، أي لا بد له من وطن ودولة وهذه التكاليف الاجتماعية والكافائية، هي أكدر وأهم من التكاليف الفردية؛ لأن الإثم في التخلف عن التكليف الفردي يقع على الفرد فقط، بينما إثم التخلف عن التكليف الجماعي والاجتماعي – الكفائي – يقع على الأمة جموعاً. بل إن أغلب التكاليف الفردية في الإسلام تؤدي وتقام في جماعة، وثوابها في الجماعة أضعاف أضعاف إقامتها خارج الجماعة. ولهذه الحقيقة التي تميز بها الإسلام عن النصرانية التي تتمثل ذروة إقامتها كاملة في الرهبانية التي تدير الظهر للعالم والدنيا والناس، كأن الوطن هو الوعاء الذي بدونه لا تُقام جملة شعائر الإسلام وفرائضه وتكاليفه ولهذه الحقيقة – أيضاً – رفع الإسلام قيمة الحفاظ على حرية الوطن واستقلاله وسيادته، وحق المواطن – بل واجبه في أن يعيش حراً في وطن حر. رفع هذه القيمة إلى مقام الحياة. فجاء في القرآن الكريم حديث عن أن الإخراج من الديار معادل ومساوٍ للقتل الذي يخرج الإنسان من عداد الأحياء: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَفْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوْا مِنْ دِيْرِكُمْ مَا فَعَلُوْهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوْا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَشْيِتاً ﴾^(٢). وجاء في القرآن الكريم – كذلك – الإشارة إلى بنود المواثيق التي أخذها الله – سبحانه وتعالى – على بعض الأمم، ومنها نتعلم أن الإخراج من الديار، والحرمان من الوطن، هو معادل لسفك الدماء والإخراج من الحياة: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيشَاقَكُمْ لَا سَفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيْرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشَهَّدُونَ ﴾^(٣) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيْرِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوْنِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْرَى تُفَكِّرُهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ

١ . المصدر السابق: ص ٦٨ .

٢ . سورة النساء: ٦٦ .

إِخْرَاجُهُمْ أَفَكُوْمُونَ بِعَيْنِ الْكِتَبِ وَكُفَّارُونَ بِعَيْنِ فَمَا جَرَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ
إِلَّا خَرْجٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ۝ ٨٥ ۝ (١).

ولذلك جعل القرآن الكريم استقلال الوطن وحريته الذي هو ثمرة لطنية أهله ويسالتهم في الدفاع عنه، وجعل ذلك حياة لأهل هذا الوطن. بينما عبر عن الذين فرطوا في استقلال وطنهم بأنهم «أموات» وجعل من عودة الروح الوطنية إلى الذين سبق لهم التفريط فيها، عودة روح الحياة إلى الذين سبق وأصابهم الموت والموت. قال تعالى: ﴿أَلَّمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
خَرَجُوا مِنْ دِيَرِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتَ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوْتُوا ثُمَّ أَحْيَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
لَذُو فَضْلِهِ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝ ۴۵﴾ (٢). فالذين خرجن من ديارهم وليس الذين أخرجوا لضعف في وطيتهم، وجبن عن مقائلة أعداء وطنهم، هم أموات، مع أنهم ألف يأكلون ويسربون. وعوده الوطنية إليهم، واستخلاصهم لوطنه، هو إحياء لهم بعد الممات. ولأن هذا هو مقام الوطن وضرورته لإقامة دين الإسلام وشرعيته كان الجهاد القتالي واردا وأحيانا واجبا للحفاظ على الوعاء الوطن الذي بدونه لا يقام كامل الإسلام.

تلك هي حقيقة القتال في الإسلام وتلك هي مقاصده أي رد العداون عن حرية الاعتقاد والضمير، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين والتدين كله لله. رد العداون عن حرية الوطن، الذي بدون حريته لا يمكن أن يكون هناك مواطن حر، والذي بدون حريته لا يمكن أن تتحقق حرية إقامة فرائض الإسلام إنه مجرد شعبة من شعب الجهاد، وهو الاستثناء لا القاعدة والضرورة التي تقدر بقدرها وهو الفريضة المكرورة وليس الجبلة التي تقود إلى التقدم كما زعمت فلسفات وثقافات خارج نطاق الإسلام.

١. سورة البقرة: ٨٤-٨٥.

٢. سورة البقرة: ٢٤٣-٢٤٤.

المطلب الخامس: حقيقة الإرهاب

يبين الكاتب من خلال هذا الجزء، كيف أن الإسلام برأ سائر الديانات من أن يكون العنف والإرهاب والإكراه وترويع الآمنين سبيل أي منها إلى الدعوة اليهودية أو النصرانية أو الإسلام. يعود الكاتب إلى آيات سورة الأنفال، مبيناً أن القرآن دعا المسلمين لإعداد العدة لردع وتخويف المخادعين والغادرين، وهو تخويف يثمر إعداد القوة الرادعة، أي أنه العنف الذي ينفي العنف والإكراه والقتال. فهو كالعقوبة الرادعة إعلانها يمنع ويردع عن الجريمة، ومن ثم يمنع تطبيقها، ولا علاقة لهذا الإرهاب بترويع الآمنين وإكراههم بالعنف والقتال. والإكراه الذي هو معنى مصطلح (الإرهاب - Terror) في الفكر الغربي^(١).

وهنا يكون الإرهاب بمعنى التخويف الرادع للأعداء، وهو الضمان لتحقيق الأمن والسلام للجميع. ثم يستعرض الكاتب الاتهامات التي وجهت للإسلام ودعوته للعنف والإرهاب، من طرف كل من القس بات روبرتسون مؤسس جماعة "التحالف السياسي المسيحي" والكاتب برنارد لويس ومارغريت تاتشر، والتي رد عليها الكاتب بضرب أمثلة في معاناة الشعوب التي مورس عليها الاستعمار في كل من العراق والشيشان وفلسطين وبورما. والحروب الصليبية ومئات الشركات العابرة للقارات، التي تنهب ثروات الشعوب المسلمة، كذلك الاضطهاد والتمييز العنصري الذي يعاني منه المسلمين في الدول الغربية بعد هجمات ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١.

ثم ينتقل المفكر محمد عمارة إلى ما سماه التراث اليهودي (فهو يرى أن ما يدعو إليه اليهود اليوم ليس شريعة موسى عليه السلام. ما جاء فيه من دعوة لقتل الشعوب دون رحمة، وبعض الفتاوى الحاخامية التي تضع هذا التراث الدموي في الممارسة والتطبيق على أرض فلسطين وغيرها من الأمثلة التي استفاض فيها الكاتب^(٢)). في الأخير، يقول الدكتور أن المسلمين لو

١. انظر: د. محمد عمارة، "السماحة الإسلامية.. حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب" ، ص ٦٩.

٢. محمد عمارة، "السماحة الإسلامية.. حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب" ، ص ٧٣-٧٧.

أعدوا العدة التي أمرهم الله بها واتخذوا أسباب القوة والعزّة فأخافوا الطامعين في الأوطان والثروات لما حدث هذا الإرهاب الذي أصبحوا أول ضحاياه وأول المتهمين به^(١).

أهم النتائج:

بعد انتهاءي من هذا البحث المتواضع الذي تتضح فيه أهمية الموضوع وقد بذلت فيه جميع جهودي التي يمكنني بذلها لإتمامه لهذا المستوى، من خلال تطرقى لموضوع منهجية الدكتور محمد عمارة رحمة الله في تناول مشاكل الدعوة، حاولت أن أستخلص جملة من النتائج تمثلت في:

١. المصدر السابق: ص ٧٨.

١. محمد عمارة هو مفكر إسلامي ومؤلف ومحقق وداع. عضواً مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف. حفظ القرآن الكريم وهو صغير ودرس مرحلة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية وكذلك درس مرحلتي الماجستير والدكتوراه في العلوم الإسلامية. تحصل على العديد من الجوائز والشهادات التقديرية وتميز فكره ب الدفاع عن وحدة الأمة وتدعيم شريعتها. ينتمي إلى المدارس الوسطية. ولقد بينما ميزاته الفكرية ومنهجيته في تناول القضايا العلمية المعاصرة.
٢. قام الدكتور محمد عمارة بجهود كثيرة وكبيرة في كل المجالات الفكرية والدعوية وقام بالرد على المناصرين والمحرفين من خلال مؤلفاته وتصدى لبعض الشبهات والإفتراءات والحرف والبدع والمقولات الباطلة للمخالفين والمعاندين.
٣. ذكر الدكتور محمد عمارة في مؤلفاته بعض الألفاظ والمصطلحات التي تطرق إلى شرحها ذات الدلالة اللغوية والإصطلاحية من الناحية الفكرية والعقدية ذكر منها: التنصير والتبيشير والعلمانية، والماركسية، والحداثية والتنوير والعقلانية والتغريب والتعددية والتجدد وغيرها من المواضيع والمواضيع المهمة في ساحة الدعوة والثقافة الإسلامية وتذكر الفقيد محمد عمارة عدة فوارق جوهرية التي تخص الحضارتين الإسلامية والغربية التي تطرقنا لذكر أهمها مثل: الأصولية بين الغرب والإسلام، التأويل بين الغرب والإسلام، المرأة بين الغرب والإسلام وأن هوية الحضارات سوف تكون ذات أهمية بالغة في المستقبل.
٤. حاول الدكتور محمد عمارة أن يقدم للأمة مشروعًا حضاريًّا نهضويًّا متكاملًا كحل للخروج من مرحلة التخلف والتبعية والدفاع عن الإسلام والمسلمين ضد هجمات الغرب والمستعمرات.
٥. جمع وحقق ودرس الأعمال الكاملة لأبرز أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة أمثال السيد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهما، وأحيا تراث علماء الأمة الإسلامية.
٦. إتجه محمد عمارة إلى إحياء تراث المعتزلة، وقد وجد في الفكر الاعتزالي ما يدعو إلى تأسيس فلسفة إسلامية وفكر عقلاني مؤمن جدير بالتدبر وذلك ضمن ما أحياناً

تراث أبرز تيارات التجديد والإصلاح في حركة اليقظة الإسلامية في العصر الحديث، مثل مدرسة الأفغاني ومحمد عبده العصرانية.

٧. تمحورت معظم كتب ودراسات الدكتور محمد عمارة حول الدفاع عن الإسلام ورد الشبهات المثارة حوله، حيث شن ثورة على الأفكار العلمانية والتغريبية، وعلى أفكار الغلو والجمود. وقد فرق عمارة بين العلمانية الغربية والعلمية الإسلامية، فلعلمانية في نظره نموذج مركزي حدودي يعتمد على العقل ويرفض السماء والتشريع الإلهي ويقصي الآخر، أما العالمية الإسلامية فهي ترفض الإنفراد بالعالم وتهتم بالتدافع والتسابق من أجل الرقي والتقدم الذي يحقق التعددية الحضارية رافضاً للفردية والمركزية والانغلاق على الذات أو إلغاء الآخر حضارياً.

٨. ينتمي محمد عمارة إلى تيار التجديد في موقفه من الوافد، هذا التيار الذي يدعو إلى المحافظة على التراث والأخذ بما هو نافع ومفيد من الوافد، وبما يحفظ للأمة هويتها وإستقلالها الحضاري.

٩. ميز محمد عمارة برؤية نقدية بين التنوير الغربي الذي يحل العقل والعلم والفلسفة محل الله والوحى والدين، والتنوير الإسلامي الذي ينطلق بإتجاه المطلق يؤمن بالدين والوحى، ويعتبر الوحي مصدراً من مصادر المعرفة، وهذا الأخير هو الذي يدعو إليه محمد عمارة ويتبناه، ويؤكد على أن التنوير الحقيقى بما يحافظ على الموروث الإسلامي ويحافظ على هوية الأمة.

١٠. تناول الدكتور محمد عمارة مشاكل الدعوة والأمة وتبني مشروعه النهضوي على ثلاث مركبات أساسية، أولها الوسطية الإسلامية التي ينتمي ويدعو إليها، فهي بمثابة المنظار الذي يمكن من خلاله رؤية الإسلام الحقيقى، ويسماها الوسطية الجامعية التي تجمع عناصر الحق والعدل من القطبين المتقابلين، وتكون موقفاً ثالثاً متميزاً عن الأول ومتميزة عن الثاني، ولكنه ليس مغايراً تماماً لكلا القطبين. وثاني هذه الأصول هي العقلانية المؤمنة التي تألفت في المشروع النهضوي لليقظة الإسلامية، وهو يرى أن العقلانية المؤمنة نابعة من الدين ومهتمها الدفاع عن الإيمان الإسلامي بالمنطق العقلاني الداعم للوحى والنقل الإسلامي. أما ثالث هذه المركبات هو

الإيمان بالتجددية، حيث تناول محمد عمارة هذه القضية وفرق بينها وبين الواحدية التي لا أجزاء لها، وأن التعدد تنوع بخصائص معينة ينبع من وحدة جامعة وبدون الوحدة الجامحة لا يتصور تنوع وخصوصية وتميز ومن ثم تعددية، فلإسلام ينظر إلى قضية التجددية فيراها قانون التنوع الإسلامي في إطار الوحدة الإسلامية. إذن فالتجددية الأصل والقاعدة والقانون، والعالم يجب أن يكون منتدى حضارات لا حضارة واحدة تصارع هي وتصرع غيرها.

وبهذا أكون قد جئت بنهاية البحث رغم أنني أعلم بأنني قد قصرت أمام شخصية عظيمة كانت ولا زالت صدأ مستمرا وقد حاولت إيصال المعلومات صغيرة أو كبيرة على هذه الشخصية وعلى جوانبها العلمية والدعوية الخاصة ولاسيما في تناوله مشاكل الدعوة وأشكر الله العلي القدير وأرجوه وقد وفقني ولو بالقليل في إعطاء الصورة الواضحة على هذه الداعية الكبير وفكرة المنير والمشاركة في حل أزمة الأمة وإبراز جوانب هذه المهمة.

أهم التوصيات:

وبعد هذه الجولة العلمية السريعة حول واحد من أعلام أمتنا الدكتور محمد عمارة رحمه الله، أنوه إلى ضرورة الأخذ بهذه التوصيات وقد قسمتها إلى قسمين حسب تفكيري وترجحني وهي أن الأربع الأوائل تتركز وتتمحور حول شخصية الفقيد الدكتور محمد عمارة رحمه الله وفيما بعده توصيات عامة للمنشغلين في ساحة الدعوة والمهتمين بها:

١. ضرورة الاهتمام بكتابات الدكتور محمد عمارة على المستوى العلمي والأكاديمي تدريساً وتحقيقاً.

٢. يعتبر الدكتور محمد عمارة نموذجاً معاصرًا يمكن الاستعانة بدراساته في مواجهة الحملات العلمانية والحداثية خصوصاً كونه عارف بالعمق الفكري للحضارة ومتبني له في حلقات سابقة من حياته، ثم ناقد له.

٣. عقد مؤتمرات وندوات علمية متخصصة تهتم بنقد الدكتور محمد عمارة للحضارة الغربية في قضايا الخلاف الحضاري المهمة.

٤. يجب أن لا يبق فكر محمد عمارة حبيس المكتبات والدراسات الأكاديمية دون تفعيل هذه الالسهامات في الحركة الحضارية للمجتمعات الإسلامية.

٥. ضرورة تحديد الوسائل المشروعة والمجدية، واختيار الموقع الفاعل المؤثر وفق الإمكانيات المتاحة والظروف المحيطة، مع عدم الإخلال بالتوازن، وضبط النسب، والاحتفاظ بالرؤية الشمولية للإسلام.

٦. الانتقال بالعمل الدعوي من مرحلة المبادئ المبنية على المواقف، والخطب، والدروس، إلى مرحلة البرامج الواضحة، والخطط المرحلية المدرسة، والحسابات الدقيقة للواقع المعاصر، والظروف المحيطة، والإمكانيات المتاحة.

٧. تصويب المسار، وتجديد عملية الإنماء لهذا الدين، ضمن تجديد وسائل العمل الإسلامي وطريقه وأساليبه وهياكله وميادينه، التي تحولت عند البعض إلى دين يحرم تجاوزه، ذلك أن الاستمرار عليها إنما هو حرب بغير معركة، وانتصار بغير عدو.

٨. ضرورة المراجعة وإعادة النظر وفق المستجدات على الساحة المحلية والإسلامية والدولية، ومتابعة مجريات الأحداث العالمية، وتحليلها وفهم أبعادها؛ لتحسين التعامل معها.

٩. العمل على جمع الشمل ووحدة الصف بين الجهات المختلفة العاملة في مجال العمل الدعوي، وفتح باب الحوار والمفاهمة بينها، وتبادل الخبرات والاستفادة من الطاقات في عمل جماعي مشترك.

١٠. نبذ كل أشكال التحرب والتقوّع والانزاع، والاعتقاد بأن العمل الإسلامي حكر على جماعة بعينها.

١١. الالتزام بالأدب الإسلامي في الحوار والخلاف في وجهات النظر، والجدال بالتي هي أحسن، والدعوة إلى الله بالحكمة والموهبة الحسنة.

١٢. العمل الجاد على تكوين جيل من الدعاة والإعلاميين المسلمين، المؤهلين شرعاً وتقنياً وشخصياً، القادرين على التعامل مع أبعاد هذا الواقع الخطير، الذي يلعب فيه الإعلام الدور الأكبر والأخطر في التوجيه والتغيير وتحديد المسارات.

١٣. التحرك البصير بين جميع شرائح المجتمع، مع التركيز على الشرائح والذين يمتلكون المعرفة المتميزة واستقطابها، ومحاولة تحطيم الحاجز القائم والمتivoة بين العمل الإسلامي وعامة أفراد المجتمع.

١٤. رصد كل الفرص المتاحة المتوقعة للعمل الدعوي، والحلول الممكنة من خلال هذه الفرص.

١٥. تحديد كل التحديات والصعوبات الحاضرة المتوقعة مستقبلاً، والحلول المقترحة لها وإعداد كوادر في جميع المجالات والتخصصات يمتلكون كفاءة عالية في تخصصهم، وهذا مهم جداً إذا أردنا الإعداد الجيد لمستقبل أكثر فاعلية.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	طرف الآية	الرقم
سورة البقرة			
٣٣	١١١	﴿قُلْ هَاٰوْ بُرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ﴾	١
٦٧	١٤٢	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا﴾	٢
١٠٠	١٧٦	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ أُخْتَلَفُوا فِي الْكِتَبِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾	٣
- ١٠٢ - ١٠٦ - ١١٤ ١١٥	٢١٣	﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ الْنَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِّرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾	٤
١٠٢	٢٥٣	﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أُفْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أُبَيِّنَتْ وَلَكِنْ أُخْتَلَفُوا فِيهِمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾	٥
٢٥٢	٢٥٦	﴿لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ﴾	٦
١٠٩	٢٨٦	﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِيْنَا أَوْ أَخْطَلْنَا﴾	٧

١٢٢	١٤٣	<p>﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْتَكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ</p> <p>﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾</p>	٨
١٧٦	٢٥٧	<p>﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾</p>	٩
١٨٥	١٧٦	<p>﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ احْتَلَفُوا فِي</p> <p>الْكِتَبِ لَفِي شَقَاقٍ بَعِيدٍ﴾</p>	١٠
٢٢٣	٣٠	<p>﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكُنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُ</p> <p>فُؤُبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِسَاءِهِمْ تَرْبُصُ أَرْبَعَةُ</p> <p>أَشْهُرٍ إِنْ فَاءُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾</p>	١١
- ٢٣٤	٢٢٨	<p>﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ</p>	
٢٣٨		<p>عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾</p>	١٢
٢٥٥	٨٤-٨٥	<p>﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيشَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ</p> <p>أَنفُسَكُمْ مِن دِيَرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ شَهِدُونَ ﴿٨٥﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ</p> <p>هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فِرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَرِهِمْ</p>	١٣

		تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِلَامِ وَالْعُدُوْنَ ﴿٢﴾	
٢٥٥		﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُؤْمِنُو ثُمَّ أَحْيَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْمَلُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	١٤
سورة آل عمران			
٩	١٨	﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكِيَّةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَالِمًا بِالْقِسْطِ﴾	١
-١٠٠	١٠٥	﴿وَلَا تَكُونُ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاحْتَالُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنُتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	٢
-١٠٥			
-١٠٧			
-١١٠			
١١١			
١٠٤	١٠٤	﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٣

١٠٦	١٠٣	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا﴾	٥
-١٦٥ ٢٢٧	١٥٩	﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾	٦
٢٤٥	٤٥	﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِئُمْ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكُ بِكَلْمَةٍ مِنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرِيمَ وَجِيهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾	٧

سورة النساء

٦٢ - ٣١	٩٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمٍ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَا كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾	١
١١٧	٨٢ - ٨ ٣	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أُخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْرِ أَوِ الْحَوْفِ أَذَّاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلْمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَلَا تَبَعَّدُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٢

١٤٠	٦٥	<p>﴿فَلَا وَرِيلَكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحِدُّوْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوْا تَسْلِيمًا﴾</p>	٣
-١٦٥ -١٩٤ ٢٢٧	٥٩	<p>﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْكَرُوا﴾</p>	٤
١٦٥	٨٣	<p>﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنْ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَّاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلَّهُمْ يَسْتَنِطُونَهُ وَمِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَا تَعْتَمِدُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قِيلَالًا﴾</p>	٥
١٩٤	٥٩	<p>﴿فَإِنْ تَنَزَّعُمْ فِي شَيْءٍ فَرْدُوْهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَأَيْمَوْرُ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحَسَنُ تَأْوِيلًا﴾</p>	٦
٢٣٣	١	<p>﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَقْسِيسٍ وَجَهَنَّمَ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا بِحَالًا كَثِيرًا وَنَسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾</p>	٧

-٢٣٦	١١	﴿يُوصِّيْكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَنِ﴾	٨
٢٣٧	١٧١	﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرِيمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَقْرَبُهَا إِلَى مَرِيمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾	٩
٢٤٦	٩٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمٍ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فَيْمَا كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا وَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾	١٠
٢٥٠	١٣٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا مَأْمُوا كُنُوفاً قَوَّمِينَ بِالْقَسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ أُولَئِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعَرِّضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيِّرًا﴾	١١
٢٥٥	٦٦	﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ أُخْرُجُوكُمْ دِيرَكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوَعِّظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَشْيِتاً﴾	١٢

سورة المائدة

١	٤٨	﴿...لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ...﴾	-١٨
٢	٦٧	﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾	-١٥٢
٣	٢	﴿وَلَا يَجِرْ مِنْكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوِّنَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾	٢١٦- ٢٤٩
٤	٦٧	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾	٢٥
٥	٦٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	٧٩
		﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ الْتَّأْسِ عَدَاؤَهُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَلْيَهُودَ﴾	٨٠

		<p>وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا —٨٢— الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرَنَا ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيَّ الرَّسُولُ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ</p>	٦
١٦٢	١٣٦	<p>﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَمِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْزَغَهُمْ وَهَذَا لِشَرِكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشَرِكَائِهِمْ فَلَا يَصْلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصْلُ إِلَى شُرِكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾</p>	٧
-١٤١ ٢١٥	٣	<p>﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينَكُمْ﴾</p>	٨
١٧٦	١٥	<p>﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنْ رَبِّ اللَّهِ نُورٌ وَكَتَبْ مُبِينٌ﴾</p>	٩
١٩٣	٥٠	<p>﴿أَفَحَقُّهُمُ الْجِهَنَّمَ يَعْمَلُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقَنُونَ﴾</p>	١٠

١١٥- ٢٥٠	٨	<p>﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا فَوَّادِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجِدُونَ مَنْكُمْ شَفَاعًا قَوْمٌ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾</p>	١١
٢٥٢	٩٩	<p>﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبَدُّونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾</p>	١٢
سورة الأنعام			
٣٣	١٤٨	<p>﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظُّنُنَ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ <small>١٤٨</small></p>	١
١٦٤	١٣٦	<p>﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَّا مِنَ الْحَرَثِ وَالْأَنْعَمِ نَصِيبًا فَقَاتُوا هَذَا لِلَّهِ يُرَعِّمُهُمْ وَهَذَا لِشَرِكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشَرِكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُّ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُّ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾</p>	٢
١٦ ٥	١٦٢- ١٦٣	<p>﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِذَلِكَ أُمِرْتُ وَإِنَّمَا أَوْلُ الْمُسَلِّمِينَ﴾</p>	٣

١٦	٦		
١٨٨	١٦٥	<p>﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِيفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ</p> <p>دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوُكُمْ فِي مَا أَهْلَكَكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ وَلَغَافِرٌ﴾</p> <p>رَحِيمٌ</p>	٤
٢١٥	٣٨	<p>﴿مَا فَرَضَنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾</p>	٥
٢٢٨	٣٨	<p>﴿وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَلَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحِيهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَالِكُمْ</p> <p>مَا فَرَضَنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحَشَّرُونَ﴾</p>	٦
٢٥٠	١٥٢	<p>﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَأَعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا</p> <p>ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾</p>	٧
٢٥٢	١٠٧	<p>﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنَّ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾</p>	٨
سورة الأعراف			
٢٢	٥٥	<p>﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَصْرُعًا وَحُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ﴾</p>	١
١٠٤	٤٥	<p>﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عَوْجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ</p> <p>كَفَرُونَ﴾</p>	٢

١١٩	١٤٢	﴿أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَبْغِ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ...﴾	٣
١٦٥	٥٤	﴿أَلَا لَهُ الْخَيْرُ وَالْأَمْرُ قَبْرَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٤
سورة الأنفال			
٢١٣	١٧	﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَا كَنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ﴾	١
سورة التوبة			
٢٣٤	١٧	<p>﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الْرِّكَعَةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأُولَئِكَ سَيِّدُهُمُ الْلَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾</p>	١
سورة يونس			
٢٢	١٠	<p>﴿دَعُونَاهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخْرُ دَعَوَنَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾</p>	١
١١٤	٢٥	<p>﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ الْسَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾</p>	٢

١٦٥	٥٣	<p>﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدْبِرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾</p>	٣
١٨٠	١١٨	<p>﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَحْدَةً وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ﴾</p>	١
٤٨	٦١	<p>﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرْكُمْ فِيهَا﴾</p>	٢
سورة النحل			
١٤٣	٨٩	<p>﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبَيَّنَاهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾</p>	١

سورة يوسف

و	١٠٨	<p>﴿قُلْ هَذِهِ سَيِّلَةٌ أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمِنْ أَتَّبَعْنِي﴾</p>	١
سورة الإسراء			
٦٦	٢٦	<p>﴿وَءَاتَيْنَا ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمُسْكِينَ وَأَبْنَانَ السَّيِّلِ وَلَا تُبَدِّرْ تَبَذِّرًا﴾</p>	١

٦٦	٢٩	<p>﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَعْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾</p>	٢
١٨٥	١٠٧	<p>﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلُ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾</p>	٣
سورة طه			
١٦٥	-٤٩ ٥٠	<p>﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسِي ﴿٦٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَنَا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَهُوَ هَدَى﴾</p>	١
٢١٨	١١٣	<p>﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾</p>	٢
سورة الأنبياء			
١٠٨	-٧٨ ٧٩	<p>﴿وَدَاؤِدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَهِيدِينَ﴾</p>	١
سورة المومنوون			
١٠٠	٥٣	<p>﴿فَتَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُورًا كُلُّ حَزِيبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾</p>	١
سورة النور			

١١١	٦٣	<p>﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لَوْاً فَلَيَحْذِرِ الَّذِينَ يُحَاذِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾</p>	١
-----	----	--	---

سورة الفرقان

٢١٥	٣٢	<p>﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَحْدَةً كَذَلِكَ إِنْتَشَرَتْ بِهِ فُؤَادُكَ وَرَتَنَاهُ تَرَتِيلًا﴾</p>	١
٢٥	٥٢	<p>﴿وَجَهَدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾</p>	٢
٦٦	٦٧	<p>﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوْمًا﴾</p>	٣

سورة الروم

٢٣٣	٢١	<p>﴿وَمِنْ إِيمَانِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوْدَةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾</p>	١
- ١١٢ ٢٤٩ - ٧٨	٢٢	<p>﴿وَمِنْ إِيمَانِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخُلُقُ الْسِّنَّاتِ﴾</p>	٢

وَأَوْنِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿١﴾

سورة الأحزاب

٢٣٤

٣٥

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾

١

١٥٧

٦٢

﴿سُتُّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ حَلَوْا مِنْ قَبْلٍ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾

٢

سورة الزمر

٢٣٣

٦

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحْدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَمِ ثَمَنِيَةً أَزْفَجَ يَخْلُفُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ حَلْقًا مِنْ بَعْدِ حَلْقٍ فِي ظُلْمَتِ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ رُصْرُوفَكُمْ﴾

١

٩

٩

﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَدَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

٢

١٦٤

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

٣

		٣٨	<p>لَيَقُولُنَّ اللَّهُ أَعُلُّ أَفَرَءَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرِّ هَلْ هُنَّ كَانِشَفُتُ ضُرُّهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكُتُ رَحْمَتِهِ أَعْلُّ حَسِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾</p>	
--	--	----	--	--

سورة الشوري				
٨٠	١٣	١	﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الْدِينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَّنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الْدِينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾	
١٦٥	٣٨	٢	﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾	
سورة الجاثية				
٢١٦	١٨	١	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنْ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾	

سورة فاطر

٩	٢٨	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مَنْ عَبَادَهُ الْعَلَمَقُورُ ﴾	١
---	----	--	---

١٥٧	٤٣	﴿فَإِنْ تَحْمِدْ لِسُتْتِ اللَّهِ تَبَدِّي لَكَ وَإِنْ تَحْمِدْ لِسُتْتِ اللَّهِ تَحْمِي لَكَ﴾	٢
-----	----	--	---

سورة ص

١٠٩	٢٦	﴿يَدْعَوْهُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاهِي فَيُضْلِلَكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضْلِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾	١
-----	----	--	---

سورة فصلت

٣٣	٢٦	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾	١
١٠٣	٣٣	﴿وَمَنْ أَحَسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	٢

سورة الاحقاف

٢٥	٣١	<p>﴿يَقُولَنَا أَجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَإِمْنُوا بِهِ يَغْفِرُ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُحِرِّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾</p>	١
----	----	--	---

سورة محمد			
١٠٤	٣٣	<p>﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ اللَّهُمَّ أَعْمَلَهُمْ﴾</p>	١

سورة ق			
٧١	٣٧	<p>﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾</p>	١

سورة الحجرات			
٢٢٣	٩	<p>﴿وَإِنْ طَالِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَأْتُوْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا أُلَّا تَبْغِي</p>	١

		<p>حَتَّىٰ نَبَأَهُ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَلَمْ تَفَعَّلْ فَأَصْلِيْهُو بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴿</p>	
٢٤٩-٧٨	١٣	<p>﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَّأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْدِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيهِمُ الْحِلْلُ﴾</p>	٤
سورة المجادلة			
	٢١٣	<p>﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾</p>	١
سورة الحشر			
١٠٨	٥	<p>﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فِيإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِيَ الْفَسِيقِينَ﴾</p>	١
١٤١	٧	<p>﴿وَمَا آتَيْتُمُ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَأُنْتَهُوا وَأَنْقُوا اللَّهُ ۝ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾</p>	٢
سورة المدثر			

٢٥	٢	﴿فُرُّ فَانِدْرُ﴾	١
سورة الكافرون			
٢٥٢	٦	﴿لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ﴾	١

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر	الرقم
٢١	«إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبضُ الْعِلْمَ اِنْتَزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعَبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُقِّرِّ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جَهَالًا فَسُئُلُوا فَأَفْتَوُا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضُلُّوا وَأَضْلُّوا»	١
٣٣	«مَا خَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ فِي	٢

	الإسلام إلا اختار أيسرها مالم يكن إثناً كأن أبعد الناس منه»	
٥٤	«أكثروا من قول لا إله إلا الله»	٣
٥٥	«يبعث الله بهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»	٤
٦١	«ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وبسبعين وإن هذه الأمة ستفترق على ثلات وبسبعين ثنتان وبسبعين في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»	٥
٦٧	«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا»	٦
٨٥	«فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن بعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»	٧
٩١	«ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وبسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلات وبسبعين، ثنتان وبسبعين في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»	٨
١٠٢	«خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ»	٩

		وشر الأمور محدثها وكل بدعة ضلاله»	
١٠٤		<p>«تعرض الفتنة على القلوب كالحصير عوداً عوداً فـأي قلب أشربها نـكت فيـه نـكتة سـوداء، وأـي قـلب أـنـكـرـهـاـ</p> <p>نـكتـتـ فيـهـ نـكتـةـ بـيـضـاءـ حـتـىـ تـصـيـرـ عـلـىـ قـلـبـيـنـ،ـ عـلـىـ</p> <p>أـيـضـ مـثـلـ الصـفـاـ،ـ فـلـاـ تـضـرـهـ فـتـنـةـ مـادـامـتـ السـمـوـاتـ</p> <p>وـالـأـرـضـ،ـ وـالـآـخـرـ أـسـوـدـ مـرـبـادـ كـالـكـوـزـ مـجـخـيـاـ لـاـيـعـرـفـ</p> <p>مـعـرـوـفـةـ وـلـاـيـنـكـرـ مـنـكـراـ،ـ إـلـاـ مـاـ أـشـرـبـهـ مـنـ هـوـاهـ»ـ</p>	١٠
١٧٣		<p>«كـلـاـكـمـاـ مـحـسـنـ،ـ وـلـاـ تـخـتـلـفـوـ فـإـنـ مـنـ كـانـ قـبـلـكـمـ</p> <p>إـخـتـلـفـوـ فـهـلـكـواـ»ـ</p>	١١
١٩١		<p>«جـعـلـ رـزـقـيـ تـحـتـ ظـلـ رـمـحـيـ وـجـعـلـ الذـلـةـ وـالـصـغـارـ عـلـىـ</p> <p>مـنـ خـالـفـ أـمـرـيـ»ـ</p>	١٢
٢٠٠		«خـالـفـ الـمـشـرـكـينـ وـفـرـوـاـ اللـحـيـ وـأـحـفـوـ الشـوـارـبـ»ـ	١٢
٢٠٥		<p>«مـنـ اـجـتـهـدـ بـرـأـيـهـ فـأـصـابـ فـلـهـ أـجـرـانـ،ـ وـمـنـ أـخـطـأـ فـلـهـ</p> <p>أـجـرـ وـاحـدـ»ـ</p>	١٤
٢١٣		«خـيـرـكـمـ قـرـنـيـ،ـ ثـمـ الـدـيـنـ يـلـوـهـمـ،ـ ثـمـ الـدـيـنـ يـلـوـهـمـ»ـ	١٥
٢٤١		«رـبـ مـبـلـغـ أـوـعـيـ مـنـ سـامـعـ»ـ	١٦

٢٥٦	«من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»	١١
٢٧١	«من رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شيئاً، فماته، فميته جاهلية»	١١
٢٨٥	«كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»	١٠
٢٩٣	«لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شيئاً بشير وذراعاً بذراع فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك؟»	٢٠

١١٧	أحمد بن فارس	١
٤٣	إبن قيم الجوزية	٢
٨٥	ابو الأعلى المودودي	٣
١٢٩	ابن الهمام الحنفي	٤
٢٠١	ابن حجر العسقلاني	٥
١٨٤	حذيفة بن اليمان العيسى	٦
٩٣	أبو الحسن علي ابن بطال	٧
١١٢	أحمد عبدالحليم ابن تيمية	٨
٢٠٨	جاير بن حيان	٩
١٧	الشيخ حسن البنا	١٠
٢٨	محمد الطاهر بن عاشور	١١
١١٧	الوليد بن المغيرة	١٢
١٥٠	عبدالحميد ابن باديس	١٣
١٢٢	نصر حامد أبو زيد	١٤
٢٩	عبد الكريم سروش	١٥
٥٤	جمال الدين الأفغاني	١٦

١٩٤	محمد بن محمد الغزالى الطوسي	١٧
١١٧	محمد بن أحمد بن رشد الأندلسى	١٨
٢٧	مالك بن نبى الجزائرى	١٩
١٤٢	محمد عبده بن حسن خير الله،	٢٠
١١٤	كارل ماركس	٢١
٨٣	الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى	٢٢
٩٧	تومسا هوبز	٢٣
٢٠٤	يوحنا لوك	٢٤
٢١٧	جوتفريد وليام لاينتس	٢٥
٥٨	جان جاك روسو	٢٦
٩٣	أوجست كونت	٢٧
١٠٣	سيد قطب بن إبراهيم	٢٨
١١٢	محمد قطب بن إبراهيم	٢٩
٤٥	محمد سعيد العشماوى	٣٠
١٧٩	شارل فورييه	٣١
٨٣	سيمون-إرنستين	٣٢

١. فهرس المصادر والمراجع:

٢. ابن منظور احمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، ١٢ / ٣٤٥، ط١، دار صادر: بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.
٣. ابن حميد صالح بن عبدالله، معلم في منهج الدعوة، ص٩١، دار الأندلس الخضراء ١٩٩٩م.
٤. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٢٧٩، دار الحديث بالقاهرة، ٢٠٠٨م.
٥. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج١، ص١٧٦، دار الكتب العلمية، ١٤١٠م.
٦. أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، أساس البلاغة، ١٨٩ / ١، دار الفكر، ط١٩٧٩هـ ١٣٩٩م.
٧. أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الجنبي، الأحاديث المختارة، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ٩١/٨، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ.
٨. الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ٨٦ / ١، مكتبة لبنان، سنة النشر: ١٩٨٦.
٩. ابن منظور احمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، ١٤ / ٢٥٩-٢٥٨، ط١، دار صادر: بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.
١٠. الروي محمد عبد الرحمن، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ص: ١١-١٢، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م.
١١. أبو السعود عبد رب النبي علي، التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، ص: ١٩، دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
١٢. أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع فتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٥٧-١٥٨ / ١٥، مكتبة ابن تيمية، ط٤، ١٤٠٨هـ.
١٣. البيانوني أبوالفتح محمد، المدخل إلى علم الدعوة، ص١٧، مؤسسة الرسالة العالمية، ٢٠١٠م.
١٤. الخطيب محمد نمر، مرشد الدعوة، ص: ٢٤، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
١٥. الوعي توفيق، الدعوة إلى الله "الرسالة - الهدف" ، ص: ١٩، مكتبة الفلاح، الكويت ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
١٦. الحبيب محمد بن سيدى، الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، ص: ٢٧، دار الوفاء، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ.
١٧. المرشد علي صالح، مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، ص: ٢١، مكتبة البينة، دمنهور، مصر ط١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
١٨. الشاذلي عبد الله يوسف، الدعوة والإنسان، ص: ٣٩، المكتبة القومية الحديثة، طنطا ط١، ١٤٢٧هـ.
١٩. الخضر حسين محمد، الدعوة إلى الإصلاح، ص: ١٧، المطبعة السلفية، القاهرة، ط١، ١٣٤٦هـ.
٢٠. المغذوي عبدالرحيم، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، ص: ٤٩، دار الحضارة ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٣١هـ.

٢١. العمار حمد ناصر عبد الرحمن، نصوص الدعوة في القرآن الكريم، ص: ١٨ ، دار إشبيلية، الرياض ، ط٢، ٢٠٠٢ هـ ١٤٢٢ م.
٢٢. النويري، إبراهيم، أهم التحديات المعاصرة في طريق الدعوة الإسلامية، مجلة الجامعة الأسمورية، عدد ٢٠، ١١ سنة.
٢٣. زكريا داود، الأمة الإسلامية والتحديات المعاصرة، مقال منشور على موقع www.awihdah.com. تاريخ ٢٦ أبريل ٢٠١٠.
٢٤. محمد علي أبو هندي، مشروع النهضة بين الإسلام والعلمانية، دراسة في فكر محمد عمارة ومحمد عابد الجابري (القاهرة، مصر: دار السلام المطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ١٤٣١) ص ٥١-٥٠.
٢٥. يحيى رضا جاد، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة (القاهرة، مصر: مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠١٨)، ص ٤٧٦-٤٧٨.
٢٦. محمد عمارة، نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام (الجيزة - مصر، ١٩٩٧) ص ٢١٩.
٢٧. يحيى، رضا جاد المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة (القاهرة، مصر : مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠١٨)، ٤٧٤، ٤٩٤، ٤٩٣.
٢٨. محمد علي أبو هندي مشروع النهضة بين الإسلام والعلمانية، دراسة في فكر محمد عمارة ومحمد عابد الجابري (القاهرة، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ١٤٣١) ٥٢-٥٣.
٢٩. عبد الرزاق عيسى، محمد عمارة داعية الإحياء والتجديد (دمشق: دار القلم، د.ت)، ١٥.
٣٠. عبد العجار الرفاعي، الاتجاه الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد (بيروت، لبنان: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢)، ١٦٠.
٣١. محمد عمارة، الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري (القاهرة، مصر: دار الشروق ١٩٩٧)؛ محمد عمارة، مسيرة قلم (القاهرة، مصر: دار المقادير للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٦)، ٢٦-٢٧.
٣٢. محمد عمارة، الأصولية بين الغرب والإسلام القاهرة، مصر: دار الشروق د.ت ص ٥، ومحمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية (القاهرة، مصر: دار الشروق ١٩٩٣) ص ٦.
٣٣. محمد عمارة، إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات (القاهرة، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٩)، ص ٤٩، ٤٩، ومحمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام القاهرة، مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٤، ٢٢، ص ٢٢، ٢٠٠٤، وعيسى، محمد عمارة داعية الإحياء والتجديد، ص ١٢١.
٣٤. عيسى عبد الرزاق، محمد عمارة داعية الإحياء والتجديد، ١٥٦-١٥٧.
٣٥. محمد عمارة، مسيرة قلم (القاهرة، مصر: دار المقادير للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠١٦)، ٣٠-٣١.
٣٦. محمد عمارة، مفهوم الحرية في مذاهب الإسلاميين (القاهرة، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٩)، ١٦-١٨.
٣٧. محمد عمارة، القدس بين اليهودية والإسلام القاهرة، مصر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩)، ٣، ٢٤.
٣٨. محمد عمارة، الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ (القاهرة، مصر: دار الرشاد ١٩٩٧)، ٣٩-٣٣.

٣٩. محمد عمارة، الإسلام في مواجهة التحديات، ١٦٦ معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ص: ١٦٢
- ١٦٦.
٤. سليمان بن صالح الخراشي، محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة، دراسة إسلامية سلفية لكتاب ومقالات الدكتور محمد عمارة، دار الجواب، (١٤١٣) ٤٢٣.
٤. محمد عمارة، الإسلام والعروبة (القاهرة، مصر: دار الشروق، ١٩٨٨)، ٨٣-٨٤.
٤. عبد الحميد عمر عبد الحميد عبد الواحد، "الحاكمية في ظلال القرآن" (جامعة النجاح الوطنية - كلية الدراسات العليا - فلسطين، ٢٠٠٤). عماد الدين شاهين، المعالم لمنهج الإسلامي للمؤلف محمد عمارة، الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقا) ١٧٤-١٧١/١ (١٩٩٥).
٤. محمد بن محمود مصطفى تموس، محمد عمارة والرواد (دار فراس للنشر والتوزيع، د.ت)، ٢٣٢.
٤. ابن القيم، زاد المعاد: ٩/٣، طبعة مؤسسة الرسالة.
٤. حلقة برنامج وحي القلم: محمد عمارة .. الاعتكاف في محارب الفكر. قناة الجزيرة. تاريخ البث ٢٠١٥/٧/١٣.
٤. أبوزيد وصفي عاشور، محمد عمارة، راهب الفكر وفارس الميدان، الجزء الثاني، موقع التبيان، سبتمبر ٢٠٢٠.
٤. الدكتور محمد عمارة، الحركات الإسلامية رؤية نقدية، ص ٦٥.
٤. القرضاوي يوسف عبدالله، كتابه: الدكتور محمد عمارة الحارس اليقظ المرابط على ثغور الإسلام، ص ١٤٣.
٤. محمد عمارة مقام العقل في الإسلام، ط ١، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٨.
٤. محمد عمارة التعديلية الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية د. (ط)، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٣.
٥. محمد عمارة: هذا هو الإسلام، الإسلام والتعددية، الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، ط ١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ٢٠٠٨.٥٢
٥. محمد عمارة: هذا هو الإسلام، الإسلام والتعددية، الإختلاف والتنوع في إطار الوحدة، مصدر سابق، ص ٢٠-١٩.
٥. احمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير في غريب شرح الكبير، (لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٨٧)، ص ٤٤.
٥. محمد رواس قلعة، معجم لغة الفقهاء، ط ٣، (بيروت: دار النفائس، ٢٠١٠)، ص ١٠٠.
٥. محمد بسطامي سعيد، مفهوم تجديد الدين، ط ١، (الكويت: دار الدعوة، ١٩٨٤)، ص ١٥.
٥. علي المؤمن: الإسلام والتجديد رؤى في الفكر الإسلامي المعاصر، ط ١، بيروت دار الروضة، ٢٠٠٠، ص ١٨.
٥. حسن حنفي: التراث والتجديد موقفنا من التراث والقديم، ط ٤، (مصر لمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٢)، ص ٥٦.
٥. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج ٢، دار الكتب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٣١١.
٦. محمد عمارة، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي و التبديد الأمريكي، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٨، ٢٠٠٧، ص ٧.

٦١. محمد عمارة، الابداع الحضاري و الخصوصية الحضارية ، (القاهرة: شركة نهضة مصر، ٢٠٠٣)، ص ٥.
٦٢. محمد عمارة، الاسلام بين التنوير و التزوير، ط ٢، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠)، ص ١٨٤.
٦٣. محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد والحداثة الغربية، ط ١، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣)، ص ٧.
٦٤. محمد عمارة، هل الاسلام هو الحل لماذا وكيف، ط ٢، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨)، ص ١١.
٦٥. محمد عمارة، الخطاب الديني بين التجديد الديني و التبديد الامريكي، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٧)، ص ٧.
٦٦. محمد عمارة، من اعلام الاحياء الاسلامي ، ط ١، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٦)، ص ٣٩.
٦٧. الموسوعة الفقهية (٢٩١/٢) إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.
٦٨. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (خلف)، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ.
٦٩. الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، ص (٥٦)، مكتبة لبنان ١٩٧٨ م.
٧٠. العلواني طه جابر فياض، أدب الاختلاف، ص (٢١)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط (٣) ١٤٠٧ هـ.
٧١. ابن قيم الجوزية، إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١١٢٩)، تحقيق د. علي بن محمد الدخي، دار العاصمة، ط (٢)، ٤٩٢ هـ.
٧٢. السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٧٠/٢)، دارالسلام، ١٤٢٢-٢٠٠٢ م.
٧٣. تفسير القرآن العظيم لابن كثير رحمة الله (٢١٢/٣)، الناشر: دار طيبة سنة النشر: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٧٤. ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، (١/٢٥٠)، طبع داراكتب العلمية، ٢٠١٢ م.
٧٥. الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد، الاعتصام، ص (٣٩٥)، دار ابن عفان السعودية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٧٦. ابوالعباس أحمد عبدالحليم ابن تيمية الحراني مجموع فتاوى، ص (١٩/١١٨-١١٩)، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ.
٧٧. عمارة، محمد، الاسلام والتعددية الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، ص ٢٨ ، الطبعة الأولى ، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٧٨. شرح فتح القدير لمحمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام، (٩/٣٩٦) وحاشية ابن عابدين (٣٣١)، الطبعة (١) دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٩. عطية محمد سالم، موقف الأمة من اختلاف الأئمة، ص (١٦)، مكتبة دار التراث، ط (١) ١٤١٠ هـ.
٨٠. ابن حميد صالح بن عبد الله، أدب الخلاف، ص (٩)، مكتبة الضياء ١٤١١ هـ.
٨١. فقه الخلاف مدخل الى وحدة العمل الاسلامي ص (١٤-١٥) للأستاذ جمال سلطان، الطبعة الأولى مركز الدراسات الاسلامية، بريطانيا ١٤١٣ هـ.
٨٢. الشاطبي أبو إسحاق ابراهيم بن موسى، الاعتصام، ص (٣٩٣)، الطبعة الثانية، دارالكتب العلمية ١٤١٢ هـ.
٨٣. العمل الجماعي محاسنه و جوانب النقص فيه، ص (١٥-١٦)، للشيخ عبد الوهاب الدليلي، الناشر للطباعة والنشر الطبعة الثانية ٤١٣ هـ.

٨٤. عمارة، محمد، الاسلام والتعددية الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، ص ٢٤ ، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م.
٨٥. الإمام محمد عبد (الأعمال الكاملة) ج ٤ ص ٢٥١ ، دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة. طبعة القاهرة، سنة ١٩٩٣ م.
٨٦. (الميزان في تفسير القرآن) ج ١١ ص ٦٠ طبعة بيروت سنة ١٣٩٣ هـ / سنة ١٩٧٢ م.
٨٧. عمارة، محمد، الاسلام والتعددية الاختلاف، ص ٣١ ، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م.
٨٨. (القسطاس المستقيم) ص ٦١ ، ضمن مجموعة القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالى" ، طبعة القاهرة، مكتبة الجندي بدون تاريخ.
٨٩. أبو حيان التوحيدي (الإمتناع والمؤانسة) ج ٣ ص ٩٩ ، تحقيق: أحمد أمين أحمد الزين طبعة القاهرة سنة ١٩٤٤ م.
٩٠. السيوطي، الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، ص ٩٧-١١٦ ، طبعة بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ / سنة ١٩٨٣ م.
٩١. عمارة، محمد، الاسلام والتعددية الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، ص ٣٥ ، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م.
٩٢. في فن الاختلاف، د. جمال الدين عطية (التنظير الفقهي)، ص ١٣٦ - ١٤١ - طبعة القاهرة سنة ١٤٠٧ هـ / سنة ١٩٨٧ م.
٩٣. عمارة، محمد، ... وآخرون، (مظاهر الخلل في الحركات الإسلامية المعاصر)، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي، الكويت، مكتبة آفاق، ٢٠١٢ م، ص ٣٢٠.
٩٤. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٨ م، ص ٧.
٩٥. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٥٠ جزء، الطبعة الأولى، تحقيق: شعيب أرناؤوط، عادل مرشد وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١ م.
٩٦. عمارة، محمد. في التنوير الإسلامي، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٧ م، ص ١١.
٩٧. عمارة، محمد، ... وآخرون، (مظاهر الخلل في الحركات الإسلامية المعاصر)، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي،
٩٨. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٨ م، ص ٧٤.
٩٩. ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١ م، ج ٤ ، ص ٢٨٣ .
- ١) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ٧ أجزاء، الطبعة الأولى، المحقق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣ م، ج ١ ، ص ٣٣٧ .
- ٢) عمارة، محمد، الأصولية بين الغرب والاسلام، ط ١، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م، مارالشروق، ص ١٢ .
- ٣) واقعنا المعاصر، لمحمد قطب، ص (٣٤٢-٣٤١)، مكتبة دارالسلام، ط (٣) ١٤١٠ هـ .

- ٤) محمد عمارة، الأصولية بين الغرب والإسلام القاهرة، مصر : دار الشروق د.ت ٥ محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية (القاهرة، مصر : دار الشروق ١٩٩٣).
- ٥) سه نكاوي، فاتح محمد، معجم مصطلحات الفكر الإسلامي المعاصر: دلالاتها وتطورها، ص ١٣.
- ٦) محمد عمارة، مفهوم الحرية في مذاهب المسلمين (القاهرة، مصر : مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٩)، ص ١٦-١٨.
- ٧) عيسى، الدكتور عبدالرازق، محمد عمارة داعية للإحياء والتجديد، دار القلم دمشق، ص ١٢١.
- ٨) محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامي (القاهرة، مصر: دار الشروق، ٢٠٠٩)، ص ٩٦-٩٨.
- ٩) محمد عمارة القدس بين اليهودية والإسلام القاهرة، مصر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص ٣، ٢٤.
- ١٠) محمد عمارة، الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ (القاهرة، مصر: دار الرشاد، ١٩٩٧)، ص ٣٣-٣٩.
- ١١) عمارة، الإسلام في مواجهة التحديات، ص ١٦٦، ومعركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ص: ١٦٢-١٦٦.
- ١٢) عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ٤٢٠٠٣.
- ١٣) عمارة، محمد. قاموس المصطلحات في الحضارة الإسلامية. الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، دار الشروق، ص ٧.
- ١٤) عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق. ص ١٦.
- ١٥) أبو زيد، نصر حامد. الخطاب والتأويل، الطبعة الأولى، القاهرة، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م، ص ٢٠٥.
- ١٦) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ٧ أجزاء، الطبعة الأولى، المحقق: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بلي، بيروت، دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م.
- ١٧) البهبي، محمد. العلمنية والإسلام بين الفكر والتطبيق، القاهرة، هدية مجلة الأزهر، ٤٤٠هـ، ص ١٦.
- ١٨) عمارة، محمد. علمانية المدفع وإنجيل التحالف غير المقدس بين المدفع العلماني وإنجيل المتصرين، الإمامية، مكتبة الإمام البخاري، ٢٠٠٧م، ص ٥٠.
- ١٩) عمارة، محمد. العلمنية بين الغرب والإسلام، الكويت، دار الدعوة للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م، ص ١٨.
- ٢٠) عمارة، محمد. علمانية المدفع وإنجيل التحالف غير المقدس بين المدفع العلماني وإنجيل المتصرين، الإمامية، مكتبة الإمام البخاري، ٢٠٠٧م، ص ٦٧.
- ٢١) علي، عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، الطبعة الثالثة، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٢٦م، ص ٦٩.
- ٢٢) طه، حسين. من الشاطئ الآخر، كتابات طه حسين الفرنسية التي جمعت وترجمت بعد وفاته، جمعها وترجمها: عبد الرشيد صادق، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الهلال، ١٩٩٧م، ص ٢٥٨.
- ٢٣) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، ص ١٩٦، ١٩٧. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة القاهرة، سنة ١٩٦٨م.
- ٢٤) محمد منير حجاب الدعوة الإسلامية التحديات والمواجهة دار الفجر للنشر والتوزيع القاهرة ط ١، ٤٢٠٠٤م، ٧٤.

- ٢٥) مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية، صيدا، ص (٦٢).
- ٢٦) محمد علي العويني، الإعلام الإسلامي بين النظرية والتطبيق، دار عالم الكتب القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧ م، ص ٤٧.
- ٢٧) هشام صالح . مجلة (الوحدة) - التي تصدر بالمغرب عدد : فبراير - مارس سنة ١٩٩٣ م ص ٢٠ ، ٢١ .
- والنص لأميل بولا، في كتابه (الحرية العلمنة : حرب شطري فنسا وبداً الحداثة) - منشورات سيرف . باريس سنة ١٩٨٧ م.
- ٢٨) عمارة، محمد. إسلامية المعرفة ماذا تعني؟، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ٢٠٠٦ م ص ١١٠ .
- ٢٩) د. مراد وهبة (مدخل إلى التنوير) ص ٢٥ - ٧٠ . طبعة القاهرة والكويت سنة ١٩٩٤ م.
- ٣٠) د محمد عمارة، التفسير الماركسي للإسلام، ط ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م ، دار الشروق القاهرة مصر، ص ٣٤ .
- ٣١) الموسوعة الفلسفية، وضع مجموعة من العلماء السوفيت بإشراف م روزينتال : ب يودين ترجمة سمير كرم، طبعة بيروت سنة.
- ٣٢) الأستاذ الشیخ الدكتور يوسف القرضاوی، (١٩٢٦-٢٠٢٢) أحد أعلام الإسلام البارزين في العصر الحاضر في العلم والفكر والدعوة والجهاد، في العالم الإسلامي مشرقه ومغربه وقد كتب له القبول في العالم الإسلامي.
- ٣٣) القرضاوی، يوسف، أعداء الحل الإسلامي، مكتبة وهبة، ط ١، (٢٠٠٠)، ص ١٠٣ .
- ٣٤) دكتور يوسف القرضاوی، أعداء الحل الإسلامي، ط ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م مكتبة وهبة القاهرة مصر ١٠٥ ص ١٠٦ .
- ٣٥) دكتور عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة و موقف الإسلام منها، طه دت، دار الجيل بيروت ص ١١٥ . ص ١١٦ .
- ٣٦) د محمد عمارة العلمانية بين الغرب والإسلام - ط ١ سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٦ م دار الدعوة للنشر والتوزيع الكويت ص ٣٩ .
- ٣٧) د. السيد أحمد فرج، علمائي وعلمانية، التأصيل المعجمي مجلة الأحرار العدد ٠٢ ص ١٠١-١١٠ سنة ١٩٨٦ م.
- ٣٨) المفكر مالك بن نبي -مشكلات الحضارة- وجهة العالم الإسلامي- إعادة طباعة سنة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م - ط ١٩٨٦ م دار الفكر دمشق سوريا.
- ٣٩) الدكتور محمد عمارة الإسلام والآخر، مكتبة الشروق الدولية سنة ٢٠٠١ م مصر، ص ١٤٧ .
- ٤٠) حمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنباري، لسان العرب، ط ٣ سنة ١٤١٤ هـ دار بيروت لطباعة والنشر بيروت لبنان ج ٢ ص ١٣١ مادة حديث ١٤١٤ هـ بيروت لبنان .
- ٤١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط تحقيق محمد نعيم العرسوسي، ط ٨ سنة ٢٠٠٥ م، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان ص ١٦٧ .
- ٤٢) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحر : عبد السلام العرباوي، ج ٤ القاهرة دت، الدار المصرية للتأليف والترجمة مادة حديث.
- ٤٣) صفي مطاع : نقد العقل الغربي ، الحداثة وما بعد الحداثة مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان، د ط ج ٢ ص ١٦٦٠ .

- ٤٤) د محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة العربية مكتبة الشروق، ط ١ سنة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م ص ٦.
- ٤٥) محمد بن أحمد عبد العزيز العلي رسالة دكتوراه بعنوان الحداثة في العالم العربي، دراسة عقدية جامعة محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة الرياض المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.
- ٤٦) أندريه لاند، موسوعة لaland الفلسفية تعریب خليل أحمد خليل منشورات عویادات، -بیروت - ، باریس، ط ٢ سنة ٢٠٠١، مج ٢، ص ٨٢٢.
- ٤٧) عبد الغني بارة: إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر مقاربة حوارية في الأصول المعرفية . الهيئة المصرية العامة، مصر، د طه سنة ٢٠٠٥ م.
- ٤٨) مطاع صفدي، العقل الغربي للحداثة وما بعد الحداثة مركز الاتماء القومي بيروت لبنان سنة ١٩٩٠ م ص ٢٠٣.
- ٤٩) د محمد الشيكري، هايدغر وسؤال الحداثة، المغرب سنة ٢٠٠٦ افريقيا الشرق ص ١٢.
- ٥٠) عدنان رضا التحوي الحداثة في منظور إيماني ط ٣ سنة ١٩٨٩ م - ١٤١٠ هـ دار التحوي للنشر والتوزيع - الرياض المملكة العربية السعودية . ص ٢٥-٢٦.
- ٥١) دسعيد بن ناصر الغامدي الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكها - ط ١ سنة ٢٠٠٣ م - دار الأندلس الخضراء - جدة المملكة العربية السعودية. ص ٧٦.
- ٥٢) هشام شرابي النظام الأبوبي واشكالية تخلف المجتمع العربي من ترجمة ماهر شريح دارنلسن السود ط ٤ سنة ٢٠٠٠ م ص ٨٩.
- ٥٣) محمد محفوظ، الإسلام والغرب وحوار المستقبل، ط ١ المركز الثقافي العربي، بيروت سنة ١٩٩٨ م ص ٣٣.
- ٥٤) عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية ترجمة أحمد القبانجي، سنةطبع ٢٠٠٦ ، دار الفكر الجديد، العراق، ص ١٩٧، ص ١٩٩.
- ٥٥) أبو الفضل جمال الدين محمد بن على ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ١٤١٤/١٢/١٤١).
- ٥٦) أبو الحسين أحمد بن فارس البرازي، معجم مقاييس اللغة (القاهرة: دار الفكرة ١٩٧٩)، ٩١/٢.
- ٥٧) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٧)، ١٩٠٣-١٩٠١.
- ٥٨) مرتضى شنتول ماهي، الفلسفة السياسية للحاكمية في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر" ، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين ٦٠ (٢٠٢٠)، ١٦٨.
- ٥٩) محمد سعيد رمضان البوطي فقه السيرة النبوية مع موجز التاريخ الخلافة الراشدة (دمشق: دار الفكر، ١٤٢٦)، ٤٨٤.
- ٦٠) أبو يوسف، محدث بن الحسن آل فراج، العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي (الرياض مكتبة دار الحميضي) ١٣٧، ١٩٩٥.
- ٦١) محمد عمارة، أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية (القاهرة: دارالسلام، دون تاريخ ١١٧)، محمد عمارة في النظام السياسي الإسلامي (القاهرة: مكتبة الإمام البخاري، ٢٠٠٩)، ٥٥-٥٧.

- ٦٢) محمد عمارة، "نقد الغزالي لسيد قطب، عربي ٢١، (١٩٠٥-٢٠٢٢-٣٤٠٨)، و عمارة، أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية، ١٣٢.
- ٦٣) عبد الحميد عمر عبد الحميد عبد الواحد، الحاكمة في ظلال القرآن (فلسطين: جامعة النجاح الوطنية - كلية الدراسات العلياء ٤، ٢٠٠٤)، ١٤٣.
- ٦٤) عماد الدين شاهين معالم المنهج الإسلامي للمؤلف محمد عمارة، (مجلة الفكر الإسلامي المعاصر الإسلامية المعرفة سابقا) (١٩٩٥)، ١٧١-١٧٤.
- ٦٥) الأستاذ عبد الحليم محمود أبوشقة تحرير المرأة في عصر الرسالة ج ٢ طبعة الكويت، تاريخ ١٤١٥هـ، ص ٤٢٩.
- ٦٦) د عادل بن حسن الحمد المرأة بين الإسلام والعصرانية، مختصر كتاب تحرير المرأة عند العصرانيين ط ١ مؤسسة الدرر السنوية للنشر الكويت سنة ١٤٣٣هـ ص ٢٠.
- ٦٧) د محمد عمارة، حقائق وشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام، ط ١ سنة ١٤٣١هـ ٢٠١٠م، دار السلام الطباعة والنشر والتوزيع، ص ١٨.
- ٦٨) د صلاح الدين سلطان، ميراث المرأة وقضية المساواة، تقديم الدكتور محمد عمارة، طبعة القاهرة دار نهضة مصر، سلسلة في التنوير الإسلامي سنة ١٩٩٩م، ص ٤٦.
- ٦٩) د محمد عمارة، شبهات واحابات حول مكانة المرأة في الإسلام، ط ١ مارس ٢٠٠٨ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٧٩.
- ٧٠) الدكتور محمد محمد عمارة، سلسلة الأعمال الكاملة، الدراسة والتحقيق، الطبعة القاهرة ١٩٩٣، المجلد الرابع، الصفحة ٧٣٢.
- ٧١) د محمد عمارة، تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، ط ١، دار مكتبة البخاري القاهرة، سنة ٢٠٠٩م، ص ٣٩ و ٤٠.
- ٧٢) فاطمة عبد الرؤوف كاتبة مصرية، المرأة وتناقصات الحداثة، الراصد ، سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشئون الفرق من منظور أهل السنة العدد، ١٦٩ شوال ١٤٣٣هـ الخميس ٢٢ يونيو ٢٠١٧م.
- ٧٣) عبدالله الأشعلي، قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط ١، ٢٠١٠م، ص ١٤١.

الفهرس

٥	المقدمة
١٧	التمهيد: وفيه التعريف بالموضوع
١٨	المبحث الأول: مفهوم المنهج والمنهجية
١٨	المطلب الأول: مفهوم المنهج
١٨	المطلب الثاني: مفهوم المنهجية
٢٠	المبحث الثاني: مفهوم الدعوة ومشاكلها
٢١	المطلب الأول: معنى الدعوة لغة
٢٢	المطلب الثاني: الدعوة إصطلاحاً
٢٦	المطلب الثالث: مفهوم المشاكل
٢٧	المبحث الثالث: ترجمة حياة الدكتور محمد عمارة
٢٧	المطلب الأول: الميلاد والنشأة
٢٨	المطلب الثاني: نشاطاته الجامعية
٢٩	المطلب الثالث: مشاريعه العلمية
٣١	المطلب الرابع: أثر البيئة في نشاطه
٣٣	المطلب الخامس: ملامح المشروع الفكري لدى الدكتور محمد عمارة
٣٥	المطلب السادس: ضبط المصطلحات في فكر الدكتور عمارة

المطلب السابع: منهج الدكتور في دراسة المصطلحات
Error! Bookmark not defined.

٤٣	المطلب الثامن: بعض الإتهامات الموجهة للدكتور والرد عليها
٤٧	الباب الأول
٤٧	في سمات الدكتور محمد عمارة رحمة الله وقواعد منهجه في الدعوة
٤٨	الفصل الأول: سمات في طبيعة شخصية وموهبة د. محمد عمارة
٤٩	المبحث الأول: الجمع بين العلم والعمل والعقل والنقل
٥١	المبحث الثاني: الجمع بين الفكر والأدب والتصوف
٥٤	المبحث الثالث: الجمع بين التراث والتجديد
٥٥	المبحث الرابع: الجمع بين دراسة المذاهب الكلامية والتيارات الإسلامية وغيرالإسلامية
٦٠	المبحث الخامس: الجمع بين الوطنية والعروبية والإسلامية والإنسانية
٦١	المبحث السادس: الجمع بين الكتابة والخطابة والجهاد
٦٧	الفصل الثاني: قواعد منهجه في تناول مشاكل الدعوة
٦٧	المبحث الأول: الوسطية والإعتدال
٦٨	المطلب الأول: تعريف الوسطية
٧٠	المطلب الثاني: تطبيقات الوسطية الإسلامية
٧٠	الفرع الأول: الفكر والمادة
٧١	الفرع الثاني: الجبر والإختيار
٧٢	الفرع الثالث: الشورى البشرية والشريعة الإلهية
٧٣	المبحث الثاني: العقلانية الإيمانية
٧٣	المطلب الأول: مفهوم العقلانية الإيمانية
٧٦	المطلب الثاني: مكانة العقل في الفكر الإسلامي

٨٠	المبحث الثالث: الإيمان بالتجددية
٨٠	المطلب الأول: مفهوم التجددية
٨٢	المطلب الثاني: مبادئ التجددية ونماذجها
٨٨	المبحث الرابع: المواكبة والتتجدد
٨٨	المطلب الأول: مفهوم التجدد لغة:
٨٩	المطلب الثاني: مفهوم التجدد إصطلاحاً:
٩٠	المطلب الثالث: مفاهيم مرتبطة بمقولة التجدد
٩٢	المطلب الرابع: ضرورة التجدد لمواكبة مستجدات الحياة
٩٣	المطلب الخامس: مفهوم التجدد في فكر الدكتور محمد عمارة
٩٥	المطلب السادس: أهمية التجدد الإسلامي
٩٧	المطلب السابع: مميزات المنهج التجديدي لدى الدكتور محمد عمارة
٩٨	المطلب الثامن: ملامح المشروع التجدد الحضاري في فكر محمد عمارة
١٠٢	الباب الثاني: منهجية الدكتور محمد عمارة في تناول مشاكل الدعوة
١٠٤	المبحث الأول: حقيقة الخلاف الإختلاف
١٠٤	المطلب الأول: تعريف الإختلاف
١٠٤	المطلب الثاني: أنواع الإختلاف
١١٠	المطلب الثالث: حكم الإختلاف
١١٥	المطلب الرابع: الفرق بين الخلاف والإختلاف
١١٨	المبحث الثاني: طبيعة التفاوت في ساحة الدعوة
١١٩	المبحث الثالث: التجددية والإختلاف من سنن الفطرة
١٢٢	المبحث الرابع: التعدد والإختلاف جعل إلهي وطبيعي في البشر
١٢٢	المبحث الخامس: دور الإجتهاد في صياغة الإختلاف وصيانته الشرعية

١٢٥	الفصل الثاني: أهم المشاكل الداخلية في ساحة الدعوة
١٢٨	المبحث الأول: الخلل في فهم التعددية والإيمان بجدواها
١٣٠	المبحث الثاني: الخلل في علاقة الذات بالآخر
١٣٣	المبحث الثالث: الخلل في العلاقة بين المحلية القطرية والعالمية الإسلامية
١٣٤	المبحث الرابع: الخلل في علاقة التاريخ بالعصر وعلاقة الموروث بالإبداع
١٣٧	المبحث الخامس: الخلل في علاقة الحركة بالفكرة
١٣٩	المبحث السادس: الخلل في علاقة التربية الروحية بال التربية السياسية
١٤١	المبحث السابع: الخلل في علاقة الطاعة بالحرية
١٤٥	الفصل الثالث: أهم المشاكل الخارجية في ساحة الدعوة
١٤٥	المبحث الأول: الغزو الفكري الحضاري
١٤٥	المطلب الأول: الغزو الفكري والإلحاد الثقافي
١٤٦	المطلب الثاني: أنواع الغلبة للأمم
١٥٠	المبحث الثاني: الإلتباس المفهومي للمصطلحات
١٥٣	المطلب الأول: مكانة المصطلحات في مؤلفات الدكتور محمد عمارة
١٥٤	المطلب الثاني: منهج الدكتور في دراسة المصطلحات
١٥٨	المطلب الثالث: الإلتباس المفهومي للمصطلحات
١٦١	المطلب الرابع: أمثلة لتحرير مضمون المصطلحات
١٦٩	المبحث الثالث: العلمانية الملحدة
١٦٩	المطلب الأول: المصطلح وملابسات النشأة
١٧٢	المطلب الثاني: الأصول الإسلامية لرفض العلمانية:
١٧٥	المطلب الثالث: إنبعاث بعض المثقفين المسلمين بالعلمانية الغربية
١٧٧	المبحث الرابع: إستراتيجية التنصير

١٧٧	المطلب الأول: التعريف
١٧٨	المطلب الثاني: التطور التاريخي للتنصير
١٧٩	المطلب الثالث: ألوان التبشير في أقطار الاسلام
١٨١	المطلب الرابع: التخطيط وسرعة العمل
١٨٢	المطلب الخامس: الجهود والإمكانيات
١٨٣	المبحث الخامس: التنوير والتزوير
١٨٣	المطلب الأول: شرح المصطلح وتطوره
١٨٥	المطلب الثاني: معنى التنوير عندنا:
١٨٧	المطلب الثالث: إيجاز مقولات التنوير الغربي:
١٩٠	الباب الثالث: منهجية الدكتور محمد عمارة في مواجهة الشبهات والإفتراءات
١٩١	المبحث الأول: نقد الدكتور محمد عمارة للماركسية
١٩٢	المطلب الأول: النشأة والتطور التاريخي
١٩٢	المطلب الثاني: تعريف الدكتور عمارة للماركسية
١٩٤	المطلب الثالث: الرد على الفكرة الماركسية
١٩٦	المطلب الرابع: الماركسية تعادي الأديان
١٩٨	المطلب الخامس: منطلقات الرفض الماركسية
١٩٩	المبحث الثاني: نقد الدكتور محمد عمارة للعلمانية
١٩٩	المطلب الأول: مصطلح العلمانية
٢٠٠	المطلب الثاني: المستندات وعوامل إنبعاث العلمانية
٢٠١	المطلب الثالث: الإستعمار ودخول العلمانية إلى أقطاب الدول العربية والاسلامية
٢٠٢	المطلب الرابع: عوامل التسری والنفوذ
٢٠٤	المطلب الخامس: منطلقات رفض العلمانية لدى الدكتور عمارة

٢٠٥	المبحث الثالث: في نقد الحضارة الغربية
٢٠٦	المطلب الأول: التعريف والمقارنة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية
٢٠٩	المطلب الثاني: أهم ملامح الحضارة الغربية
٢١٥	المبحث الرابع: نقد الحداثة الغربية
٢١٦	المطلب الأول: المفهوم اللغوي للفطة الحداثة
٢١٧	المطلب الثاني: المفهوم الإصطلاحي للحداثة
٢١٨	المطلب الرابع: الحداثة بالمفهوم الغربي
٢٢٠	المطلب الخامس: الحداثة بالمفهوم العربي
٢٢٢	الفصل الثاني: في الرد والنقد على الإفتاءات
٢٢٢	المبحث الأول: إشكاليات في قراءة النص الديني وتفسيره
٢٢٣	المطلب الأول: الوحي بشرياً لا نبوياً محضاً، نقد نظرية الكاتب الإيراني عبدالكريم سروش
٢٢٨	المطلب الثاني: اللغة العربية لغة شعيبة لا فصاحة قرآنية
٢٣٠	المبحث الثاني: إفتاءات حول الحاكمة والإسلام
٢٣١	المطلب الأول: مفهوم الحاكمة ونشأتها
٢٣٥	المطلب الثالث: مصطلح الحاكمة لدى الدكتور محمد عمارة رحمة الله
٢٣٧	المطلب الرابع: الفهم الخاطئ لمصطلح الحاكمة وتنفيذ الدكتور عمارة له
٢٤٠	المطلب الخامس: رد الداعي أن الدكتور محمد عمارة يدعو للعلمانية
٢٤٤	المبحث الثالث: إفتاءات حول الإسلام و حقوق المرأة
٢٤٥	المطلب الأول: القرآن الكريم ساوي بين الجنسين
٢٤٨	المطلب الثاني: نقد شبهة ميراث المرأة نصف ميراث الرجل
٢٥٠	المطلب الثالث: الرد على شبهة القضاء و ولاية المرأة
٢٥٤	المطلب الرابع: كيف يريد الغرب والحداثيون تحرير المرأة؟

٢٥٧	المبحث الرابع: إفتاءات حول الإسلام والإرهاب
٢٥٩	المطلب الأول: السماحة الإسلامية
٢٦٣	المطلب الثاني: حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب
٢٦٤	المطلب الثالث: الحرب الدينية المقدسة وحقيقة الجهاد الإسلامي
٢٦٥	المطلب الرابع: حقيقة القتال في الإسلام
٢٦٩	المطلب الخامس: حقيقة الإرهاب